

Department of Islamic Studies  
Baghdad campus Islamic University  
BAHAWALPUR

كلية الدراسات الإسلامية  
الجامعة الإسلامية  
بهاولبور

# الحركة التفسيرية

في

# القرن الثامن الهجري

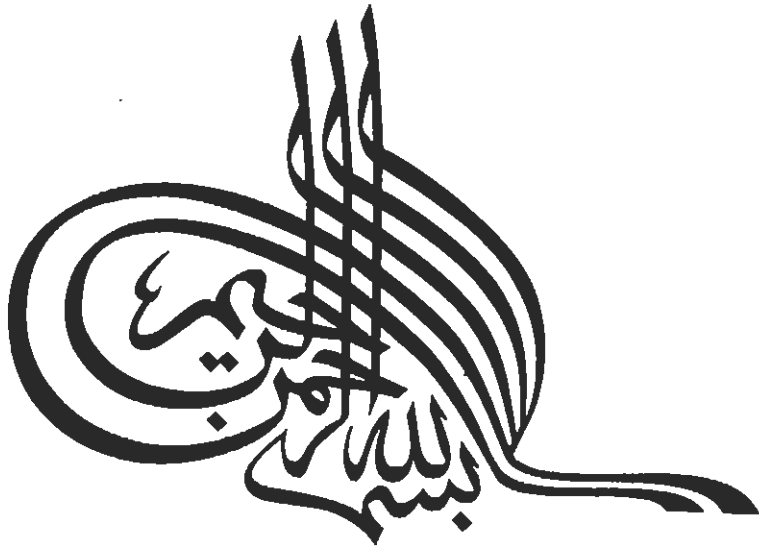
(دراسة نقدية)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه PH.D  
تحت إشراف البروفيسور الأستاذ الدكتور

محمد كجرخان

إعداد الطالب

كنعان إبراهيم الجميلي



## شكر وتقدير

أتقدم بشكري كل الشكر والتقدير والاحترام لجميع الذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وإخراجه بهذه الصورة الحسنة. وأخص بالذكر البروفيسور الأستاذ الدكتور محمد كجر خان المشرف على هذه الرسالة، والذي بذل قصارى جهده لإخراجها بالمستوى اللائق الذي يواكب المستوى العلمي، ولا أظنه قد قصر في مجال من المجالات المتاحة له.

كما أتقدم بالشكر والثناء إلى كل من البروفيسور الدكتور محمد يوسف فاروقي عميد الكلية والدكتور عبد الرشيد رحمت رئيس القسم لاتاحتها لي فرصة البحث والتأليف لجهدهما المقدر في إخراج هذا الكتاب في صورته النهائية المرموقة.

وما كان مقصد كل من الدكتور محمد يوسف فاروقي والدكتور عبد الرشيد رحمت والدكتور محمد كجر خان إلا الارتقاء بمستوى المسيرة العلمية نحو الأفضل وخدمة للعلم.

فجزاهم الله جميعا خير الجزاء وأجزل لهم العطاء، و جعلها في ميزان حسناتهم.

كنعان إبراهيم الجميلي

## المقدمة

الحمد لله ، حمدا لك يا من نورت قلوبنا بنور المصرفة، والإيمان،  
وشرحت صدورنا للإسلام، فلك المنة علي هذه المنة ولك الفضل  
والإحسان في سائر الأكوان واصلي وأسلم على خير الأنام محمدا  
وعلى آله وصحبه ومن سار على هداه.

وبعد...

لقد اخترت هذا الموضوع دون ما سواه أعني (الحركة التفسيرية في  
القرن الثامن الهجري) وذلك لأنني لم أجد من يبحث في هذا  
الموضوع من قبل ولخو المكتبة الإسلامية من ذكر نشاطات وجهود  
المفسرين في هذا القرن ولخوها من كتاب يجمع تراجم قرن زخر  
بفحول المفسرين أمثال ابن كثير وأبو حيان وابن تيمية و ابن قيم  
وغيرهم، رغم ما فيه من الحركة الدوؤبة والنشطة للتفسير فقد يكون  
من أزخر القرون اهتماما بالتفسير بشتى أنواعه.

وهذا هو السبب الذي دعاني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه، فقد  
عكفت على جمع لتراجم المفسرين جميعا في هذا القرن، وتبيين  
مناهجهم التفسيرية ومقارنة بعضهم ببعض إضافة إلى أسباب أخرى  
دعنتي للكتابة فيه منها أنه متعلق بكتاب الله العزيز فأحببت خدمته  
لأكون في عداد خدامه.

إن هذه الفترة ظلمت كثيرا من قبل الباحثين فمن قائل أن علماءها لم  
يكن لهم إلا الجمع أو الاختصار وما إلى ذلك فأحببت أن أكشف حقيقة  
هذا الأمر ولأرده إلى نصابه. ولا بين أن جل علماء هذا العصر  
ومفسروه هم في أصحاب التفسير بالمأثور في قرن نشطت فيه  
الصوفية والروافض والمبتدعة والقصاص من رواة الإسرائيليات كما

أدى إلى توجه العلماء المخلصون إلى الحديث ودراسته دراسة وافية وتوجيه الناس إلى التمسك بالصحيح في الحديث ونبذ الخرافات والخوارق التي يدعيها الكثير من الصوفية. لذا أقول كان التوجه إلى الحديث في القرن الثامن الهجري أكثر منه إلى التفسير وعلوم القرآن رغم ما سنذكر من نشاطات كانت عند العلماء وخصوصا ما كان مستمرا عليه بالجامع الطولوني من تفسير لآيات وسور القرآن على مختلف المفسرين وتعاقبهم طوال هذا القرن دون توقف. إن مثل هذه الدراسات توفر على الباحثين كثيرا في الجهد فهي تجمع شتات كثير في المعلومات الهامة والتي تخص طائفة غير يسيرة من العلماء الجهابذة في فترة خصبة من فترات التأليف في علم التفسير، وتبين تراجمهم ومناهجهم في التفسير ومدى العلاقة بين منهج أحدهم بالآخر. لذا فإنه سد فراغا كبيرا في المكتبة الإسلامية بما حفل به من عطاء ولذلك جعلت منهجي في التأليف أن التزم ذكر المفسرين الذين نشأوا في القرن الثامن، أخذا في الاعتبار كون المفسر أدرك هذا القرن وعنده أهلية للمساهمة في الحركة العلمية لذا أهملت من مات قبل سنة ٧١٠هـ وكذا من ولد بعد سنة ٧٨٥هـ باعتبار أن كليهما لم تكن له مساهمة في هذا القرن، فالأول كان نشاطه في القرن السابع والثاني نضج علميا في القرن التاسع، وهذه مسألة نسبية تقريبية اجتهدت أن تكون صحيحة فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان. كما أذكر تراجم المفسرين حسب سني وفاتهم، وذلك تمشيا مع الحركة التفسيرية. فأذكر من مات سنة عشر وسبعمائة ثم من مات سنة خمس عشر وسبعمائة وهكذا وإذا تساوت تواريخ وفياتهم أقدم الأقدم مولدا وإذا تشابهت الولادة والوفاة أقدم حسب

الحروف الأبجدية. وقد اخترت الوفاة دون الولادة لعدم معرفة  
الولادات في كثير من الأحيان.

وكذلك أفردت بابا للمفسرين الذين لهم كتب مطبوعة وتفسيرات  
وصلت إلينا فقسمت الباب إلى فصلين الأول ترجمة للمفسر ثم بينت  
منهجه في التفسير في الفصل الثاني، ثم أعقبت ذلك بالباب الثاني  
وكان الحديث فيه عن المفسرين الذين لم تصلنا كتبهم (حسب إطلاعي)  
والمفسرين الذين كان لهم نشاطات تفسيرية أخرى كالتدريس ووضع  
قواعد التفسير وإعراب كلمات القرآن وغريب القرآن وغير ذلك.

وأخيرا فلا يفوتني أن أقر بالفضل لمن سبقنا ممن كتبوا من هذا  
الموضوع ومنهم وعلى رأسهم المرحوم الدكتور (محمد حسين  
الذهبي) فجزاهم الله كل خير وتقبل منهم. فإله أسأل أن يتقبل مني هذا  
الجهد المتواضع وأن يجعله في ميزان حسناتي وأن يجعله فيما لا  
ينقطع به عملي بعد مماتي، وما انتفع به بعد انقطاع الأعمال وقُدوم  
الآجال. أنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين

كنعان إبراهيم الجميلي

بسم الله الرحمن الرحيم

**(تمهيد)**

دراسة عامة للقرن الثامن الهجري

وتتضمن خمسة مباحث

**المبحث الأول: الحالة السياسية**

**المبحث الثاني: الحالة الاقتصادية**

**المبحث الثالث: الحالة الاجتماعية**

**المبحث الرابع: الحالة الدينية**

**المبحث الخامس: الحالة العلمية**

## المبحث الأول

### الحالة السياسية

عاصر جمهور المفسرين في القرن الثامن الهجري فترة زمنية في عصر دولة المماليك بقسميها البحرية والبرجية حيث عاشوا في العصر المملوكي البحري وبداية العصر المملوكي البرجي. والمماليك هم من الرقيق الأبيض، وكان معظمهم من الأتراك الذين جلبوا من بلاد القفجاق (١)، بسبب تعدي التتار على بلادهم وقتلهم وسبي ذراريهم، فبيعوا وجلبهم التجار إلى الآفاق وباعوهم ثم قدمت أجناس أخرى من الشراكسة والمغول والصقالبة وغيرهم، واستطاع هؤلاء المماليك أن يستأثروا بحكم مصر في أواخر العصر الأيوبي فترة قرنين ونصف على فترتين:

فترة عصر المماليك البحرية والتي تمتد من (٦٤٨-٧٨٤هـ) (١٢٥٠-١٣٨١م) وفترة عصر المماليك البرجية والتي تمتد من (٧٨٤-٩٢٢هـ) (١٣٨٢-١٥١٧م) وقد ظهر المماليك في مصر كدولة في وقت كانت تتطلع فيه الأمة الإسلامية إلى منقذ يجمع شتاتها ويوحد كلمتها، فقد وهنت الدولة الأيوبية وتمزقت إلى دويلات وإمارات في بلاد الشام تتنازع السلطان مع ملوك الأيوبيين في مصر. وفي الوقت نفسه كان الصليبيون يعيثون في الأرض فسادا، ويرقبون الأحداث عن كثب، فينقضون على أجزاء مختلفة من بلاد المسلمين كلما لاحت لهم الفرصة، وفي أجزاء أخرى من هذا العالم كانت جيوش المغول تكتسح

(١) تقع بلاد القفجاق شمالي البحر الأسود وفي حوض نهر الفولجا، وقد غزاها التتار منذ وقت مبكر... العصر المماليكي في مصر والشام/٢٣٤، دار النهضة العربية/ القاهرة/ ١٩٦٥م.



أمامها أما وشعوبا، تخرب وتدمر وتحتل الأوطان متجهة صوب مقر الخلافة العباسية في بغداد. ومن جهة أخرى كانت بلاد الأندلس تعاني أقسى مما كان يعانيه المسلمون في المشرق من التمزق والضياع بسبب الحملات الصليبية الأسبانية.

وفي ظل هذه الأحداث والأوضاع السيئة ظهرت دولة المماليك في مصر على إنقاض الدولة الأيوبية أثر انتصارهم على الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع، مما ساعد على علو نجمهم وأقول نجم الأيوبيين.

والمتتبع للتاريخ لا يجد في تاريخ العالم نظيرا لعصر المماليك، فهم طائفة من الأرقاء المشتريين بالأموال، كثر عددهم، وتربوا تربية خاصة، ورافقتهم ظروف خارجية وداخلية جعلتهم يتولون حكم بلد غني كمصر، ووضعوا أيديهم على بلاد أخرى خارج هذا القطر (١) وأصبحوا القوة التي قدر لها أن تسيطر على البلاد أكثر من قرنين ونصف من الزمان. وقد كان أول اختبار لقدرة دولة المماليك في مصر على مواجهة الأحداث هو نهوضهم لمواجهة الطوفان المغولي فقد ظهر المغول منذ القرن السابع الهجري وغدوا قوة حربية هائلة، ولم ينتصف القرن الثامن الهجري حتى كانت جيوش المغول مستولية على فارس ومعظم جنوب روسيا وأطراف أوربا الشرقية، واخذ هولاء يتطلع للاستيلاء على العراق فبدأ يزحف على بغداد، فحاصرها حتى سقطت في يده سنة ٦٥٦هـ وكان من الواضح أن الخطوة التالية أمام هولاء هي الاستيلاء على الشام، ومصر، فأرسل خطاب تهديد إلى قطز يطالبه بالتسليم، فلما سمع الملك المظفر ذلك

(١) انظر تاريخ المماليك البحرية / ٢٧.

استشار أمراء دولته وقال لهم: "إن القوم لا دين لهم ولا إيمان". (١) وبعدها أعلن التعبئة العامة وخرج لمقابلة المغول، فالتقى الجيشان في موقعة فاصلة عند عين جالوت بفلسطين (٢) انتهت بانتصار المماليك الساحق بقيادة قائدها المظفر (سيف الدين قطز) (٣). كان لانتصار المماليك في عين جالوت أهمية سياسية كبرى، على مدى قرن من الزمان إذ أن المغول لم يهزموا من قبل كما هزموا في عين جالوت، وعلى الرغم من غاراتهم الكثيرة على بلاد الشام فيما بعد، فإن الهزائم كانت تلحق بهم دائما، وصاروا يلتمسون الصفح وتحسين العلاقات بينهم وبين المماليك (٤)

ويحتل الظاهر بيبرس خليفة قطز مكانة خاصة بارزة في تاريخ دولة المماليك، لما قام به من أعمال داخلية وخارجية عظيمة جعل منه المؤسس الحقيقي لتلك الدولة، فقد عمل على تنظيم الجيش المملوكي وتعبئة فرق حربية مساعدة من الأعراب، وتجديد بناء الأسطول المصري وإصلاح حصون الإسكندرية، ورسم بعمارة القلاع التي خربها هولاءكو. وعمر الثغر وشيد منارا لرؤية مراكب الفرنج، وجدد الجامع الأزهر بعد أن أقام سنين خرابا وإلى غير ذلك (٥). على أن

(١) انظر الجواهر الثمين / ٢٦٥.

(٢) عين جالوت: بلدة لطيفة بين بيان ونابلس من أعمال فلسطين، انظر معجم البلدان: ٤ /

١٧٧.

(٣) انظر مزيد تفصيل عن موقعة عين جالوت وعن هزيمة التتار وكيف قتل أميرهم كتبغا. انظر

البداية والنهاية: ٧ / ٢٣٣-٢٣٥. والجواهر الثمين ٢٦٤-٢٦٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي

٤٧٥-٤٧٦.

(٤) مصر في عصر دولة المماليك البحرية ٤٨-٥٠.

(٥) الجواهر الثمين ٢٨٤-٢٨٦، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ٥٩.

أهم أعمال بيبرس الجليلية إضافة لما سبق هو إحياء الخلافة العباسية في القاهرة كرمز للمسلمين يجتمعون عليه وكان بيبرس يرمي من وراء ذلك إلى أن يقوي عرشه في مصر ويجعل حكما شرعيا في البلاد، فتحقق له ما أراد بتفويض رسمي من الخليفة العباسي الجديد المستنصر بالله. (١).

وقد كانت سلطة الخلفاء العباسيين بمصر منذ ذلك الوقت مقصورة على الأمور الدينية فقط.

وقد اشتبك السلطان بيبرس مع الصليبيين، وضرب المدن التي استولوا عليها، وحاصر قيسارية فسقطت بعد خمسة أيام، وهاجم انطاكية، فسلمت الحامية واشعلت النيران في معقلهم، فأنت على المدينة وصارت أثرا بعد عين وفتحت طرابلس (٢) في عهد المنصور قلاوون. ثم جاء بعده الأشرف خليل فسار سيرة والده من مناواته فخرّب صيدا واستولى على بيروت وصور (٣) وهدم عكا (٤) حتى أصبحت خرابا.

وآخر محاولة بذلها الصليبيون كانت على يد لويس ملك فرنسا فجاء إلى دمياط وقد منى بهزيمة منكرة في المنصورة، وأخذ أسيرا هو ومن معه من الجنود، ثم افتدى نفسه ومن معه، ثم زين له أخوه الذهاب إلى تونس، ومنها إلى مصر والشام، فهلك في تونس بمرض

(١) المستنصر بالله: هو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بامر الله كانت خلافته دون ستة أشهر. انظر

تاريخ الخلفاء : ٤٧٧-٤٧٨، والبداية والنهاية : ٧ / ٢٤٥.

(٢) وهي مدينة على شاطئ البحر. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥.

(٣) صور: مدينة مشرفة على بحر الشام داخلية في البحر مثل الكف في الساعد يحيط بها البحر

من جميع جوانبها إلا الربع الذي منه باجا. معجم البلدان ٣ / ٤٣٣.

(٤) عكا: موضع على بحر الشام. معجم البلدان ٤ / ١٤١.

أصابه، وبذلك انتهت الحروب الصليبية التي انتهت بفشل ملك فرنسا (١) ولكن المؤامرات الصليبية لم تنته طوال عهد حكم المماليك، ففي سنة سبع وستين وسبعمائة أخذ الفرنج الإسكندرية، لأنهم لم يجدوا فيها نائبا ولا جيشا ولا حافظا للبحر ولا ناصرا، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعدما حرقوا أبوابا كثيرة منها، وعاثوا في أهلها فسادا، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال، وأقاموا بها يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء. فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشاليش المصري، فأقلعت الفرنج لعنهم الله عنها وقد اسروا خلقا كثيرا يقدرون بأربعة آلاف. وأخذوا من الأموال ذهباً وحريرا وبهارا وغير ذلك ما لا يحصى ولا يوصف (٢):

وشهد القرن التاسع الهجري تحولا ملحوظا في خطط الفرنج ومشروعاتهم الصليبية تتجلى في ميادين عديدة منها القيام بعمليات التخريب الواسعة بالموامنيء المصرية والشامية لشل الحركة التجارية ومنها محاولة تطويق الدولة المملوكية بالتحالفات مع الدول المحيطة لدولة المماليك ومنها المؤامرات الداخلية التي قام بها تجار الفرنج الذين كانوا يترددون على أسواق مصر والشام. ولكن يقظة رجال الدولة المملوكية أحبطت جميع هذه المحاولات وباعت كلها بالفشل. (٣) أما عن علاقة المماليك بالدول الأخرى، فإن المراسلات التي جرت بين سلاطين المماليك والدول تشير إلى حسن العلاقات فيها هو السلطان قطز يكتب إلى صاحب اليمن يبشره بالانتصار على التتار

(١) الجوهري الثمين ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٤/٣٢٨-٣٢٩.

(٣) المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري ٧/٨.

في عين جالوت (١) وثمة مكاتبات دارت بين سلاطين المماليك من ناحية وصاحب الهند والسند من ناحية أخرى (٢) أما عن الدول الإسلامية في شمال إفريقية فيلاحظ أن حكامها ربطتهم بسلاطين المماليك في مصر روابط المودة، وربما ضايق سلاطين المماليك أن بني حفص في تونس اتخذوا القاب الخلافة والإمامة (٣) ويبدو من الخطابات المتبادلة بين بني حفص من ناحية وسلاطين المماليك من ناحية أخرى أن الطرفين حرصا على تبادل أخبار الجهاد ضد الصليبيين في المشرق والمغرب (٤) كذلك كان هناك علاقات ودية مع دول غرب إفريقية (٥) وشرق إفريقية (٦).

### الأحوال الداخلية:

لقد حكم المماليك البلاد المصرية بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة، استأثروا بالحكم وشؤون الحرب، ونظروا إلى الأهالي على أنهم أقل منهم، ولا ينبغي لهم أن يشاركوا في الحياة الحربية أو السياسية، وإذا سمح لبعضهم بالمشاركة في شؤون الحكم فبالقدر المحدود التي تخوله صلاحيتهم (٧) وكان السلطان في عصر المماليك أميرا من الأمراء وزعيما مكنته قوته وشخصيته وكثرة ممالিকে من التفوق على أقرانه، والوصول إلى منصب السلطنة، فإذا وصل أمير إلى السلطنة أصبح

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٧ / ٣٦٠-٣٦٢.

(٢) صبح الأعشى ٧ / ٣٧٢.

(٣) صبح الأعشى ٧ / ٣٧٧.

(٤) المصدر السابق ٧ / ٣٧٩-٣٨٤.

(٥) المصدر السابق ٨ / ٨-١٠.

(٦) المصدر السابق ٨ / ٤١-٤٢.

(٧) العصر المماليكي في مصر والشام / ٣٠٨.

صاحب الحق في الهيمنة على بقية الأمراء ومماليكهم (١)، ولكن هذا لا يعني أن السلطان استغنى عنه رأي كبار الأمراء ورجال الدولة، بل هو يستشيرهم قبل القدوم، على أي خطوة خطيرة، وكانت هذه الاستشارة تتم في مجلس مشورة يتألف برئاسة السلطان وعضوية أتاك (٢)، العسكر والخليفة العباسي والوزير وقضاة المذاهب الأربعة، وأمراء المثني وعددهم أربعة وعشرون أميراً فإذا كان السلطان قاصراً (٣) تولى رئاسة هذا المجلس الوصي عليه أو نائب السلطنة (٤)

على أن السلطان لم يكن ملزماً بدعوة مجلس المشورة أو الأخذ برأيه، أي أن السلطان كان هو صاحب الرأي الأخير في جميع الأمور بوصفه حاكماً مطلقاً (٥). ولم تخل جميع عهود المماليك من ثورات وفتن سياسية مصدرها طوائف المماليك أنفسهم، ذلك أن الحقيقة التاريخية الكبرى التي تحكمت في تاريخ سلطنة المماليك من أوله إلى آخره ووجهت ذلك التاريخ في داخل دولتهم هي اعتقاد المماليك اعتقاداً راسخاً قوياً عميقاً بأنهم جميعاً بحكم أصولهم ونشأتهم وطبيعة التطور الذي مروا به متساون ولا فرق بين مملوك وآخر إلا بما حباه الله من صفات خاصة كالشجاعة والذكاء والمهارة في استخدام

(١) مصر في عصر دولة المماليك البحرية / ١٣٨.

(٢) أتاك : مقدم العسكر والقائد العام للجيش المماليكي . انظر العصر المماليكي في مصر

والشام / ٣٨٧.

(٣) مثل الملك الأشرف علاء الدين كجك الذي تولى المملكة وعمره سبع و قبل خمس سنين،

انظر : الجوهر الثمين لابن دقماق / ٣٦٨.

(٤) مصر في عصر دولة المماليك البحرية / ١٣٨.

(٥) انظر مصر في عصر دولة المماليك البحرية / ١٣٩.

السلاح، والقدرة على استغلال الظروف وما دام الأمر كذلك، فإن جميع المماليك اعتقدوا أن لهم حقا مشروعاً، وما دام أنه لا يوجد نظام وراثي أو قاعدة معينة لاختيار السلاطين في عصر المماليك. فقد تطلع كبار الأمراء دائماً للوصول إلى منصب السلطة مما أدى إلى كثير من الفتن والثورات والاضطرابات التي شهدها ذلك العصر طوال فترة حكمهم (١)

هذا وكما سبق فإن دولة المماليك مرت بفترتين، فترة عصر المماليك البحرية والتي تمتد من (٦٤٨هـ - ٧٨٤هـ) والتي تنتهي بإنهاء حكم بيت قلاوون، ثم تأتي فترة المماليك البرجية التي تمتد من (٧٨٤ - ٩٢٢هـ). أما كيف استطاع المماليك الجراكسة الاستيلاء على مقاليد السلطة والقضاء على إخوانهم من المماليك الأتراك الذين كانوا يسيطرون في العصر المملوكي البحري، فيتلخص في أن السلطان المنصور قلاوون أراد أن يتخلص من منافسيه من كبار الأمراء فاشترى أكثر من ثلاثة آلاف من المماليك الجراكسة الذين ينتمون إلى بلاد الكرج (جورجيا) الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود، وأسكنهم في القلعة، وعنى بتربيتهم في أبراجها، وهو سبب تسميتهم بالمماليك البرجية (٢). وكان لا يسمح لهم بمغادرة القلعة مطلقاً فلما توفي وتولى بعده ابنه الأشرف خليل سمح لهم بالنزول منها أثناء النهار والعودة إليها ليلاً، وقد كثرت أعدادهم بعد ذلك وغدا منهم الأمراء والقادة حتى استطاعوا أن يتسلموا مقاليد السلطة في البلاد.

(١) انظر العصر المماليكي في مصر والشام / ٣٢٣.

(٢) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك / ٢٢٣.

وقد كان عطف السلطان قلاوون وأبنائه على المماليك الجراكسة الجدد وتقديمهم سببا في إثارة نيران الحسد والكراهية بينهم وبين المماليك الأتراك، فقد وجد المماليك الأتراك في هؤلاء الجراكسة منافسا خطيرا استأثر بالعطف والرعاية والمناصب، بالإضافة إلى كونهم ينتمون إلى عنصر آخر غير عنصرهم، وهكذا أدى التمييز في المعاملة إلى إثارة التعصب العنصري بين المماليك الأتراك والجراكسة. وكانت مناصرة الجراكسة لبيت قلاوون ودفاعهم عنه سببا في اشتداد الصراع بينهم وبين المماليك الأتراك الذين قتلوا الأشرف خليل بن قلاوون وعزلوا أخاه الناصر محمدا (١).

كان طول المنازعات التي تميز بها تاريخ المماليك في تلك الحقبة قد جعل الأمر يتطور من مجرد نزاع بين الأمراء وبعضهم أو بين أنصار بيت قلاوون وخصومه إلى نزاع عنصري بين الجراكسة والأتراك وأدى ذلك إلى أن صار هدف المماليك الجراكسة الأول هو القضاء على نفوذ المماليك الأتراك الذين طال استبدادهم بالحكم والنفوذ والامتيازات دونهم، وسرعان ما ازداد نفوذ الجراكسة الجدد وصار لهم صوت ورأي في اختيار السلاطين، وفي عصر السلاطين الصغار من أحفاد الناصر محمد بن قلاوون أصبح أمراء الجراكسة هم الحكام الفعليين (٢)، وفي سلطنة السلطان علاء الدين علي

(١) انظر البداية والنهاية ٣٥٤/١٣ والجوهر الثمين/ ٣١٦-٣١٩.

(٢) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك/ ٢٢٦-٢٢٧.



(١) (٧٧٨هـ - ٧٨٣هـ) الذي تولى وهو في السادسة من عمره وتوفي في الثانية عشر، برز اسم الأمير برقوق (٢) الذي استطاع أن يصل إلى منصب أتابك العسكري سنة (٧٨٠هـ)، وأصبح على جانب كبير من القوة والنفوذ، وكان بإمكانه أن يتولى السلطنة بعد وفاة السلطان علاء الدين ولكنه تظاهر بالزهد فيها لأنه رأى أن الأمور لم تتضح بعد بالإضافة إلى أنه كان له معارضون، وأعلن أن المصلحة تقتضي أن تبقى السلطنة في بيت قلاوون، فبايع أمير حاجي (٣) وكان في الحادية عشر من عمره سنة (٧٨٣هـ) وأعلنه سلطاناً، وأصبح برقوق هو صاحب الكلمة العليا ولم يبق له معاند، وأخيراً وجد برقوق أن الثمرة قد نضجت وأن الأحوال قد أصبحت مهيأة ليعلن نفسه سلطاناً، فاتخذ من صغر سن السلطان حجة وذريعة لذلك فعقد اجتماعاً في القلعة سنة (٧٨٤هـ) وحضره الخليفة العباسي (٤) والقضاة والأمراء، وتم خلع السلطان أمير حاجي بعد سنة ونصف من حكمه، وتمت مبايعة برقوق وإعلانه سلطاناً، وتقلد بلقب السلطان الظاهر (٥)

(١) هو الملك المنصور علي بن سلطان الملك الأشرف شعبان ابن الملك الأجدد حسين بن

السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالح، تولى المملكة بعد قتل أبيه وتوفي سنة ٧٨٣هـ. انظر الجواهر الثمين ٤٣٧-٤٥٥.

(٢) هو الملك الظاهر برقوق تولى المملكة سنة ٧٨٤هـ. انظر الجواهر الثمين / ٤٥٧ وتاريخ الخلفاء / ٥٠٤.

(٣) هو السلطان الملك الصالح حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، تولى المملكة بعد موت أخيه المنصور علي وكانت مدة مملكته سنة ونصف وخمسة عشر يوماً انظر الجواهر الثمين ٤٥٧.

(٤) الخليفة العباسي هو المتوكل علي الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد، انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي / ٥٠١.

(٥) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك ٤٠٥/٣.

وهكذا انتهى حكم بيت قلاوون وانتهى حكم دولة المماليك البحرية، وقامت دولة المماليك البرجية أو الجراكسة سنة (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م) وقد حكم المماليك الجراكسة مصر والشام والحجاز مدة قرن وثلاث من (٧٨٤ - ٩٢٢هـ) تعاقب على الحكم فيها أكثر من سبعة وعشرين سلطانا كانوا جميعا من الجراكسة ماعدا اثنين فقط، يرجعان إلى أصل يوناني هما قشقدم وتمريضا. وإذا كان سلاطين دولة المماليك البحرية قد حاولوا تطبيق مبدأ الحكم الوراثي في كثير من الأحيان، فأنا لا نجد له أثرا في عصر دولة المماليك البرجية، فقد كان سلاطين هذه الدولة أمراء أو زعماء أكثر منهم سلاطين، وكانت القوة والعصبية وضرب الطوائف ببعضها هي السبيل لاحتفاظ السلطان بعرشه، فإذا لم يمكنه ذلك ثار عليه أحد الأمراء الأقوياء وتولى مكانة وهكذا (١) ولذا فإننا نجد أكثر سلاطين هذه الدولة وخاصة في المرحلة الأخيرة كانت مدة حكم الواحد منهم أقل من سنة أو عدة شهور، بل ربما ليلة واحدة ويلاحظ أن السلطان الذي كان يتولى السلطة يأخذ العهد لابنه من بعده وغالبا ما يكون صغيرا فيكون له وصي أو نائب أو مدبر من كبار الأمراء يستبد بالأمور من دونه ثم لا يلبث أن يخلعه أو يقتله أو يتولى مكانه، ولذا لم تكن هناك بيوت أو أسر تولت السلطنة بالوراثة في هذا العصر فيما عدا السلطان الأول الظاهر برقوق الذي حكم ولدان له من بعده (٢) ، كما يلاحظ أيضا أن بعض سلاطين هذه الدولة كانوا يحكمون عدة مرات حيث يحكم السلطان ثم يخلع ثم يعيده مناصروه للحكم مرة ثانية وهكذا مثل الناصر محمد بن الأشرف قايتباي الذي

(١) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك / ٢٢٩.

(٢) التاريخ الإسلامي ٧ / ٧٢.

حكم مرتين لم تتجاوز كل مرة منهما السنة. وقد كان الخلع والسجن والقتل هي الأمور السائدة في حكم هذه الدولة، فقد خلع الظاهر قانصوه بعد سنة، وقتل جانبلاط قبل مرور سنة من تسلمه السلطنة، وخنق العادل طومان باي بعد عدة شهور ولذا أصبح الكثيرون يتخوفون من تولى السلطنة مثل الأشرف قانصوه الفوري الذي رفض وبكى خوفا من القتل رغم أنه كان قد جاوز الستين من عمره، ولم يتسلم السلطة إلا بعدما تعهد له الأمراء بالألا يقتلوه، ولكنه قتل على أيدي العثمانيين هو وخلفه طومان باي الذي كان آخر سلاطين هذه الدولة بعد معركة الريدانية التي احتل العثمانيون القاهرة على أثرها، وأزالوا المماليك عن السلطنة وتولوا حكم مصر وتنازل لهم العباسيون عن الخلافة، وانتقلت بذلك أنظار العالم الإسلامي إلى عاصمتهم استانبول التي غدت مركز الخلافة وأصبحت القاهرة مدينة عادية كغيرها من حواضر العالم الإسلامي بعد أن كانت مركزا للخلافة مثل بغداد ودمشق (١).

ولا شك في أن مصر قد قاست كثيرا في عهد الجراكسة من جراء هذه المنازعات المستمرة بين المماليك وصراعهم على السلطة مما أوجد جوا من القلق والاضطراب وعدم الاستقرار وبخاصة في القاهرة التي شهدت شوارعها كثيرا من المنازعات والاضطرابات والقتال، ومما زاد الأمور سوءا أن السلاطين كانوا في معظمهم عاجزين عن كبح جماح مماليتهم مما جعلهم لا يجدون وسيلة

(١) نفس المصدر ٧ / ٧٣.

للاحتفاظ بحكمهم سوى ضرب الطوائف المملوكية بعضها ببعض حتى يخلو الجو للسلطان ومماليكه فيعيشوا في الأرض فسادا (١). هذا ومن الملاحظ أن السلاطين حرصوا على حصر تلك المنازعات داخل دائرة ضيقة بحيث لا تتمكن قوة خارجية من التدخل في شئون البلاد أو غزوها، وهكذا استطاعت أن تصمد في وجه تيمور لذك في الوقت الذي اهتزت فيه جميع الدول القائمة في غرب آسيا أمام هجماته وضرباتته (٢).

ونستطيع أن نقول بأن الظاهرة الواضحة في تاريخ المماليك هي كثرة الفتن والدسائس والمؤامرات والمنازعات بين طوائفهم، وعدم الاستقرار يدلك على ذلك تعاقب السلاطين بسرعة واضحة، وللدلالة على ذلك فقد أطلق على بعضهم لقب (سلطان ليلة) فبعد عزل تمريضا اعتلى السلطان خيربك العرش في المساء، وعزل في الصباح التالي.

أن عدم الاستقرار في السياسة الداخلية ووجود سلاطين ضعاف حدا ببعض الطوائف أن تعيث في الأرض فسادا، ومن أبرز هذه الطوائف طائفة العربان، التي كانت تستغل مثل هذه الظروف ولنضرب مثالا على ذلك، ففي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (٧٥٢هـ) نهب عرب الصعيد الغلال ومعاصر السكر ومنع الناس من سلوك الطرقات وحصل من جراء فعلهم هذا قتل كثير (٣).

(١) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك / ٢٣٠.

(٢) نفس المصدر / ٢٣٠.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ٨٥٠/٢ وانظر حوادث أخرى في ٨٦١/٢، ٨٩٦/٢-٨٩٧.

وكان المماليك يحاولون جاهدين أخماد هذه الثورات بإرسال قوات تواجهها وتحاول القضاء عليها(١).

وقد تمت هذه الحوادث في خلال القرن الثامن الهجري. لقد كان اللون السياسي للعالم الإسلامي في القرن الثامن وخصوصا في مصر والشام هو اللون الذي اصطبغ به حكم المماليك.

وحكم المماليك كان حكما مطلقا، الحاكم فيه مستبد لا يصل إلى الحكم إلا بقوته، ومع ذلك فقد كان الواحد منهم يحرص على أن يكون تحت سلطان الدين يستمد من قوة الدين قوة، ويعلن حكمه بين الناس على ذلك. من هنا كنت ترى أن الوظائف الشرعية قائمة، والحسبة لها رجالها، والقضاء له سلطانه، بل حرص بعض السلاطين أن يكون حكمه برضاء العلماء، وقد كان (الظاهر بيبرس) الذي وضع قواعد الحكم لدولة المماليك يعني بسماع أقوال العلماء يستجيب لاستشوراتهم وينفذ آراءهم. ولقد عاصره عالمان جليلان كان كلاهما يستمتع بنفوذه عند العامة، أما أحدهما فقد كان الظاهر بيبرس له مطيعا وأما الثاني فقد صار له مغاضبا. فالأول العز بن عبد السلام فلقد كان بيبرس لا يستطيع أن يخرج عن أمره حتى أنه قال لما مات الشيخ (ما استقر ملكي إلا الآن) (٢).

وأما الثاني فهو الشيخ محيي الدين النووي الذي كان يصعد بالحق أمامه دائما.

(١) نفس المصدر ٢/٨٩٨-٨٩٩، ٢/٩٠٧-٩١٤ ففيها تفصيل كثير عن هجوم العربان وكيف

تصدى المماليك لهم.

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ٢/٦٦.

والعامّة لم يكن لهم من الأمر شيء فليس ثمة من يمثلهم في شورى  
وليس لهم أثر إيجابي في نظام الدولة. ومع ذلك لو لا اضطراب  
الأحوال بين المماليك أنفسهم والحروب التي خاضوها ضد جيوش  
التتار وغيرهم لساروا بالأمة في طريق الحكم الشورى الذي يكون  
للأمة فيه رأي يسمع وكلمة تقال.

هذه صورة موجزة عن الحالة السياسية في القرن الثامن الهجري  
وهي أن دلت على شيء فإنما تدل على الأهوال والنكبات التي مرت  
بها الأمة الإسلامية طوال ثلاثة قرون متلاحقة وأن توجت في نهاية  
الأمر بالنصر المؤزر والفتح المبين على أحزاب الشرك وجيوش  
الكفر والإلحاد.

\_ وسادسها: ما تجببه الحكومة على عروض التجارة الواردة إلى الموانئ المصرية والواردة منها، وكانت الرسوم الجمركية عن البضائع الواردة إلى الإسكندرية أو إلى دمياط يتراوح بين ١٠% - ٢٥% من قيمة البضائع الواردة، ولم يسر الممالك على نظام ثابت في تقدير هذه الرسوم، فقد كانت تخفض أحيانا إلى أقل من ذلك تشجيعا للتجارة (١)

وقد اهتم معظم سلاطين الممالك بالزراعة، فعنوا بأمر مقياس النيل وامروا بإنشاء الجسور وشق الترع لتوفير مياه الري للأراضي التي يتعذر وصول الماء إليها، وكانت الزراعة في ذلك العصر الحرفة الأولى لغالبية السكان والمورد الأول الذي عاش عليه معظم الأهالي، وقد أسيء استغلال الأرض أبشع استغلال حيث قسمت أرض مصر إلى أربعة وعشرين قيراطا أو قسما، كان السلطان يختص منها بأربعة، والأمراء بعشرة، وما تبقى يخص للأجناد، وقد روعي أن توزع الأرض على هيئة إقطاعات متفاوتة في مساحتها وفي خصوبة ومقدار ريعها (٢). ورغم العناية بالزراعة ومرافقتها في عصر الممالك، فقد عاش الفلاح المصري في ذلك العصر قنا مربوطا إلى الأرض التي يفلحها ويفني حياته في خدمتها ليس له من خيراتها إلا القليل، لأن خيرات البلاد ومحصولات الأراضي الزراعية كانت نهبا موزعا بين السلاطين والأمراء ومماليكهم (٣) وقد اهتم الممالك بالتجارة اهتماما كبيرا مما جعلها المصدر الأكبر للثروة الهائلة في

(١) نفس المصدر ٤٥٩/٣.

(٢) الأيوبيون والممالك في مصر والشام / ٢٦٥، ٢٧٠.

(٣) العصر الممالك في مصر والشام / ٢٧٨.

العصر المملوكي، ويرجع السبب في النشاط التجاري الذي تميزت به مصر في عصر المماليك إلى توقف معظم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب بسبب الزحف المغولي المدمر، فلم يبق إلا طريق البحر الأحمر ومصر مما جعل مصر تقوم بدور الوسيط في التجارة العالمية، لذا كان لمرور التجارة الهندية إذ ذاك عن طريق مصر أثر كبير في رواج تجارة مصر وزيادة ثروتها كما كانت مصدر رزق وخير لمصر وللمصريين. وهذه الثروة الضخمة التي تدفقت على خزائن المماليك تفسر لنا حياة البذخ والترف والنعيم في ذلك العصر (١). ومما يبين بوضوح رواج التجارة في مصر إذ ذاك كثرة الأسواق العامرة بمختلف أنواع البضائع الثمينة كالقراء الفاخر على اختلاف أنواعه وأثمانه وقد عدد المقريري من تلك الأسواق أكثر من خمسين سوق تعج بمختلف أنواع البضائع (٢).

ولقد ازدهرت الصناعة في عصر المماليك لكثرة الثروة ولاهتمامهم بها فبرزت صناعات كثيرة منها صناعة المنسوجات والفرش والبسط، وأصبح لهذه الصناعات شهرة عالمية في هذا المضمار (٣).

ولم تكن العناية بصناعة المعادن أقل منها بصناعة المنسوجات كما انتشرت صناعة تكفيت (تطعيم) البرونز والنحاس بالذهب والفضة وامتازت مصر كذلك في هذه الفترة بصناعة الزجاج وخاصة الزجاج الملون المستخدم في الشبائيك، كما كانت مصر من المراكز الأساسية

(١) تاريخ المماليك البحرية / ٤١٦.

(٢) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريرية ٤٥٩/٢-٤٨٢.

صبح الأعشى ٤٧٢/٣-٤٧٣.

(٣) المواعظ والاعتبار ٤٧٨/٢.



لصناعة الخزف في العالم الإسلامي إلا غيرها من الصناعات التي برزت في هذا العصر ولا بد من الإشارة هنا إلى الصناعات الحربية التي احتلت مكانا بارزا في النشاط الصناعي، وقد كان سوق السلاح من الأسواق المشهورة في القاهرة، وارتبط بالصناعات الحربية صناعة السفن، فقد حرص سلاطين المماليك على إنشاء أسطول بحري قوي، وكان الظاهر بيبرس من الذين اعتنوا عناية كبيرة بدور صناعة السفن، وصار ينزل بنفسه إلى دور الصناعة ويرتب ما يجب ترتيبه (١). ورغم الإزدهار الاقتصادي الذي ساد هذه الفترة إلا أنه كانت تتخللها بين الحين والحين نوبات من القحط والمجاعة والغلاء والوباء، ففي عام أربعة وثمانين وسبعمائة (٧٨٤هـ) مثلا حصل غلاء إلى أن عدم القمح والخبز وبيع القمح بمائة درهم إلا رديب. ثم تدارك الله تعالى العباد فدخل الشعير الجديد، فنزل السعر وانحط (٢).

وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة (٧٤٩هـ) كان الوباء العظيم الذي أباد العباد، وخرّب البلاد، لأنه ما سمع بمثله في السنين الخالية، ولأنه قد طبق الأرض وزاد على ما تقدمه من الطواعين وقد ماتت فيه القطط والكلاب والطيور والجمال ووحوش البر، وكان يموت كل يوم بالقاهرة خاصة فوق العشرين ألف إنسان، وانخفضت الأسعار فبلغ طحين الأردب القمح خمسة عشر درهما لقلّة الناس (٣) وقد كانت مصر بعد أن تمر بها النوبة تستعيد حياتها العادية وتستأنف رفاهيتها

(١) المواعظ والاعتبار ٣/١٣-١٤.

(٢) الجواهر الثمين ٤٥٦.

(٣) انظر البداية والنهاية ٧/٢٣٧-٢٣٨، والجواهر الثمين ٣٨٧-٣٨٨، والنجوم الزاهرة ١٠/

ويعود إليها الرفاء. وكثيرا ما كانت تغلس خزينة الدولة نتيجة التبذير والإسراف وتسلط الأمراء وأرباب الدولة على الأموال العامة، إذ تذكر المصادر أرقاما تفوق الوصف لثروات الأمراء (١)، كما استنفدت حفلات زفاف السلاطين والأمراء ومواكبهم للتنزه، وإنعاماتهم أموالا تفوق حد الخيال (٢).

ومن جهة أخرى كان من نتيجة ذلك الانتعاش الاقتصادي أن رصد سلاطين المماليك وأمراؤهم وأعيانهم الأموال الوفيرة لإنشاء الأريطة والسبل والمدارس والمساجد، وأوقفوا عليها الدور والأراضي والأموال، فنتج عن ذلك نهضة تعليمية تربوية كانت من مفاخر ذلك العصر، كما سنرى في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى.

(١) انظر مثلا (تركة سلار) في الجوهر الثمين ٣٤٢-٣٤٥.

(٢) السلوك المفرعة دول الملوك ٧٣٣/٢.

## المبحث الثالث

### الحالة الاجتماعية

اتصفت الحالة الاجتماعية في مصر في العصر المملوكي بأنها كانت حياة صاخبة نشطة مليئة بالحركة والحياة، ويمكن تميز سبع فئات تشكل طبقات المجتمع هي: المماليك والمعممون والتجار، وطوائف السكان وأرباب المهن في المدن، وأهل الذمة والفلاحون، والأقليات الأجنبية<sup>(١)</sup>. والمعروف أن المماليك ظلوا طبقة منفصلة عن سائر السكان فلم يتزوجوا من أهل البلاد بل اختاروا زوجاتهم وجواربهم من بنات جنسهم ولذا نجد أن نتيجة هذه العزلة أن كونت فجوة واسعة بين الحكام والشعب ذلك أن المصريين ظلوا طوال عصر المماليك لا يعنيه شيء من أمر الأحداث الكبرى الداخلية والخارجية التي أحاطت بمجتمعهم. وحسبهم ما يشهدونه من مواكب حافلة أو منازعات صاخبة بين طوائف المماليك، أما هم فقد أنشغل كل منهم في أداء واجبه، الفلاح في حقله، والتاجر في متجره، والفقير في مدرسته، ولم يحسب المماليك حسابا لأحد في سكان البلاد سوى فئة المعتمدين الذين أعطوهم حقهم من التقدير، رغم أن المماليك كانوا أحيانا يتتكرون لهم ولا يتورعون عن أهانتهم<sup>(٢)</sup>. وقد عاشت طبقة المماليك في ترف ورفاهية وثروة عظيمة حيث خلف كثير منهم عند وفاته القناطير المقنطرة من الذهب، عدا الأمتعة الثمينة والخيل وآلاف المماليك المشتراة<sup>(٣)</sup> وكمثال على ذلك نذكر تركة السلطات الملك الظاهر

(١) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك / ١١.

(٢) مصر في عصر دولة المماليك البحرية ١٥٧-١٥٨.

(٣) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك / ٦٣.

برقوق، فقد خلف من الذهب العين الف الف دينار وأربعمائة ألف دينار، و من الغلال والقنود والأعسال والسكر والثياب وأنواع الفرو ما قيمته أيضا ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار. وخلف من الخيل نحو ستة آلاف فرس، ومن الجمال نحو خمسة آلاف جمل، ومن البغال وحمير التراب عدة كبيرة. وبلغت عدة مماليكه المشتراة خمسة آلاف مملوك... الخ(١).

أما فئة المعتمدين المكونة من أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب فقد أمتازوا بنفوذهم لدى الدولة واحترام السلاطين لهم. فعاشوا في سعة وبسطة في الحياة لاستثمارهم بالوظائف الدينية والسياسية العليا، مثل مناصب قضاة القضاة والحسبة والوزارة وغيرها. وقد علل بعض زعماء المماليك احترامهم للعلماء لأنهم عرفوا بهم دين الإسلام، وفي بركتهم يعيشون(٢) وتمتعت فئة التجارة باحترام كبير ومكانة باذرة في مختلف المدن والبلاد المصرية: لما تمتعوا به من يسر ورخاء، ولأنهم كانوا الممولين الرئيسيين للدولة في أوقات الشدة، وكانت ثروتهم دائما مطمع سلاطين المماليك، فغالوا في فرض الرسوم عليهم، كما أكثروا من مصادرتهم ومن تلك الرسوم ما يؤخذ من التجار عند خروج الجند للغزو واكتظت المدن المصرية كذلك بجمهور كبير من الباعة والسوقة والسقائين والمكاريين والمعدمين أو أشباه المعدمين وهو ما يطلق عليهم في أغلب المصادر(العوام) وقد عاش هؤلاء في ضيق وعسر بالقياس إلا المماليك وغيرهم من الطبقات المنعمة، وكثيرا ما استفاد العوام من

(١) النجوم الزاهرة ١٢/١٠٦-١٠٧.

(٢) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ٢٨-٢٩.

المنازعات بين المماليك، وخاصة عندما كان يحاول بعض الأمراء اكتسابهم إلى جانبه (١).

أما أهل الذمة (اليهود والنصارى) فكانوا يمثلون إحدى فئات المجتمع، وقد احتفظ الأقباط بنظمهم الخاصة في الحياة، كما احتفظوا بكنائسهم الكثيرة في القاهرة وسائر بلاد القطر المصري واحتفظ اليهود كذلك بمعابدهم، وحافظوا على عوائدهم ونظمهم الموروثة ولم يتصرف أهل الذمة للهوان إلا في أوقات الشدة والاضطرابات والفتن، من ذلك ما ورد في البداية والنهاية أنه عندما استولى على الإسكندرية ورد مرسوم من الديار المصرية إلى نائب السلطة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم بعمارة ما خرب من الإسكندرية، ولعمارة مراكب تعزو الفرنج، فأهانوا النصارى وطلبوا من بيوتهم بصنف وخافوا أن يقتلوا، ولم يفهموا ما يراد لهم، فهربوا كل مهرب. وهنا يعقب ابن كثير على هذه الحادثة فيقول ( ولم تكن هذه الحركة شرعية، ولا يجوز اعتمادها شرعا، وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة... فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى فقال: أن بعض فقهاء مصر افتى للأمير الكبير بذلك، فقلت له: هذا مما لا يسوغ شرعا، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون لنا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار وأحكام الملة قائمة،

(١) النجوم الزاهرة ٥ / ٤٦٤.

لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد فوق ما يبذلونه من الجزية..  
الخ، ثم يذكر بعد ذلك أن الأموال ردت إلى أصحابها (١).

أما الفلاحون وهم السواد الأعظم من أهل البلاد فقد كانوا محتقرين  
مهملين، وعاشوا في حالة من الفقر والحرمان دون أن يتمتعوا  
بخيرات ما يزرعون (٢).

وبلغ الأعراب في مصر عددا عظيما في العصر المملوكي،  
وانتشروا في أنحاء البلاد، وظلوا طوال ذلك العصر عنوانا للأخلال  
بالأمن والأضرار بالنظام، والاعتداء على الأهالي الأمنين، ولم يسلم  
الحجاج من طريق ذهابهم وإيابهم من اعتداء العربان عليهم بالنهب  
والقتل، ولكن المماليك قاتلوهم ونكلوا بهم (٣).

وقد عاش في مصر مجموعة كبيرة من الأقليات الأجنبية واختاروا  
المدن التجارية مكانا لإقامتهم، و اشتغلوا إلى جانب التجارة بأعمال  
أخرى متنوعة (٤).

وكانت القاهرة والمدن الكبرى تفيض بالنشاط، فقد اعتمد سلاطين  
المماليك بتجميلها ونظافتها، وتنظيم الحياة التجارية بها. كذلك اهتم  
سلاطين المماليك بإنشاء كثير من المنشآت الاجتماعية المتنوعة مثل  
الفنادق والخانات والوكالات والاسيلة والحمامات والبيمارستانات  
والخوانق وغيرها. وقد شاركت المرأة مشاركة فعالة في المجالات

(١) انظر البداية والنهاية ١٤/٣٢٩-٣٣٠.

(٢) انظر المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ٤٨-٤٩.

(٣) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ٤٨-٤٩ وانظر الجوهر الثمين ٣٩٤-٣٩٥.

حيث يذكر ابن دقماق فساد العربان في بلاد الصعيد.

(٤) السلوك للمقرئزي ٦٤٠/٢.

العلمية والادبية، وبرزت في علوم الفقه والحديث واللغة وغيرها،  
وتحدثنا كتب التراجم عن كثيرات برزن في علوم شتى، ومن ناحية  
أخرى خرجت بعض النسوة إلى الشارع للغواية والفساد (١).  
ولقد تميزت الحياة الاجتماعية في مصر بكثرة الأعياد الدينية  
والوطنية المبالغ فيها، من إقامة الولائم والتصدق على الفقراء  
والمبالغة في إظهار السرور والفرح، وإقامة المواكب والزينات،  
وأقواس النصر، واستحضر المفتين لإقامة الاحتفالات. (٢).  
وأخيرا فلا بد من الإشارة إلى أن المجتمع المصري في عصر  
سلاطين المماليك ابتلي بكثير من الأمراض الاجتماعية التي انتشرت  
بين طبقات المجتمع حكما ومحكومين مثل الزنا وتعاطي المخدرات  
والرشوة والخمور، والمعتقدات الباطلة مثل الاعتقاد في قدرة المشليخ  
والأولياء والتطير والتشاؤم، الحسد والتعاويذ، وأيام السعد والنحس،  
والاعتقاد في قدرة الجن، والسحر، والتنجيم، وغير ذلك. (٣).

(١) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ١٢٨-١٣٢.

(٢) البتر المسبوك للسخاوي ١٣-١٤.

(٣) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ٢٣٩-٢٤٤.

## المبحث الرابع

### الحالة الدينية

لا شك أن للحالة الدينية تأثيراً على جميع أنواع الحياة في المجتمع، فلم يكن الدين بمعزل عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي، فقد كان قادة الأمة الحقيقيين هم علماء الإسلام متمثلين في رجال العلم والقضاة على اختلاف مذاهبهم ورغم أن الحكم الإداري كان لسلطين المماليك، إلا أن علماء المسلمين هم الذين كانوا يتورون لتصحيح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويتصلون بالحكام ويصطدمون معهم، وكان الشعب المصري أكثر طاعة لعلمائه وقضاته من غيرهم من الملوك والسلطين فقد كان العلماء هم الزعماء والمصلحين الذين يدافعون عن حقوق الشعوب ويبصرونه بهذه الحقوق (١) ومن هؤلاء العلماء: عز الدين بن عبد السلام (٢) ولعل في قوله الظاهر بيبرس ما يدل على مقدر هيبة العلماء عند السلطين المماليك، فإنه قال حين بلغه نبأ وفاته (ما استقر ملكي إلا الآن) ومن العلماء الذين اشتهروا بمواقفهم الجريئة أيضاً:

(١) الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ٦٨.

(٢) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عز الدين، الملقب

بسلطان العلماء، انظر الأعلام ٢١/١.



ابن دقيق العيد (١)، وعز الدين بن جماعة (٢) رحمهم الله تعالى جميعا، وكانت السلطات الحاكمة تستجيب للقادة من العلماء والفقهاء لأسباب كثيرة منها: أن سلاطين المماليك كانوا يعتمدون على الفقهاء ورجال العلم في الترويج للحروب مع الأعداء. وحض الناس على البذل والعطاء قبل المعركة، كما أن الفقهاء والعلماء كانوا يشتركون بأنفسهم في الحروب للتحريض على القتال وتبصير الجنود بمعنى الجهاد وبت الروح المعنوية فيهم (٣). وقد حاول سلاطين المماليك القضاء على الآثار الشيعية التي هي بقايا الدولة الفاطمية، وقد بذل الأيوبيون جهودا كبيرة في هذا السبيل ومع ذلك بقيت هناك آثار واضحة للتشيع حتى عصر المماليك، وقد اتبع سلاطين المماليك سياسة واضحة للقضاء على تلك الآثار الشيعية الباقية أدت إلى تخفيف آثار التشيع في البلاد والقضاء عليها رويدا رويدا، من ذلك ما فعله الظاهر بيبرس من تحريم أي مذهب ما عدا المذاهب السنية الأربعة، فكانت وظائف القضاء والخطابة والأمانة والتدريس والكتابة لا يرشح لها إلا أحد أتباع هذه المذاهب السنية، بل كانت لا تقبل شهادة أحد إلا إذا كان سنيا وقد حرص سلاطين المماليك على إنشاء المدارس ليجعلوا منها أداة لخدمة السنة ومذهبها، وكانت تدرس في هذه المدارس المذاهب الأربعة فقط. كذلك فقد كثرت المنشآت الدينية في هذا العصر من

(١) ابن دقيق العيد محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح، تفي الدين القشيري المعروف كايه وحده بان دقيق العيد. انظر الأعلام ٢٨٣/٦.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموي الدمشقي ثم المصري، صاحب مصنفات كثيرة توفي سنة ٧٦٧هـ انظر الأعلام ٢٦/٤.

(٣) الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ٦٨.

مساجد و خانقاوات وأربطة وزوايا، وكان هناك تنافس بين السلاطين والأمراء والأغنياء، من ذلك ما يذكر أن الناصر محمد بن قلاوون شيد ثمانية وعشرين مسجدا. ولم تكن المساجد في ذلك العصر للعبادة وإقامة الشعائر الدينية فقط، وإنما استخدمت كمدارس للتعليم (١).

وقد تميزت الحياة الدينية في عصر المماليك بظاهرة هامة وهي ظاهرة التصوف، فقد قدم إلى مصر في القرن السابع الهجري مجموعة من المتصوفة، معظمهم من المغرب والأندلس مثل أبي الحسن الشاذلي (٢)، وأبي العباس المرسي (٣)، والسيد أحمد البدوي (٤)، وقد وجدوا في مصر بيئة صالحة لنشر مذاهبهم في التصوف (٥). وقد كثر الصوفية في هذا العصر وانقسموا إلى فرق ومذاهب لكل فرقة شيخها ومذهبها وتعاليمها ومريدوها، وأقبل الكثيرون على هذا اللون الجديد من ألوان الحياة الدينية، ولم يقتصر ذلك على العوام بل أن العلماء اتجهوا هذه الوجهة وخير دليل على ذلك، الحافظ، العراقي حيث يذكر أنه قد سمع في محمد بن محمد بن عبد الكريم شمس الدين بن عطاء

(١) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك / ٢٧٢.

(٢) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة. انظر الأعلام / ٤ / ٣٠٥.

(٣) أحمد بن عمر المرسي، أبو العباس، شهاب الدين : فقيه متصوف من أهل الاسكندرية،

لأهلها فيه اعتقاد كبير إلى اليوم. انظر الأعلام / ١ / ١٨٦.

(٤) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي: المتصوف أصله من المغرب دخل مصر فاستقبله الظاهر بيبرس هو وعسكره وانتسب إلى طريقته هو وجمهور كبير انظر الأعلام / ١ /

١٧٥.

(٥) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك / ١٦٢-١٦٣.

أبو البركات الجزامي الاسكندري الشاذلي ولبس منه الخرقة. (١). هذا وقد أخذ سلاطين المماليك يعطفون على الصوفية ويقربونهم ويبشرون لهم الخانقاوات للعبادة ويقفون عليهم الأوقاف والرواتب من ذلك ما فعله السلطان الظاهر برقوق حيث جعل لمدرسته التي أنشأها بين القصرين عددا من الصوفية وجعل لهم مرتبات وفيرة (٢)، وقد كان لإزدياد تيار التصوف في مصر في العصر المملوكي أثره الخطير في الحياة الاجتماعية والفكرية، فقد اصطبغت بصيغة الزهد والتشفي والرجبة عن الدنيا والعزوف عنها والاتجاه نحو الآخرة والعمل لها، وترتب على ذلك أن انتشرت روح الاستكانة والقناعة بالقليل، والتذلل للحكام والأمراء بين العامة مما ظلت بقاياها في النفوس أمدا طويلا وهذا الأمر ليس على إطلاقه، والصوفية الحقة لا تعرف هذا ولكننا قلنا ذلك بناء على واقع الحال الذي كان سائدا آنذاك.

(١) انظر الدرر الكامنة ٤/٣٠٨، وفيها ترجمة للشيخ الشاذلي.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥/٦٠٠.

## المبحث الخامس

### الحالة العلمية

عرف المماليك أن العلم سياج الدولة وعمادها فعملوا على تشجيع العلوم وقربوا العلماء وأجزلوا لهم العطاء، فشهد عصرهم ازدهارا واسعا في الحركة العلمية والفكرية، وأصبحت مصر وعاصمتها القاهرة مركزا لنشاط علمي واسع النطاق، وذلك بسبب ما أصاب بلاد العالم الإسلامي، وبخاصة في العراق والشام والأندلس من تخريب وتدمير على أيدي المغول والصليبيين فغدت مصر هي البلد الآمن الذي رحل إليه معظم علماء المسلمين، وهي مركز الخلافة العباسية، وصارت محل سكن العلماء ومحط الرجال الفضلاء.(١).

وإذا كانت الأوضاع السياسية تعتبر سببا رئيسيا في تجميع صفوة العلماء في مصر، فقد كانت الأوضاع الاقتصادية أيضا عامل جذب آخر، لما تمتعت به مصر من مركز اقتصادي ممتاز ساعد سلاطين المماليك على الإنفاق على المؤسسات التعليمية والعلماء وطلبة العلم بسخاء، كما أن توافر المناخ الفكري، وحرية العلماء في البحث والدرس، شجع كثيرا من العلماء على القدوم إلى مصر والمشاركة في النهضة العلمية. وبالرغم من أن المماليك كانوا طبقة حاكمة من أصول غير عربية إلا أنهم اهتموا بالحركة العلمية اهتماما واضحا، وكان لهم الأثر الكبير في ازدهارها، من ذلك ما يروي عن شغف بعضهم بسماع التاريخ كالسلطان الظاهر بيبرس، وحرص بعضهم على عقد الندوات والمجالس العلمية والدينية والمشاركة فيها كالسلطان

(١) حسن المحاضرة ١٦/٢.

الغوري، وقد وجد منهم من اشتغل بالعلم والتدريس (١). ولعل أوضح ما يدل على ازدهار الحركة العلمية في العصر المملوكي، تلك الثروة العلمية من الكتب والمؤلفات التي وصلتنا من ذلك العصر في شتى العلوم والمعارف، وقد كان هناك إقبال شديد من العلماء على تأليف الموسوعات الضخمة التي تشتمل على كثير من المعلومات المتنوعة، مثل كتاب (صبح الأعشي في صناعة الإنشاء) لمؤلفه القلقشندي، وكتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) لشهاب الدين النويري المتوفى سنة اثنتان وثلاثين وسبعمائة. وهذا الكتاب موسوعة ضخمة تقع في نيف وثلاثين مجلدة. وألف ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة للهجرة، موسوعته المشهورة (مسالك الأبصار في ممالك الأنصار) وتقع في بضعة وعشرين مجلدة. تناولت فنون الأدب والتاريخ والجغرافيا والتاريخ الطبيعي وغير ذلك، وهذا بالإضافة إلى ما كتبه جلال الدين السيوطي، من مؤلفات يضيق المقام عن ذكرها. وهناك مؤلفات كثيرة في شتى العلوم والمعارف لكثير من العلماء، ففي اللغة ظهر الكثيرون وعلى رأسهم جمال الدين بن منظور المتوفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة للهجرة صاحب المعجم المشهور (لسان العرب)، كما اشتهر من علماء النحو (ابن هشام) المتوفى سنة إحدى وستون وسبعمائة للهجرة.

وكانت للعلوم الإسلامية نصيبها الوافر من تلك الحركة العلمية الواسعة فظهر في القراءات كتاب النشر في القراءات العشر، وفي التفسير كتب أبو حيان (البحر المحيط) والذي سنأت بذكره مفصلاً، أما

(١) عبد الوهاب عزام: مجالس الغوري / ٤٩، والمجمع المصري في عصر سلاطين المماليك /

في الحديث فكتب الحافظ ابن حجر ( فتح الباري)، وغير هؤلاء  
كثير. وأن للعلماء كتباً كثيرة في الفقه في مختلف المذاهب، وفي  
الأصول وغيرها من العلوم بما يضيق المكان عن إحصائها.

## خاتمة التمهيد

ومن نافلة القول أن أختم هذا التمهيد وجميع مباحثه بقصة كان لها الأثر الكبير في النفوس والحدث العظيم وددت أن لا أجعلها ضمن مبحث من المباحث السابقة حتى تكون لها استقلالية تامة، وإذا فاتني شيء من أهم مظاهر القرن الثامن الهجري فلا يفوتني ما كان من الشيخ أبو العباس تقي الدين بن تيمية من علم وفهم وإدراك وثبات على الحق والقول الجريء أمام السلطان وكان ذكيا كثير الحفظ، فصار إماما في التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه والأصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية وقد أثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره مثل القاضي الخوي، وابن دقيق العيد، وابن النحاس والقاضي الحنفي قاضي مصر ابن الحريري، وابن الزمكاني وغيرهم. وستأتي ترجمته فيما بعد إنشاء الله تعالى. ولكن نذكر هذه القصة وهي قصة وفاته وباعتبارها حدثا كبيرا من الحوادث التي لا تغفل ولا تنسى في ذلك القرن واختم بها حديثي:

حيث كانت وفاته في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة (٧٢٨هـ) بسجن القلعة بدمشق بالقاعة التي كان محبوسا بها وحضر جمع كثير إلى القلعة، وأذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقراءوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصرن على من يغسله، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع وامتأ الجامع أيضا وصحنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين

والغوارة، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك و وضعت في الجامع، والجند قد اختلطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلى عليه أولاً بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تمام، ثم صلى عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له، والقي الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم و ثيابهم.

وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، و صار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى تمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة: باب الفرج الذي أخرجت منه الجنازة، وباب الفرديس، وباب النصر، وباب الجابية. وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله وكان دفنه قبل العصر بيسير، وذلك من كثرة من يأتي ويصلى عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا



من كان عاجز عن الحضور، مع الترحم والدعاء له، وأنه لو قدر ما تخلف، وحضر نساء كثيرات بحيث قدرن بخمسة عشر ألف امرأة، ما غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن، والجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل. وأما الرجال فحزروا ما بين المائة ألف إلى المائتي ألف، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير، وتضرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد، وتردد الناس على قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا يبيتون عنده ويصبحون، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ورثاه جماعة بقصائد كثيرة. ووجدت (١) بخط ابن الزمكاني أنه قال:

ماذا يقول الواصفون له      وصفاته جلت عن الحصر  
هو حجة الله قاهرة      هو بيننا أعجوبة الدهر  
هو أية في الخلق ظاهرة      أنوارها أربت على الفجر.  
فرحم الله تعالى شيخنا ابن تيمية رحمة واسعة وأجزل له العطاء على  
ما أسداه لنا من علوم وفنون سيما التفسير الكبير للقرآن الكريم جعله  
الله في ميزان أعماله وممن لا ينقطع عمله حتى قيام الساعة.

(١) المحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٤ / ١٤٠-١٤٢.

## الباب الأول

يتضمن هذا الباب المفسرين الذين لهم كتب مطبوعة وتفسيرات وصلت إلينا فقسمتها إلى عدة فصول كل فصل يخص واحدا من المفسرين، وينقسم إلى مبحثين الأول يتضمن ترجمة للمفسر أما المبحث الثاني فيتضمن منهج المفسر وطريقته في التفسير وهكذا تنقسم جميع الفصول بالنسبة لجميع المفسرين الذين عثرت على تفاسير لهم، وهم:

- ١- الفصل الأول النسفي (.... - ٧١٠هـ).
- ٢- الفصل الثاني ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ).
- ٣- الفصل الثالث النيسابوري (.... - ٧٤١هـ).
- ٤- الفصل الرابع الخازن (٦٧٨ - ٧٤١هـ).
- ٥- الفصل الخامس ابن جزي الكلبي (٦٩٣-٧٤١هـ).
- ٦- الفصل السادس أبو حيان الأندلسي (٦٥٤-٧٤٥هـ).
- ٧- الفصل السابع ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ).
- ٨- الفصل الثامن ابن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤هـ).

وقبل أن أبدأ بالفصول والمباحث التي خصصتها للمفسرين وطريقاتهم ومنهجهم في التفسير، رأيت من الضرورة بمكان أن أقدم مقدمة بسيطة في أنواع التفسير وإليك هي:

## مقدمة في أنواع التفاسير

كانت المحاولات الأولى للتفسير تعتمد على المأثور من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن السلف، ثم تدرج التفسير بعد ذلك لتدوين العلوم العقلية إضافة للتفسير النقلى، وبدأ هذا الجانب يتضخم شيئاً فشيئاً متأثراً بالمعارف العامة، والعلوم المتنوعة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، وامتزج كل ذلك بالتفسير وتحكمت الاصطلاحات العلمية والعقائد بالمذهبية بعبارات القرآن الكريم، وظهرت الاصطلاحات العلمية والعقائد المذهبية بعبارات القرآن الكريم، وظهرت آثار الثقافات والفلسفات في تفاسير القرآن، وراح كل من برع في فن من الفنون يفسر القرآن على الفن الذي برع فيه:

### ١- التفاسير اللغوية:

فاللغوي، والنحوي يهتم بجانب الإعراب ووجوهه، والنحو ومسائله وفروعه وخلافياته، ويكثر من الشواهد النثرية والشعرية كما فعل الزجاج، والواحدى في البسيط، وأبو حيان في البحر المحيط.

### ٢- التفاسير العقلية:

ومنهم من عنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، ويذكر شبيههم والرد عليهم، كما فعل الفخر الرازي في تفسير مفاتيح الغيب.

### ٣- التفاسير الفقهية:

وهي التي عني مؤلفوها باستنباط الأحكام الفقهية من أدلتها، وإيراد الفروع الفقهية كل وفق مذهبه مع الرد على من خالفه من أصحاب المذاهب الأخرى كما فعل الجصاص الحنفي في أحكام القرآن، والقرطبي المالكي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

#### ٤- التفاسير التاريخية:

وهي التي عني مؤلفوها بالقصص، وأخبار الأمم السابقة، كما فعل الثعلبي والخازن.

#### ٥- تفاسير الفرق:

وهي التي وضعها أصحاب الفرق والعقائد المتباينة، محاولين تأويل كلام الله حسب مذاهبهم، كما فعل الرماني، والجبائي، والقاضي عبد الجبار، والزمخشري.

#### ٦- تفاسير المتصوفة:

وهي التي قصد مؤلفوها نواحي الترغيب والترهيب، واستنباط الأسرار الباطنية والإشارات الرمزية، كما فعل ابن عربي، وأبو عبد الرحمن السلمي.

#### ٧- التفسير بالمأثور:

أو التفسير النقلى وهو تفسير القرآن بما جاء في القرآن نفسه من تبيلن لبعض آياته، وبما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. وقد كان هذا النوع من التفاسير أولها ظهوراً كما تدرج خلال تطور هذا العلم من الرواية في عصر الصحابة والتابعين إلى التدوين في القرن الثاني، لأن الحديث كان أول ما اهتم العلماء بتدوينه، ثم لما انفصل التفسير عن الحديث وأُفرد بتأليف خاص كان أول ما ظهر فيه صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ثم ظهرت أجزاء في التفسير كجزء أبي روق، وأجزاء محمد بن ثور عن ابن جريج<sup>(١)</sup>، ثم ظهر التأليف الموسوعي في

(١) الاتقان للسيوطي ٢ / ٨٨.

التفسير الذي جمع أصحابه فيه كل ما روي من التفسير المأثور كتفسير ابن جرير الطبري، وتوسع أصحابها في النقل وأكثروا منه بالأسانيد المتصلة حتى استفاض.

ثم وجد بعد ذلك أقوام دونوا التفسير بالمأثور بدون ذكر الأسانيد، وأكثروا من نقل الأقوال بدون التفرقة بين الصحيح وغيره، مما أفقد الثقة بها، وبخاصة عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب، حتى نقل عنه الإمام الشافعي قوله (لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث) (١)، وهو عدد لا يكاد يذكر أمام ما يروي عن ابن عباس في التفسير، وهذا يدل على مبلغ ما دخل في التفسير بالمأثور من الروايات الموضوعة والإسرائيليات، ولقد كانت كثرة الروايات أكبر عامل في صرف همة العلماء إلى البحث والتمحيص، والنقد والتعديل والتجريح، وترجع أسباب الضعف في رواية التفسير بالمأثور إلى كثرة الوضع، ودخول الإسرائيليات.

أما الوضع فقد كان مصدره أهل البدع والأهواء والفرق، والأقوام الذين دخلوا في الإسلام ظاهرا وهم يبطنون الكفر بقصد الكيد له وتضليل أهله، فوضعوا الروايات الباطلة في تفسير القرآن ليصلوا إلى أغراضهم، فكثرت الروايات، وضمن مؤلفوا التفاسير هذه الروايات في كتبهم دون تحر منهم لصحة أسانيدها، لأن منهجهم في التأليف كان إيراد كل ماورد من الروايات في الآية الواحدة تاركين أمر تمحيصها لتقافة القاريء. ولقد بذل المحدثون في هذه الفترة جهودا جبارة في مقاومة الوضع وتمييز الصحيح من الروايات عن غيره، ووضعوا في ذلك التصانيف، وأنشأوا علم مصطلح الحديث، ووضعوا

(١) نفس المصدر ٢ / ١٨٩.

قواعد دقيقة جدا لمعرفة الصحيح من غيره حتى ميزوا الصحيح من الموضوع فحظ الله بهم دينه (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

#### ٨ - التفسير بالإسرائيليات:

وأما الإسرائيليات فيمكن تعريفها بأنها الروايات المأخوذة عن اليهود والنصارى في أخبار أممهم السابقة وقصص أنبيائهم وأن كان الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره، وغلب على الجانب النصراني بسبب أغلبية اليهود في ذلك الوقت واختلاطهم مع المسلمين في بلادهم، ولقد نزل القرآن بموضوعات وردت في التوراة والإنجيل، كقصة آدم عليه السلام ونزوله إلى الأرض، وقصة موسى عليه السلام مع قومه اليهود، وقصة عيسى عليه السلام وأمه مريم، كل ذلك ورد في القرآن الكريم موجزا يقتصر على ذكر العظة والعبرة من قصصهم دون التعرض لتفاصيل قصصهم وقد وجد المسلمون تفصيل هذا الإيجاز عند أهل الديانات السابقة بما لا يتعارض مع شريعتهم، فلجأوا إليهم، واقتبسوا منهم، دون تحر منهم لصحة هذه الأخبار. وقد أخبر الله تعالى في القرآن أن أهل الكتاب قد حرفوا كتبهم فقال ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) (١)، وقال (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (٢)، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه الموقف الواجب اتخاذه تجاه أهل الكتاب فقال

(١) سورة النساء الآية ٤٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٧٩.

( لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ) (١)، ولكن المسلمين تساهلوا في الأخذ عن أهل الكتاب وهكذا دخلت الإسرائيليات في كتب التفسير، وكانت مصادر الاسرائيليات تدور حول أربعة أشخاص هم عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج. (٢).

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧-١٩ م.

## الباب الأول

### الفصل الأول

# ( النسفي )

(..... — ٧١٠هـ—)

ويتضمن بمحتين:

المبحث الأول / ترجمة الإمام النسفي

المبحث الثاني / النسفي ومنهجه في التفسير



## المبحث الأول

### ترجمة النفسى (١)

(..... — ٧١٠هـ).

هو عبد الله بن أحمد بن محمود النفسى علامة الدنيا أبو البركات ذكره الحافظ، عبد القادر فى طبقاته فقال أحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة فى الفقه والأصول له المستصفى فى شرح المنظومة وله شرح النافع سماه بالنافع وله الكافى فى شرح الوافى والوافى تصنيفه أيضا وله كنز الدقائق وله المنار فى أصول الفقه وله العمدة فى أصول الدين تفقه على شمس الأئمة الكردى وروى الزيادات عن أحمد بن محمد العتابى سمع منه الصغناقى انتهى.

قلت (٢) (أى ابن حجر) وهو ممن يلزم المؤلف ذكره فإنه توفي ليلة الجمعة من شهور ربيع الأول سنة ٧٠١هـ ودفن ببلدة أيدج فاما أن المؤلف لم يقف عليه أو أهمله لكونه حنفيا فإنه يصنع فى الغالب كذلك وكثيرا أما يدلس ذكر مذهبه أو ينكت عليه. وقد أورد ترجمته مولانا محمد طاهر (٣) فقال: "ذكره الحافظ عبد القادر فى طبقاته فقال أحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة فى الفقه والأصول توفي فى بلدة أيدج سنة عشرة وسبعمائة للهجرة وهو الأرجح عندي.

(١) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ٢ / ٢٤٧ ترجمة

٢١١٨.

(٢) نيل السائرين فى طبقات المفسرين لمولانا محمد طاهر ، إسلامى كتب خانة بازار قصة

خوانى بشاور/ ص ١٦٣.

(٣) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦ / ٣٢، الأعلام ٤ / ٦٧،

ويقول صاحب معجم المفسرين (١) كان مفسرا متكلم أصولي من فقهاء الحنفية من أهل أيدج كوره وبلده بين خوزستان وأصبهان ونسبة إلى (نسف) من بلاد السند بين جيحون وسمرقند. تتلمذ لشيوخ كثيرين ورحل إلى بغداد قال في (الفوائد البهية) كان إماما عديم النظير في زمانه رأسا في الفقه والأصول بارعا في الحديث ومعانيه من كتبه (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) في التفسير مطبوع وهو كتاب وسط يعرض لوجوه الإعراب والقراءات ولشيء في البيان والبدیع معولا فيه على آراء أهل السنة والجماعة.

---

(١) معجم المفسرين ٢ / ٣٠٤.

## المبحث الثاني

### منهج النسفي وطريقته في التفسير

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

هذا التفسير، اختصره النسفي رحمه الله من تفسير البيضاوي ومن الكشاف للزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات. وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة، وهو تفسير وسط بين الطول والقصر، جمع فيه صاحبه بين وجوه الإعراب والقراءات، وضمنه ما اشتمل عليه الكشاف من النكت البلاغية، والمحسنات البديعة، والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية، وأورد فيه ما أورده الزمخشري في تفسيره من الأسئلة والأجوبة، لكن لا على طريقته في قوله: ( فإن قيل ... قلت ) بل جعل ذلك في الغالب كلاما مدرجا في ضمن شرحه للآية. كما أنه لم يقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف في ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور. وبهذا فإن النسفي جمع تفسيراً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات، حافلاً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة. هذا وقد أورد النسفي في مقدمة تفسيره عبارة قصيرة أوضح فيها عن طريقته التي سلكها فيه، وأرى أن أسوقها بنصها لتمام الفائدة.

قال رحمه الله تعالى ( قد سألتني من تتعین إجابته، كتاباً وسطاً في التأويلات جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات، حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، وكننت

أقدم فيه رجلا وأوخر أخرى، استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذ السبيل الخدر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة، وأتمته في مدة يسيرة، وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل (١)

والمتتبع لهذا التفسير يجده موجز العبارة سهل المأخذ، مختصرا من تفسير الكشاف، جامعا لمحاسنه، متحاشيا لمسائره، ومن تفسير البيضاوي أيضا حتى أنه ليأخذ عبارته بنصها أو قريبا منها ويضمنها تفسيره.

### بحثه في المسائل الفقهية:

كذلك عند تفسيره لآية من آيات الأحكام نجده يصرح للمذاهب الفقهية التي لها تعلق وارتباط بالآية، ويوجه الأقوال ولكن بدون توسع، حيث أن مبدئه الإيجاز والاختصار في تفسيره.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله...} (٢) هو مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا (قل هو أذى) أي المحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه (فاعتزلوا النساء في المحيض) فاجتنبوهن أي فاجتنبوا مجامعتهن وقيل أن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يباليون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله بالاعتصام بين الأمرين ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الأزار ومحمد رحمه الله لا يوجب إلا اعتزال الفرج وقالت عائشة رضي الله عنها

(١) تفسير النسفي ١ / ٢.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ( ولا تقربوهن ) مجامعين أو لا تقربوا مجامعتهن ( حتى يطهرن ) بالتشديد كوفي غير حفص أي يغتسلن وأصله يتطهرن فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما غيرهم يطهرن أي ينقطع دمهن والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملاً بقراءة التخفيف وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف وعند الشافعي رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى ( فإذا تطهرن فاتوهن ) فجامعوهن فجمع بينهما ( من حيث أمركم الله ) من المأتي الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل (١).

وهو ينتصر لمذهبه الحنفي ويرد على من خالفه في كثير من الأحيان، و للوقوف على أمثلة لذلك يمكن الرجوع إلى تفسيره لقوله تعالى ( والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء... ) (٢) (ثلاثة قروء) جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام (دعي الصلاة أيام أقرائك) وقوله ( طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ) ولم يقل طهران وقوله تعالى: واللاتي ينسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر. فأقام الأشهر مقام الحيض دون الإطهار ولأن المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يسبترأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ولأنه لو كان طهرا كما قال الشافعي لا نقضت العدة بقراين وبعض الثالث

(١) تفسير النسفي ١/١١١.

(٢) سورة البقرة ٢٢٨.

فانتقص العدد عن الثلاثة لأنه إذا طلقها لآخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده وإذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا، والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقريء وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على الظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقرء لاشتراكهما في الجمعية اتساعا ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقرء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل (١).

وعند تفسيره لقوله تعالى: { وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح... } (٢).

أن مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر أي من قبل مسكم إياهن (وقد فرضتم) في موضع الحال (لهن فريضة) مهرا (فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون) يريد المطلقات وأن مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعفون والنساء يعفون أن الواو في الأول ضمير هم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل (أو يعفوا) عطف على محله (الذي بيده عقدة النكاح) هو الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح

(١) تفسير النسفي ١ / ١١٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

ومجاهد وأبي حنيفة والشافعي على الجديدي رضي الله عنهم وهذا لأن الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده والمعنى أن الواجب شرعا هو النصف إلا أن تسقط هي الكل أو يعطي هو الكل تفضلا وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي قلنا هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى { أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم } (٢) بعض مكان سكتكم (من وجدكم) سكتكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكتتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطبقونه والوجد الوسع والطاقة وقريء بالحركات الثلاث المشهور الضم. والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها ابنت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لها السكنى والنفقة. (٣)

### بحثه في المسائل النحوية:

وفعلا كما يقول في مقدمته جامعا بين الإعراب والقراءات، غير أنه من ناحية الإعراب لا يستطرد كثيرا. ولا يزوج بالتفاصيل النحوية في تفسيره كما يفعل غيره، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة

(١) تفسير النسفي ١ / ١٢١.

(٢) سورة الطلاق الآية ٦.

(٣) تفسير النسفي ٤ / ٢٦٦.

( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ) (١).

أي يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام (قتال فيه) بدل الاشتغال من الشهر وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله: للذين استضعفوا لمن آمن منهم (قل قتال فيه كبير) أي إثم كبير قتال مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لأنها قد وصفت بفيه وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ( وصد عن سبيل الله) أو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ ( وكفر به) أي باثقه عطف على صد ( والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله أي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء في به أي كفر به وبالمسجد الحرام ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار فلا تقول مررت به وزيد ولكن تقول مررت به وبزيد ولو كان معطوفا على الهاء لقليل وكفر به وبالمسجد الحرام (٢).

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى { وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها } (٣) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوف النجم ويجوز أن يكون

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧.

(٢) تفسير النسفي ١ / ١٠٧-١٠٨.

(٣) سورة هود الآية ٤١.



بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أي باسم الله اجراءها وارساؤها وكان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى إما مصدر أو وقت حمزة وعلي و حفص وبضم الله الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (١).

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى ( ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ) (٢) يريد لبثهم فيه إحياء مضروبا على أذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على أذانهم في الكهف سنين عددا و سنين عطف بيان لثلاثمائة. ثلاثمائة سنين بالإضافة حمزة و علي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسوين أعمالا ( وازدادوا تسعا ) أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لأن زاد تقتضي مفعولين فازداد ويقتضي مفعولا واحدا (٣). ومثالا أخيرا ولو أن الأمثلة على ذلك كثيرة لا يتسع إليها المقام عند تفسيره بقوله تعالى { سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم } (٤) وسين الاستقبال وأن دخل في الأول دون الاخرين منهما داخلان في حكم السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنا التوقع في الفعلين جميعا أو أريد

(١) تفسير النسفي ٢ / ١٨٨.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٥.

(٣) تفسير النسفي ٣ / ١٠.

(٤) سورة الكهف الآية ٢٢.

بفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ثلاثة خير مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وما ثامنهم كلبهم رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة النكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثمانهم كلبهم قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليلا أن الله تعالى اتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله قل ربي أعلم بعدتهم أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثمانهم كلبهم (١).

### موقفه من القراءات:

وأما من ناحية القراءات فهو ملتزم للقراءات السبع المتواترة مع نسبة كل قراءة إلى قارئها ولم يعرج على القراءات الشاذة قطعاً. مثال على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: { وانظر إلى العظام كيف ننشزها } (٢)، أي نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب و(ننشزها)

(١) تفسير لنسفي ٣ / ٨ - ٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩.

بالراء حجازي وبصري نحييها(١).

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {وترى الشمس إذا طلعت تزاور} (٢)

بتخفيف الزاي كوفي، تزور شامي، تزاور غيرهم، واصله تتزاور

مخفف بادغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل

ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق(٣).

وعند تفسيره لقوله تعالى: {ولملائت منهم رعبا} (٤) وبتشديد

اللام(ولملائت) حجازي للمبالغة(رعبا) تميز وبضم العين شامي وعلى

وهو الخوف الذي يرعب الصدر(٥) وعند تفسيره لقوله تعالى(وكان

له ثمر) (٦)أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره أي كانت له إلى

الجننتين الموصوفتين الأموال الكثيرة في الذهب والفضة وغيرهما له

ثمر واحيط بثمره بفتح الميم والتاء عاصم وبضم التاء وسكون الميم

أبو عمر وبضمهما غيرهما(٧)وعند تفسيره لقوله تعالى{وما انذروا

هزوا}(٨)موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حمزة وبإبدال الهمزة

واوا حفص وبضم الزاي والهمزة غيرهما(٩)+.

(١) تفسير النسفي ١/١٣٢.

(٢) سورة الكهف الآية ١٧.

(٣) تفسير النسفي ٣/٥.

(٤) سورة الكهف الآية ١٨.

(٥) تفسير النسفي ٣/٦.

(٦) سورة الكهف الآية ٣٤.

(٧) تفسير النسفي ٣/١٣.

(٨) سورة الكهف الآية ٥٦.

(٩) تفسير النسفي ٣/١٧.

وعند تفسيره لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} (١)، فتوقفوا فيه، وتطلبوا بيان الأمر وإنكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق، وعند حمزة وعلي (فتثبتوا) والتثبت والتبيين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (٢).

وعند تفسيره لقوله تعالى: {الذين يظاهرون منكم من نسائهم} (٣) عند عاصم يظهرون حجازي وبصري وعند غيرهم يظاهرون (٤).

وعند تفسيره لقوله تعالى: {قل هل لك إلى أن تزكى} (٥) هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان، وبتشديد الزاي حجازي تزكى (٦). وعند تفسيره لقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) (٧) أي فتحت، وبالتخفيف مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب. والمراد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم (٨) وفي قوله تعالى {وإذا الجحيم سعرب} (٩) أي أوقدت أيقادا شديدا. وبالتشديد شامي ومدني وعاصم غير حماد ويجي للمبالغة (١٠).

(١) سورة الحجرات الآية ٦.

(٢) تفسير النسفي ٤ / ١٦٨.

(٣) سورة المجادلة الآية ٢.

(٤) تفسير النسفي ٤ / ٢٣١.

(٥) سورة النازعات الآية ١٨.

(٦) تفسير النسفي ٤ / ٣٣٠.

(٧) سورة التكوير الآية ١٠.

(٨) تفسير النسفي ٤ / ٣٣٥.

(٩) سورة التكوير الآية ١٢.

(١٠) تفسير النسفي ٤ / ٣٣٦.

وفي قوله تعالى {وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين} (١) أي إذا رجع إلى الكفار ومنازلهم انقلبوا فكهين مبتلذين بذكرهم والسخرية منهم. وقرأ غير حفص {فاكهين} أي فرحين (٢).

### موقفه من الإسرائيليات:

ومما نلاحظه على هذا التفسير أنه مقل جدا في ذكره للإسرائيليات وما يذكره من ذلك يمر عليه بدون أن يتعقبه أحيانا، وأحيانا يتعقبه ولا يرتضيه. فمثلا نجده عند تفسيره لقوله تعالى {وورث سلمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير} (٣) تشهيرا لنعمة الله تعالى واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وكان سليمان عليه لاسلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض، روي أنه صاحت فاخنة فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاؤوس فقال: يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال: يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف فقال: يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال: تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه وصاح قمرى فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وقال: الحدأة تقول كل شيء هالك إلا الله. والقطاة تقول من سكت سلم. والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت أخرجك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس

(١) سورة المطففين الآية ٣١.

(٢) تفسير السنفي ٤ / ٣٤٢.

(٣) سورة النمل الآية ١٦.

والضفدع تقول سبحان ربي القدوس (١)، ثم ينتقل إلى الآية التي بعدها بدون أن يتعقب ما ذكره من ذلك كله.

وعند تفسيره للآية التي بعدها قوله تعالى {وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون} (٢) روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجنة وخمسة وعشرون للإنس وخمس وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسحا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقصد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه حر الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء إلا القته الريح في سمعك، فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إني جئت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحه واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود. (٣)

(١) تفسير النسفي ٣ / ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) سورة النمل الآية ١٧.

(٣) تفسير النسفي ٣ / ٢٠٥.

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون} (١) بقبولها أم بردها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم فإن كان ملكا قبلها وانصرف وإن كان نبيا ردها ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن راكبي خيل مغطاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان واللف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكلا بالدرر والياقوت وحقا فية درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رسلا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى: بم يرجع المرسلون. وكتبت كتابا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه إن كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف وأخبر بما في الحق واثقب الدرّة ثقبا واسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر أن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره وإن رأيته بشاشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدد وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فضربوا لبنات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفة من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبانات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي في جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم سليمان بوجه طلق فاعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق

(١) سورة النمل الآية ٣٥.

فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم(١). نرى من خلال القصة خبر هدية بلقيس لسليمان وما كان من امتحانها له، وهو خبر اشبه ما يكون بقصة نسجها خيال شخص مسرف في تخيله، ومع ذلك فلا يعقب عليها الإمام النسفي في شيء ولو بكلمة واحدة.

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى: { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط } (٢).

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن أمراته فيتزوجها إذا أعجبتهم وكان لهم عادة في المواساة بذلك وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له أنكم مع عظم منزلتك وكثرة نساءك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فأثره أهلها فكانت زلته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكي أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة البلقاء وأحب

(١) تفسير النسفي ٣ / ٢١١.

(٢) سورة ص الآية ٢١، ٢٢.



أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أمناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء وقال على رضي الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال أن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتبس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترنا على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريف دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة. (١).

ومثال عند تفسيره لقوله تعالى {ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب} (٢) قيل فتن سليمان بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين أن عاش لم ينفك في السخرة فسبيلنا أن تقتله أو نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحابة خوفا من مضرة الشياطين فألقى ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في أن لم يتوكل فيه على ربه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : " قال سليمان لأطوفن الليلة

(١) تفسير النسفي ٤ / ٣٧-٣٨.

(٢) سورة ص الآية ٣٤.

على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسية فوضع في حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون".  
وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (١). ففي هذه الآية الأخيرة وما قبلها نجد النسفي رحمه الله يتصدى للتنبية والرد على القصص المكذوب الذي يتنافى مع عصمة الأنبياء، ولا يتساهل هنا كما تساهل فيما مثلنا به قبل ذلك، ولعله يرى أن كل ما يمس العقيدة من هذا القصص يجب التنبية على عدم صحته، وما لا يمس العقيدة فلا مانع من روايته بدون تعقيب عليه، وما دام يحتمل الصدق والكذب في ذاته، ولا يتنافى مع العقل أو يتصادم مع الشرع.

### رأيه في مسائل العقيدة:

تفسيره للمسائل العقدية تفسيراً جيداً وتأويلاً خالياً من الشطط وكما أسلفنا حيث جرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة. فمثلاً في رواية الله سبحانه وتعالى يذكر مع توضيح أعمق قصة موسى عليه السلام مع ربه حينما كلمه ربه في جبل طور حيث قال الله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانه ثبت إليك وأنا أول المؤمنين) (٢) وكلمه ربه بلا واسطة ولا كيفية وروي أنه

(١) تفسير النسفي ٤/٤١-٤٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمع صوتا تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لا حد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع من رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله {قال رب أرني انظر إليك} ثاني مفعول أرني محذوف أي أرني ذاتك انظر إليك يعني مكني من رؤيتك بأن تتجلى لي حتى أراك إرني مكى وبكسر الراء مختلصة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لأهل النسبة على جواز الرؤية فإن موسى عليه السلام اعتقد أن الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر {قال لن تراني} بالسؤال بعين نافية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرثيا لا خبر بأنه ليس بمرئي إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني} وهو دليل لنا أيضا لأنه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على إمكانه كالتعليق بالمتع يدل على امتناعه والدليل على أنه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل أندك وما أوجده تعالى كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجد لأنه مختار في فعله ولأنه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله: "إني أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل أنجاء ابنه من الغرق {فلما تجلى ربه للجبل} أي ظهر وبأن ظهورا بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله الأشعري أنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلماء ورؤية حتى

رأى ربه وهذا نص في إثبات كونه مرثيا وبهذه الوجزة يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرئي باطل إذ لو كان كما زعموا لقال لهم ينظروا إليك ثم يقول له لن يروني ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخرج موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى أنهم لما قالوا له اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم في ساعته بقوله إنكم قوم تجهلون.

(جعله دكا) مدكوكا مصدر بمصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير والدق والدك أخوان. دكاء حمزة وعلى أي مستوية بالأرض لا أكمة فيها وناقاة دكاء لا سنام لها) وخر موسى صعقا) حال أي سقط مغشيا عليه) فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك تبت إليك) من السؤال في الدنيا) وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لا تعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والأصم معنى قوله أرني انظر إليك أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأنني أنظر إليك لن تراني لن تطبيق معرفتي بهذه الصفة ولكن انظر إلى الجبل فإني أظهر له آية فإن ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطبيقها وهذا فاسد لأنه قال أرني أنظر إليك ولم يقل إليها وقال لن تراني ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا(١).

(١) تفسير النسفي ٢/ ٧٥-٧٦.

وعند تفسيره لقوله تعالى: {فتبارك الله أحسن الخالقين} (١) فتعالى أمره في قدرته وعلمه (أحسن) بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لأنه نكرة وأن أضيف لأن المضاف إليه عوض من (الخالقين) المقدرين أي أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وقيل أن عبد الله بن سعد ابن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قيل إملأه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (اكتب هكذا نزلت) فقال عبد الله إن كان محمد نبينا يوحى إليه فأنأ نبي يوحى إلي فارتد ولحق بمكة ثم أسلم يوم الفتح وقيل هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية. (٢)

وهناك أمثلة كثيرة لمن يتصفح تفسير النسفي لا يتسع المقام لذكرها الآن . هذا وإن التفسير المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المتداول بين أهل العلم، ومطبوع في أربعة أجزاء متوسط الحجم، وقد نفع الله به الناس كما نفعهم بغيره من مؤلفات النسفي رحمه الله.

(١) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

(٢) تفسير النسفي ٣/١١٥-١١٦ .

## الباب الأول

### الفصل الثاني

# ابن تيمية

(٦٦١-٧٢٨هـ)

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول/ ترجمة ابن تيمية

المبحث الثاني: ابن تيمية ومنهجه في التفسير

## المبحث الأول

### ترجمة أحمد بن تيمية (١)

(٦٦١هـ - ٧٢٨هـ)

شيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن أبي قاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين بن مجد الدين.

#### مولده ونشأته:

ولد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول بحران سنة ٦٦١هـ، ولما بلغ من العمر سبع سنين انتقل مع والده إلى دمشق، هربا من وجه الغزاة التتار، وقد نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وأخوته وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير، منهم جده الأعلى الرابع هو (محمد بن الخضر) ومنهم عبد الحلیم بن محمد بن تيمية وعبد الغني بن محمد بن تيمية، وجده الأدنى عبد السلام بن عبد الله بن تيمية مجد الدين أبو البركات صاحب التصانيف الكثيرة، وكذلك أبوه عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني وأخوه عبد الرحمن وغيرهم، ففي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأته، وقد بدأ يطلب العلم عن أبيه وعلماء دمشق فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها، واجتمعت فيه صفات المجتهد منذ

(١) الدرر الكامنة ١٥٤/١ ترجمة ٤٠٩، الأعلام ١٤٤/١، ابن الوردي ٢٨٤/٢، البداية والنهاية

١٣٥/١٤، آداب اللغة ٣/٢٤٣، النجوم الزاهرة ٩/٢٧١، دائرة المعارف الإسلامية ١/١٠٩،

اقتضاء الصراط المستقيم ١٠/١-١٤، معجم المؤلفين ١/٢٦١، نيل السائرین ١٧١-١٧٣.

شبابه، فلم يلبث أن صار إماما يعترف له الجهابذه بالعلم والفضل والإمامة، قبل بلوغ الثلاثين من عمره. فسمع من ابن عبد الدائم والقاسم الأربلي والمسلم بن علان وابن أبي عمرو والفخر، وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود وحصل الأجزاء ونظر في الرجال والعلل وتفقه وتمهر وتميز وتقدم وصنف ودرس وأفتى وفاق الأقران وصلر عجا في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول، والإطلاع على مذاهب السلف والخلف، وأول ما أنكروا عليه من مقالات سنة ٦٩٨ هـ، حيث قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية وبحثوا معه ومنع من الكلام ثم حضر مع القاضي إمام الدين القزويني فانتصر له وقال هو وأخوه جلال الدين من قال عن الشيخ تقي الدين شيئا عزرناه.

### إنتاجه العلمي:

وفي مجال التأليف والإنتاج العلمي فقد ترك الشيخ للأمة تراثا ضخما ثمينا لا يزال العلماء والباحثون ينهلون منه معينا صافيا، توفرت منه الآن المجلدات الكثيرة من المؤلفات والرسائل والفتاوى والمسائل وغيرها، ولم يترك الشيخ مجالا من مجالات العلم والمعرفة التي تنفع الأمة وتخدم الإسلام إلا كتب فيه وأسهم بجدارة واتقان، وتلك خصلة قلما توجد إلا عند العباقرة النوار في التاريخ، فلقد شهد له أقرانه وأساتذته وتلاميذه وخصومه بسعة الإطلاع، وغزارة العلم، فإذا تكلم في علم من العلوم أو فن من الفنون ظن السامع أنه لا يتقن غيره، وذلك لأحكامه له وتبحره فيه، وأن المطلع على مؤلفاته وإنتاجه والعارف بما كان يعمله في حياته من الجهاد باليد واللسان والذنب عن



الدين والعبادة والذكر، ليعجب كل العجب من بركة وقته وقوة تحملته  
وجلده فسبحان من منحه تلك المواهب.

قال الذهبي: فيه ما ملخصه كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من  
مسائل الخلاف واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع  
شروطه فيه. وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي  
يوردها منه ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه كأن السنة نصب  
عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان أية من  
آيات الله في التفسير والتوسع فيه. وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال  
المخالفين فكان لا يشق غباره فيه أحد هذا مع ما كان عليه من الكرم  
والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلثمائة  
مجلد بل أكثر وكان قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان  
بعلومه بحر لا ساحل له وكنز لا نظير له. ثم حضر عنده شيخنا أبو  
حيان الأندلسي فقال ما رأيت عيناى مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات  
ذكر أنه نظمها بديها وأنشده إياها:

لما أتانا نقي الدين لأولنا	داع إلى الله فرد ماله وزر
حبر تسربل منه دهره حبرا	بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا	مقام سيد تيم إذا عصت مضر
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست	وأحمد الشر إذا طارت له شرر
كنا غدث عن حبر يجيء بها	أنت الإمام الذي قد كان ينتظر

ومن مصنفاته الكثيرة: مجموع فتاويه في ٣٧ مجلدة، والسياسة  
الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، بيان الجواب الصحيح لمن بدل  
دين المسيح، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية،  
وقواعد التفسير، والتفسير الكبير.

## جهاده ودفاعه عن الإسلام:

الكثير من الناس يجهل الجوانب العملية في حياة الشيخ، فإنهم عرفوه عالما ومؤلفا ومفتيا من خلال مؤلفاته المنتشرة مع أن له مواقف مشهودة في مجالات أخرى عديدة أسهم فيها إسهاما قويا في نصرة الإسلام وعزة المسلمين فمن ذلك جهاده بالسيف وتحريضه المسلمين على القتال، بالقول والعمل فقد كان يجول بسيفه في ساحات الوغى، مع أعظم الفرسان الشجعان، والذين شاهدوه في القتال أثناء فتح عكا عجبوا من شجاعته وفتكه بالعدو، أما جهاده بالقلم واللسان فإنه رحمه الله وقف أمام أعداء الإسلام من أصحاب الملل والنحل والفرق والمذاهب الباطلة والبدع كالطود الشامخ بالمناظرات حينما وبالردود أحيانا حتى فند شبهاتهم ورد الكثير من كيدهم بحمد الله، فقد تصدى للفلاسفة، والباطنية من صوفية، وإسماعيلية ونصيرية وسواهم، كما تصدى للروافض والملاحدة، وفند شبهات أهل البدع التي تقام حول المشاهد والقبور ونحوها، كما تصدى للجهمية والمعتزلة وناقش المتكلمين والأشاعرة. والمطلع على هذا الجانب من حياة الشيخ ابن تيمية يكاد يجزم بأنه لم يبق له من وقته فضلة، فقد حارب وطورد وأوذى وسجن مرات في سبيل الله، وقد وفته منيته مسجوناً في سجن القلعة بدمشق. ولا تزال بحمد الله ردود الشيخ سلاحاً فعالاً ضد أعداء الحق والمبطلين لأنها إنما تستند على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدى السلف الصالح، مع قوة الاستنباط وقوة الاستدلال والاحتجاج الشرعي والعقلي، وسعة العلم التي وهبها الله له وأكثر المذاهب الهدامة التي راجت اليوم بين المسلمين هي امتداد لتلك الفرق والمذاهب التي تصدى لها شيخنا وأمثاله من سلفنا الصالح، لذلك

ينبغي للدعاة المصلحين أن لا يغفلوا هذه الناحية، ليستفيدوا مما سبقهم به سلفنا الصالح. ولا تزال كتب الشيخ وردوده هي أقوى سلاح للتصدي لهذه الفرق الضالة والمذاهب الهدامة التي راجت وبدأت تخرج أعناقها اليوم من جديد، والتي هي امتداد للماضي، ولكنها تزيت بإزياء العصر الجديد وغيرت أسماءها مثل الاشتراكية والقومية والقاديانية والبهائية وغيرها في المذاهب والفرق ومنها ما بقي على شعاره القديم كالشيعة والرافضة والإسماعيلية والنصيرية والخوارج ونحو ذلك.

وقد سجن الشيخ ابن تيمية عدة مرات بسبب كتابه العقيدة الواسطية فكان حبسه الأول في خزانة البنود ثم نقل إلى الإسكندرية ثم أفرج عنه وأعيد إلى القاهرة ثم أعيد إلى الإسكندرية ثم حضر الناصر من الكرك فأطلق سراحه ثم سجن في القلعة. ثم انتقل إلى القاهرة مع جماعة فحكم المالكي بحبسه فأقيم من مجلس المناضرة وحبس في برج ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه فقال يجب التضيق عليه أن لم يقتل وإلا فقد ثبت كفره فنقلوه ليلة عبد الفطر إلى الجب ولم ينتصر للشيخ ابن تيمية إلا القليل، منهم قاضي الحنفية بدمشق شمس الدين ابن الحريري وعزل عن منصبه بسبب ذلك، وكذلك تعصب له سائر.

ثم اجتمع جمع من الصوفية وشكوه عند تاج الدين بن عطاء فسيره إلى الشام ثم ردوه من بلبس واعتقل وسجن بحارة الديلم ثم نقل إلى الإسكندرية وحبس ببرج شرقي ثم أفرج عنه ثم انتقل إلى الشام وحبس في القلعة ثم أخرج في عاشوراء سنة ٧٢١ هـ ثم اعتقل بالقلعة

في شعبان سنة ٧٢٦ بسبب مسألة الزيارة فلم يزل في سجن القلعة إلى أن مات.

قال الصلاح الصفدي : كان كثيرا ما ينشد:

تموت النفوس بأوصابها ————— ولم تدر عوادها ما بها  
وما انصفت ————— تهجة تشتكي إذاها إلى غير أحبائها

### خصاله:

بالإضافة إلى ما اشتهر به إمامنا الشيخ ابن تيمية من العلم والفقہ في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد وهبه الله خصالا حميدة، اشتهر بها وشهد له بها الناس فكان سخيا كريما يؤثر المحتاجين على نفسه في العظام واللباس وغيرها، وكان كثير العبادة والذكر وقراءة القرآن وكان ورعا زاهدا لا يكاد يملك شيئا من متاع الدنيا سوى الضروريات، وهذا مشهور عنه عند أهل زمانه حتى بين عامة الناس، وكان متواضعا في هيئته ولباسه ومعاملته مع الآخرين، فما كان يلبس الفاخر ولا الرديء من اللباس. ولا يتكلف لأحد يلقاه، واشتهر أيضا بالمهابة والقوة في الحق، فكانت له هبة عظيمة عند السلاطين والعلماء وعامة الناس، فكل من رآه أحبه وهابه واحترمه، إلا من سيطر عليهم الحسد من أصحاب الأهواء ونحوهم. كما عرف بالصبر وقوة الاحتمال في سبيل الله، وكان ذا فراسة وكان مستجاب الدعوة، وله كرامات مشهورة رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

### عصره:

لقد عاش ابن تيمية رحمه الله في عصر كثرت فيه البدع والضلالات وسادت كثير من المذاهب الباطلة واستفحلت الشبهات وانتشر الجهل

والتعصب والتقليد الأعمى، وغزيت بلاد المسلمين من قبل التتار والصليبيين الإفرنج. ونجد صورة عصره جلية واضحة من خلال مؤلفاته التي بين أيدينا، لأنه اهتم بأجل أمور المسلمين وأخطرها، وساهم في علاجها بقلمه ولسانه ويده، فالمتأمل في الشيخ ابن تيمية يجد الصورة التالية لعصره:

كثرة البدع والشركيات خاصة حول القبور والمشاهد والمزارات المزعومة، والاعتقادات الباطلة في الإحياء والموتى وأنهم ينفعون ويضرون ويدعون من دون الله. وانتشار الفلسفات والإلحاد والجدل. وهيمنة التصوف والطرق الصوفية الضالة على العامة من الناس، ومن ثم انتشار المذاهب والآراء الباطنية. وتوغل الروافض في أمور المسلمين ونشرهم للبدع والشركيات وتثيبتهم للناس عن الجهاد، ومساعدتهم للتار أعداء المسلمين أمثال نصير الدين الطوسي وغيره من المنافقين الذين خانوا دينهم وبلادهم.

وقد وقف شيخ الإسلام ابن تيمية في عصره إزاء هذه الانحرافات موقفا مشهودا أمرا وناهيا ومبينا، حتى أصلح الله على يديه الكثير من أوضاع المسلمين، ونصر به السنة وأهلها فله الحمد والمنة.

### وفاته:

إن من علامات الخير للرجل الصالح وقبوله لدى المسلمين إحساسهم بفقده حين يموت، لذلك كان السلف يعدون كثرة المصلين على جنازة الرجل من علامات الخير والقبول له، لذلك قال الإمام أحمد: "قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز" (١)، أي أن أئمة السنة يفقدهم الناس إذا ماتوا ويكونون أكثر مشيعين يوم يموتون، ولقد شهد الواقع

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٥٠٥ تحقيق د. عبد الله التركي:

بذلك، فما سمع الناس بمثل جنازتي الإمامين أحمد بن حنبل وأحمد بن تيمية حين ماتا من كثرة من شيعهما وخرج مع جنازة كل منهما وصلى عليهما، فالمسلمون هم شهداء الله في أرضه. هذا وقد توفي شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ. فهب كل أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشيع جنازته وقد حضر جنازته جمهور كبير جدا يفوق الوصف يقول ابن كثير (١): كان عدد الرجال يقدرون ما بين المائنة ألف إلى المائتي ألف وعدد النساء يقدرن بخمسة عشر ألف. كما أوردنا ذكر تشييع جنازته في خاتمة التمهيد. فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) البداية والنهاية ١٤ / ١٤٠-١٤٢.

## المبحث الثاني

### منهج ابن تيمية في التفسير

لم يؤلف ابن تيمية كتابا بالتفسير حسب اعتقادي، ولكنه قد ضلع وتبحر به وله بعض القطوف التي قد جمعت له من خلال كتبه خصوصا كتابه الفتاوى فقد أفرد له أكثر من مجلدة للتفسير. وقد قال فيه العلماء كثر من الأقوال التي ترفعه إلى مرتبة المفسرين بل ورده على كثير من أقوالهم وترجيح بعضهم، وسنأتي إلى استشهاداتهم بذلك فيما بعد. وقد وجدت له تفسيرين الأول قد جمع له وسمي باسم (دقائق التفسير) جمع وتقديم وتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند. والثاني (التفسير الكبير) الذي ألفه الإمام ابن تيمية بنفسه وحققه وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن عميرة.

يقول الدكتور الجليند (١): "وبعد طول الصحبة مع مؤلفات ابن تيمية والوقوف على سر عظمته وخلود فكره وددت كثيرا لو أنه ترك لنا ضمن تراثه تفسيرا للقرآن الكريم ولست وحدي منفردا بهذه الرغبة فإن من يقرأ تراث الرجل ويعرف هذه العاطفة الدينية الملتهبة التي يتمتع بها في كل جزئية من مؤلفاته وينبض بها كل رأي من آرائه لا يجد مفرا من التساؤل ألم يكتب هذا الرجل تفسيرا للقرآن؟ ولقد ترجم لابن تيمية كثيرون، وكل من ترجم له لم يفته أن يشير إلى علو قدره في التفسير وعلومه، فالذهبي في معجمه يشير إلى أن ابن تيمية قد شرع في تفسير القرآن فكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر وبقي يفسر سورة نوح عدة سنين أيام الجمع بالمسجد. وفي

(١) دقائق التفسير ١/١-٨ المقدمة.

موضع آخر يحدثنا بأنه قد برع في التفسير وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر إلى مواقع الأشكال ميال، واستتبط منه أشياء لم يسبق إليها.

وفي الترجمة المطولة التي أفردها الذهبي لابن تيمية في كتابه الكبير (التاريخ الكبير) قال عنه: وأما التفسير فمسلم إليه وله من استحضار الآيات من القرآن قوة عجيبة وإذا رآه المقرئ تحير فيه ولفرط أمامته في التفسير وعظم إطلاعه، يبين خطأ أكثر من أقوال المفسرين ويوهي أقوالا عديدة وينصر قولا واحدا موافقا لما دل عليه القرآن والحديث، ويكتب في اليوم والليلة في التفسير نحواً من أربعة كراريس أو أزيد.

أما أبو الفتح اليعمري فقد قال عنه: "إن تكلم في التفسير فهو حامل رأيته" والذي يقرأ هذه النصوص يجد الرغبة قوية لديه في الوقوف على تفسير ابن تيمية لا سيما إذا كانت لديه معرفة سابقة بابن تيمية وبتراثه، وبالمفتاح الحقيقي لشخصيته العلمية. لكن سرعان ما تتحول هذه الرغبة إلى سراب عندما يحدثنا أحد أصفياء الشيخ المقرين إليه وهو أبو عبد الله بن رشيق إذ يخبرنا بأنه سأل ابن تيمية أن يكتب تفسيراً للقرآن فأجابه ابن تيمية قائلاً: إن القرآن فيه ما هو بين بنفسه، وفيه ما قد بينه المفسرون ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً، ويفسر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معاني نظائرها. فهذا النص من ابن تيمية يوضح لنا أنه لم يضع تفسيراً كاملاً للقرآن وإنما اهتم ببعض الآيات التي أشكلت على غيره



من المفسرين والتي لم يجد لها تفسيراً يروي ظمأه وتعطشه نحو ما فيها من معان سامية ودقيقة غابت عن كثير من العلماء.

يتحدث ابن تيمية في مقام آخر عن نهمة بالتفسير وعلومه فيقول (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ثم أسأل الله الفهم وأقول يا معلم آدم وإبراهيم علمني) ويكتب إلى تلميذه ابن رشيق فيبين له مدى ما فتح الله عليه به من معاني القرآن وهو في سجنه فيقول (قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان أكثر العلماء يتمنونها، وندمت علي تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن).

هذه النصوص حين يتأملها الباحث يجدها تشير إلى حقيقتين مهمتين في موقف ابن تيمية في تفسير القرآن:

الحقيقة الأولى: أن هذا الرجل قد شغل نفسه بتفسير القرآن وفهم وإفهام معانيه، واستنباط الدقيق من المعاني من أحكامه في مسائل الأصول والفروع. وأنه قد بهر عقول معاصريه في ذلك الشأن.

الحقيقة الثانية: أنه لا يوجد بين أيدينا نص صريح يشير إلى أن ابن تيمية قد وضع تفسيراً كاملاً للقرآن على نمط غيره من المفسرين ومما يؤكد هذه الحقيقة أن ابن تيمية نفسه لم يشر في أي من كتبه إلى أنه قد وضع تفسيراً للقرآن كعادته المطردة في الإشارة إلى كتبه المختلفة وإحالاته القارئ إليها من حين لآخر. وإذا أضفنا إلى ذلك ما كتبه ابن تيمية إلى تلميذه ابن رشيق من أن القرآن فيه ما هو بين بنفسه، فلا يحتاج إلى تفسير تحقق لدينا أنه لم يضع تفسيراً كاملاً للقرآن على منوال ابن كثير والطبري. وإنما شغل الرجل نفسه بما رآه مشكلاً أمام نظر العلماء وإذا صح لنا ذلك فكيف نفسر أقوال

الذهبي واليعمري وغيرهما مما يفيد أنه فسر القرآن وأنه ظل يفسر  
سورة نوح عدة سنين.

وكيف نفسر قول ابن تيمية بأنه ربما قرأ حول الآية الواحدة نحو مائة  
تفسير.

الأمر في ذلك يحتاج إلى مزيد من التأمل في حياة الرجل اليومية  
وسلوكة مع معاصريه فإن حياة ابن تيمية كانت سلسلة من الكفاح  
المستمر ضد مخالفيه من أهل الكلام والفلسفة والتصوف والمشتغلين  
بالسياسة وأذئابهم. والفترة التي جلس فيها للفتيا كانت عقب وفاة أبيه،  
وهي نفس الفترة التي أخير عنها الذهبي بأن ابن تيمية ظل يفسر  
سورة نوح عدة سنين بالجامع ومما ينبغي أن يعلم أن الرجل كان  
يشغل درسه بتفسير القرآن إلقاء ومشافهة وليس تسجيلاً وكتابة. وهذه  
الفترة كانت في سن متقدم من حياة ابن تيمية، فإذا علمنا أنه ولد سنة  
٦٦١ هـ وأنه جلس للفتيا وله في العمر إحدى وعشرون سنة كانت  
هذه الفترة تبدأ من حوالي سنة ٦٨٢ هـ وبعدها وحياة ابن تيمية لم  
تظل هادئة ولم تطل فترة جلوسه للافتاء وإنما أبعد عنها بمرسوم  
سلطاني قرئ في المساجد والطرقاات يمنع الشيخ من الجلوس في  
المسجد والافتاء وكان ذلك عام ٦٩٠ هـ، ومن هذه الفترة دخلت حيلة  
ابن تيمية في سلسلة طويلة من الصراعات العنيفة مع خصومه ولم  
تترك له هذه الصراعات وقتاً هادئاً يخلو فيه إلى نفسه ليكتب فيه  
تفسيراً نمطياً للقرآن مع رغبته الشديدة في ذلك، ولم يكن أمام الرجل  
من فرصة يغلتمها لتحقيق رغبته في تفسير القرآن. إلا وقت خلوته  
مع ربه في غياهب السجون وفي ظلمة المعتقلات، وتفسير القرآن  
ليس عملاً عادياً في نظر ابن تيمية بل يحتاج إلى حالة من الصفاء

الروحي، والشفافية الملهمة، التي تصل الإنسان بربه فيعلمه ما لم يكن يعلم، ولعل في هذا سرا لاستحضار العجيب لكل الآيات والأحاديث التي كان يحشدها ابن تيمية حول الموضوع الواحد مؤيدا أو مبطلا ومعارضاً له. ولذلك فقد كان الشيخ يعتبر سجنه خلوة مع الله، وناهيك برجل يقطع صلته بالخلق ليدها مع الخالق. ولقد أشار ابن تيمية إلى ذلك بقوله: قد فتح الله علي في السجن في هذه المرة في معاني القرآن بأشياء كان أكثر العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن ولو بذل لي ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة. يقول ابن رشيقي: وأرسل لنا الشيخ مع هذه الرسالة شيئاً يسيراً مما كتبه في الحبس، وبقي لديه شيء كثير في سلة الحكم عند الحكام، حيث أمر السلطان بإخراج كل ما كان عنده من كتب وأوراق وأقلام ومنع من الكتابة إلى أن فاضت روحه الطاهرة، وأخذ الحكام ما كان من أوراق وكتب بلغت ستين مجلداً وأربع عشرة رزمة.

وتسلسل الأحداث في حياة ابن تيمية يجعلنا نقول بأن مجموعة الأوراق التي بلغت أربع عشرة رزمة والمجموعة اليسيرة التي أرسلها إلى ابن رشيقي منهما معا يتشكل أمامنا ما قام به ابن تيمية بصدد تفسير القرآن. وإذا أضفنا إلى ذلك تفسيره المستقل لسورة الإخلاق والنور والمعوذتين نكون بذلك قد وضعنا أمام القارئ التفسير الكامل الذي كتبه ابن تيمية للقرآن.

وبهذا التحليل يمكن لنا أن نفسر كلام الذهبي واليعمري بأنه كان منصرفاً إلى تلك الفترة التي جلس فيها الشيخ مفتياً ومفسراً بالمسجد. ولم يكن يسجل شيئاً من ذلك بل كان يلقي درسه بالمسجد مشافهة لا

كتابة كعادة المفتين بالمساجد. وربما كان بعض الحاضرين يسجل شيئاً من ذلك إلا أن هذا لم يكن عادة مطردة للحاضرين. بدليل أن ما جمع من إنتاج تلك الفترة كان أشبه بالقطع المجتزأة من السورة، فكان كل واحد يسجل ما يروق له وما يعني هو به بخلاف السور التي عني بها ابن تيمية نفسه ووقف نفسه على تفسيرها مثل سورة الإخلاص، والعلق، فكان يغلب عليها طابع التنظيم والترتيب في تناول الآيات.

وشاعت إرادة الله تعالى أن يقوم ابن مرعي الحنبلي (أحد تلامذة ابن تيمية) بجمع تفسير الشيخ في كتابه الموسوعي (الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري) الذي يزيد حجمه على الثمانين جزء، ويوجد من هذه المجموعة ستة أجزاء بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤٥ تفسير، ويشتمل الجزء السادس منها على جزء كبير من تفسير ابن تيمية. ويتضح أمام القارئ الآن مدى صعوبة الحصول على تفسير كامل لابن تيمية، إذ لم تتشتمل هذه المجموعة السابقة إلا على بعض سور القرآن وما زال البعض الآخر مفتقداً. ويتضح أمام القارئ مدى الصعوبة التي يلقاها الباحث حين يريد جمع وتصنيف تفسير كامل لابن تيمية، فلقد قمت (١) أي الدكتور الجليلند بصدد ذلك باستقراء معظم تراثه المطبوع والمخطوط وجمعت منه تفسيره للآيات المتفرقة المبنوثة في كتبه المختلفة، ووضعت كل آية في ترتيبها الطبيعي من سورتها، وعثرت خلال فترة البحث هذه على تفسيره لسورة الفاتحة مبنوثة في إحدى الجامعات الخطية بدار الكتب أيضاً. هذا بالإضافة إلى أنه قد كتب تفسيراً مفرداً لكل من سورة النور، والحمد، والمعوذتين. ثم نشرت المملكة العربية السعودية

(١) دقائق التفسير للدكتور محمد السيد الجليلند ٦/١.

أخيراً مجموع فتاوى ابن تيمية في ستة وثلاثين مجلداً اشتملت هي الأخرى على قسط كبير من التفسير. وبعثوري على كل هذه المصنفات المتفرقة استطعت أن أشكل منها تفسيراً شبه كامل للقرآن باعتبار سوره كلها وليس باعتبار آياته، حيث إن الرجل كان مؤمناً بأن هناك من الآيات ما لا تحتاج إلى تفسير. ويبدأ هذا التفسير من أول سورة الفاتحة وينتهي بالمعوذتين ماراً بجميع سور القرآن غالباً. وهناك بعض الملاحظات التي أود أن ألفت نظراً الباحثين في تراث ابن تيمية إليها، خاصة إذا كان بحثهم يتعلق بموقف ابن تيمية من القرآن وعلومه.

#### الملاحظة الأولى:

إن ابن مرعي الحنبلي صاحب (مجموعة الكواكب الدراري) قد وضع تفسيراً للقرآن ضمن هذه المجموعة المشار إليها سابقاً بدأت من الجزء التاسع منها. وشغلت حوالي أربعة مجلدات. وجاء تسجيله لتفسير ابن تيمية متداخلاً مع تفسير ابن مرعي الحنبلي. والذي درس ابن تيمية وعرف روحه في الكتابة والحوار والجدل وطريقته في إيراد النصوص للاستدلال بها لا يجد صعوبة في تلمس منهج ابن تيمية وروحه من كثير من تفسير ابن مرعي مما يدعو إلى التساؤل. هل كتب ابن مرعي هذا التفسير المنسوب إليه كله. أم أنه كتب البعض وأضاف إلى نفسه ما كتبه ابن تيمية في كثير من ذلك. هذه قضية تحتاج إلى دراسة مستقلة الفت النظر إليها. غير أنني أشك الشك كله في نسبة كثير من هذا التفسير إلى ابن مرعي وخاصة تفسير سورة الأحزاب، وسبباً فإن روح ابن تيمية تكاد تسري بين سطور هذا الجزء من التفسير. ولا يتسع المقام هنا لعرض النصوص ومقارنتها

ليتبين لنا ما نريد، لكن ذلك لا يعنينا من لفت نظر الدارسين إلى هذه المشكلة.

### الملاحظة الثانية:

وتتعلق بمنهج ابن تيمية في التفسير، فإن الرجل لم يتناول آيات السورة الواحدة بنفس الترتيب الموجود في المصحف، ولم يعن نفسه بمشكلات الإعراب والبيان ولا بمشكلات اللغة عموماً إلا إذا عرضت له تأكيداً لمعنى، أو ترجيحاً لدلالة معينة لكلمة على دلالة أخرى قد تراد منها، وإنما صرف وكده إلى البحث عن حلول ناجحة تلمسها في القرآن لمشكلات عصره وقضايا مجتمعة التي عاشها واكتوى بنارها، فكان يعرض للآية خلال بحثه عن حل للمشكلة المعينة فنجد حين يعرض لمشكلة ما يجمع كل الآيات التي تعلق بها في القرآن، ثم يورد ما شاء من الأحاديث الموضحة والشارحة، ثم يأتي بنصوص السلف من الصحابة والتابعين، فيجمع في علاجه للمشكلة الواحدة بين نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف، وكان تفسيره بذلك أقرب ما يكون إلى التفسير الموضوعي للقرآن إن لم يكن هو كذلك) انتهى قول الدكتور الجليند(١).

أما الدكتور عبد الرحمن عميرة فيختصر علينا قوله بعد أن قدم مقدمة حول تأليف تفسيره كاملاً لابن تيمية فيقول مانصه: "فإن ما نقدمه الآن إلى الأمة الإسلامية هو التفسير الكامل الذي كتبه ابن تيمية كاملاً غير منقوص" (٢) كما بين الدكتور عبد الرحمن عميرة منهج ابن تيمية في

(١) انظر دقائق التفسير جمع وتحقيق الدكتور الجليند ١/١-٨.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ١/١١.

التفسير فقال (١): "لقد وضع ابن تيمية قواعد لتفسير القرآن الكريم وطالب الراغبين في التفسير والتأويل أن يضعوا نصب أعينهم هذه القواعد. فهل التزم ابن تيمية نفسه بهذه القواعد؟ وهل طبقها على ما قام به من تفسيره للقرآن الكريم.

إن القارئ لهذا التفسير الذي وضعه ابن تيمية يرى فيه أن صاحبه ألزم نفسه هذه القواعد إلا في القليل النادر عندما يكون الأمر أمر مجادلة أو محاوره وإلزام الخصم الحجة والبرهان. فإذا أخذ في تفسير سورة من سور القرآن الكريم تناول الخطوط الرئيسية لها، والموضوعات التي تضمنتها، وبذلك يضع أمام القارئ كشفاً بموضوعات السورة وقضاياها.

يقول عند تفسيره لسورة البقرة: "إن الله تعالى افتتحها بذكر كتابه الهادي للمتقين، فوصف حال أهل الهدى، ثم الكافرين، ثم المنافقين فهذه جمل خبرية، ثم ذكر الجمل الطلبية فدعا الناس إلى عبادته وحده، ثم ذكر الدلائل على ذلك من فرش الأرض وبناء السماء وإنزال الماء وإخراج الثمار رزقا للعباد، ثم قرر الرسالة وذكر الوعد والوعيد، ثم ذكر مبدأ النبوة والهدى وما بثه في العالم من الخلق والأمر، ثم ذكر تعليم آدم الأسماء، وإسجاد الملائكة له لما شرفه من العلم."

ثم يستمر في عرض موضوعات السورة وكأنه يريد بذلك أن يبين هذه المعالم ويثبتها في الذهن حتى إذا تناولها بالتفسير والتحليل كان لدى القارئ فكرة واضحة عن موضوعاتها ويستمر في ذلك حتى يصل إلى نهاية سورة البقرة فيقول: "ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بأحكام النكاح والوالدات، وما يتعلق بالأموال والصدقات، والربا والديون، وغير

(١) نفس المصدر ١/ ٤٨-٥٢.

ذلك. ثم ختمها بالدعاء العظيم المتضمن وضع الأصار والأغلال والعتو والمغفرة، والرحمة، وطلب النصر على القوم الكافرين الذين هم أعداء ما شرعه من الدين في كتابه المبين. فإذا أراد بعد ذلك أن يتناول الآيات بالتفسير والتحليل نراه يذكر آراء العلماء فيها ثم يذكر رأي السلف، ويعقب على ذلك بقوله: والصواب ما عليه السلف من اللغة الموافقة لما في القرآن الكريم.

يقول عند تفسيره لقوله تعالى: {مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً} المثل في الأصل هو الشبيه وهو نوعان:

أحدهما: الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجوداً أو مقدر وهي في القرآن بضع وأربعون مثلاً كقوله تعالى: {مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً} {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة} وقوله: {كمثل صفوان عليه تراب} وقوله: {ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله}.

النوع الثاني: الأمثال الكلية، وهذه التي أشكل تسميتها أمثالا كما أشكل تسميتها قياساً. إذا تبين ذلك فالأمثال المضروبة في القرآن منها ما يصرح فيه بتسميته مثلاً ومنها ما لا يسمى بذلك... ثم يحشد الآيات التي جاءت لضرب الأمثال ويتناولها بالعرض والتحليل ويجادل المناطق في أقيستهم، والفقهاء في قواعدهم، ورجال التوحيد في قضاياهم، ويخرج في النهاية بالرأي الأمثل الذي يتوافق وطبيعة الآية، وما يمكن تطبيقه في العصر الذي يعيش فيه.

ثانياً: إذا بدأ في تفسير آية ولم تسعفه آيات القرآن الكريم في تفسيرها لجأ إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.



يقول ابن تيمية عند تفسيره لقوله تعالى: { وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير}. قد ثبت في صحيح مسلم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله {إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله}. اشتد ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب وقالوا: "أي رسول الله كلفنا من العمل ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها. آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}.

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا}. قال: نعم {ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا}. قال: نعم {ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به}. قال نعم {واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين}. قال: نعم ثم يعود ابن تيمية إلى أقوال الصحابة والتابعين فيقول: "ولهذا قال كثير من السلف والخلف، إنها منسوخة بقوله: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}. ونقل عن آخرين أنها ليست منسوخة بل هي ثابتة في المحاسبة على العموم فيأخذ من يشاء ويغفر لمن يشاء، كما نقل ذلك عن ابن عمر والحسن، واختاره أبو سليمان الدمشقي والقاضي أو يعلي، وقالوا هذا

خبر، والأخبار لاتنسخ. فإذا استعرض ابن تيمية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين، أخذ يوضح رأيه في القضية الذي استخلصه من فهمه لهذه الأقوال مجتمعة فإذا وصل إلى قناعة تامة فيما وصل إليه أخذ يدافع عن هذا الرأي بالحجة والمنطق، بالدليل والبرهان، بطبيعة الحياة وما جبلت عليه النفوس. الذي نزل القرآن الكريم لمخاطبتها ووضع العلاج لأمراضها ورسوم الطريق لسيرها حتى تحقق منهج الخلافة في الأرض. انتهى قول الدكتور عبد الرحمن عميرة (١)

### موقف ابن تيمية من التفسير بالرأي:

يقول الدكتور عبد الرحمن عميرة: (٢) إذا كان ابن تيمية قد ألزم نفسه بالقواعد التي وضعها لتفسير القرآن الكريم وهي التي لا تخرج عن تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين فما رأى ابن تيمية في التفسير بالرأي؟ إن ابن تيمية يرى أن تفسير القرآن بالرأي حرام، ويقدم بين يدي هذا الرأي مجموعة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار).

وقال الترمذي: قال حدثنا عبد بن حميد، حدثنا حيان بن هلال قال حدثنا سهل أخو حزام القطعي قال: حدثنا أبو عمران الجوي عن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من قال في القرآن

(١) التفسير الكبير تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ٤٨/١-٥٢.

(٢) نفس المصدر ٥٢/١-٥٣.

برأيه فأصاب فقد أخطأ). قال الترمذي : هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم. يقول ابن تيمية: "وهكذا روى بعض أهل العلم عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم إنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم. فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس عن جهل فهو في النار وأن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر". (١).

كان هذا رأى ابن تيمية وموقفه في التفسير بالرأى وللمفسرين لهم آراء أخرى وكذلك بين الدكتور عبد الرحمن عميرة المحقق لتفسير ابن تيمية رأيه في التفسير بالرأى وخالف شيخ الإسلام فيما يرى (٢) ولسنا بهذا الصدد الآن.

### رده على الفرق:

لقد ناقش ابن تيمية الفرق التي كانت تعيش في عصره، وجادلها بالمنطق والحجة ورفع على آراء أصحابها معول الهدم، وناقش أصحاب الحلول والاتحاد. وهاجم آراء المسيحية في الألوهية، والصلب وهاجم أصحاب اليهودية وصب عليهم من قلمه سوط عذاب، ورده على المرجئة والجهمية في إنكارهم الصفات والمجبرة والخوارج والنفاة وتفنيد إبائيلهم ومناقشة الصوفية والباطنية والقرامطة في حقيقة العلم الباطن والعلم الظاهر.

(١) التفسير الكبير لابن تيمية تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ١ / ٥٢-٥٣.

(٢) نفس المصدر ١ / ٥٣-٥٤.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: { ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك } (١) يقول ابن تيمية: فصل في ضلال القدرية في فهمهم للآية، وليس للقدرية أن يحتجوا بالآية لوجوه: منها أنهم يقولون: فعل العبد حسنة كان أو سيئة هو منه لا من الله، بلى الله قد أعطى كل واحد من الاستطاعة ما يفعل به الحسنات والسيئات. لكن هذا عندهم أحدث إرادة فعل بها الحسنات، وهذا أحدث إرادة فعل بها السيئات. وليس واحد منهما من أحداث الرب عندهم، والقرآن قد فرق بين الحسنات والسيئات، وهم لا يفرقون في الأعمال بين الحسنات والسيئات، إلا من جهة الأمر، لا من جهة كون الله خلق فيه الحسنات دون السيئات، بل هو عندهم لم يخلق لا هذا ولا هذا.

لكن منهم من يقول: "بأنه يحدث من الأعمال الحسنة والسيئة ما يكون جزاء، كما يقوله أهل السنة. لكن على هذا فليست عندهم كل الحسنات من الله، ولا كل السيئات بل بعض هذا وبعض هذا. أن الآية أريد بها النعم والمصائب كما تقدم وليس للقدرية المجبرة أن تحتج بهذه الآية على نفي أعمالهم التي استحقوا بها العقاب.

فإن قوله (كل من عند الله) هو النعم والمصائب ولأن قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) حجة عليهم وبيان أن الإنسان هو فاعل السيئات. وأنه يستحق عليها العقاب والله ينعم عليه بالحسنات عملها وجزائها \_ فإنه إذا كان ما أصابهم من حسنة فهو من الله. فالنعم من الله سواء كانت ابتداء أو كانت جزاء وإذا كانت جزاء وهي من الله فالعمل الصالح الذي كان سببها هو أيضا من الله، أنعم بها الله على العبد. وإلا فلو كان هو من نفسه كما كانت

(١) سورة النساء الآية ٧٩.

السيئات من نفسه لكان كل ذلك من نفسه. والله تعالى قد فرق بين النوعين في الكتاب والنسبة. كما في الحديث الصحيح الإلهي: عن الله (يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم أياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) وقال تعالى: {أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم أنى هذا قل من عند أنفسكم} (١) وهكذا يورد ابن تيمية آيات كثيرة يستدل بها ويختتم كلامه بقوله: وقد أمروا أن يقولوا في الصلاة {إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} (٢)

مثالا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعل كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون} (٣)، وقال تعالى: {افجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون} (٤) يقول ابن تيمية: "وهذا الموضع مما اضطرب فيه الناس، فاستدللت القدرية النفاة والمجبرة على أنه إذا أجاز أن يضل شخصا جاز أن يضل كل الناس وإذا جاز أن يعذب حيوانا بلا ذنب ولا عوض جاز أن يعذب كل حي بلا ذنب ولا عوض، وإذا جاز عليه أن لا يعين واحدا ممن أمره على طاعة أمره جاز أن لا يعين كل الخلق، فلا يفرق الطائفتان بين الشر الخاص والعام وبين الشر الإضافي والشر المطلق ولم يجعلوا في الشر الإضافي حكمة يصير بها من قسم الخير. ثم قال النفاة: وقد علم أنه منزه عن تلك الأفعال،

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٥.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٣/ ٢٧٧-٢٧٩.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢١.

(٤) سورة القلم الآية ٣٥-٣٦.

فأنا لو جوزنا عليه هذا لجوزنا عليه تأييد الكذاب بالمعجزات،  
وتعذيب الأنبياء وإكرام الكفار وغير ذلك مما يستعظم العقلاء إضافته  
إلى الله تعالى.

فقال المثبتة من الجهمية المجبرة: بل كل الأفعال جائزة عليه، كما  
جاز ذلك الخاص. وإنما يعلم أنه لا يفعل بما لا يفعل، أو يفعل ما  
يفعل بالخير، خبر الأنبياء عنه، وإلا فمهما قدر جاز أن يفعله وجاز  
أن لا يفعله، ليس في نفس الأمر بسبب ولا حكمة ولا صفة تقتضي  
التخصيص ببعض الأفعال دون بعض، بل ليس إلا مشيئة نسبتها إلى  
جميع الحوادث سواء ترجح أحد المتماثلين بلا مرجح.

ف قيل لهم فيجوز تأييد الكذاب بالمعجز فلا يبقى المعجز دليلاً على  
صدق الأنبياء. فلا يبقى خبر نبي يعلم به الفرق فيلزم مع الكفر  
بالأنبياء وأن يعلم الفرق لا يسمع ولا يعقل. فاحتالوا للفرق بين  
المعجزات وغيرها. بأن تجوز إتيان الكذاب بالمعجزات يستلزم  
تعجيز الباري تعالى عما به يفرق بين الصادق والكاذب. أو لأن  
دالاتها على الصدق معلوم بالإضطرار، كما قد بسط الكلام على ذلك  
في غير هذا الموضع. وبين خطأ الطائفتين. وأن هؤلاء الذين اتبعوا  
جهما في الجبر ونفوا حكمة الله ورحمته والأسباب التي بها يفعل وما  
خلقه من القوى وغيرها هم مبتدعة مخالفون للكتاب والسنة وإجماع  
السلف، مع مخالفتهم الصريح المعقول. كما أن القدرية النفاة مخالفون  
للكتاب والسنة وإجماع السلف مع مخالفتهم لصريح المعقول". (١).

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٣ / ٣٠٢-٣٠٣.

## والجهم وأتباعه ينفون الصفات والقدر:

يقول ابن تيمية (١): "وجهم اشتهر عنه نوعان من البدعة نوع في الأسماء والصفات فعلا في نفي الأسماء والصفات وواقفه على ذلك ملاحدة الباطنة (٢)، والفلاسفة ونحوهم وواقفه المعتزلة في نفي الصفات دون الأسماء والكلابية (٣).

ومن وافقهم من السالمية (٤) ومن سلك مسلكهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وافقوه على نفي الصفات الاختيارية دون نفي أصل الصفات. والكرامية (٥) ونحوهم وافقوه على أصل ذلك وهو امتناع دوام ما لا يتناهى وأنه يمتنع أن يكون الله لم يزل متكلمًا إذا شاء وفعالا لما يشاء إذا شاء لامتناع حوادث لا أول لها، وهو من هذا الأصل الذي هو نفي وجود ما لا يتناهى في المستقبل قال بفناء الجنة

(١) نفس المصدر ٣/٣٨٢-٣٨٤.

(٢) انظر في شأن هذه الفرقة كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي صفحة ٢٨١، وخطط المقرئ ٣٥٧/٢.

(٣) الكلابية هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد محمد بن كلاب القطان توفى سنة ٢٤٠ تأثر به أبو الحسن الأشعري إمام المذهب قال عنه ابن حزم أنه شيخ قديم للأشعرية.

(٤) السالمية: هم أتباع أبي عبد الله محمد أحمد بن سالم المتوفى سنة ٢٩٧هـ وابنه الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة ٣٥٠هـ وقد تلمذ على سهل بن عبد الله التستري وفي أشهر رجال السالمية أبو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب وتجمع السالمية في مقالاتهم بين آراء أهل السنة والمعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية فيها شيء من الاتحاد. انظر شذرات الذهب ٢٦/٣، والفرق بين الفرق ١٥٧-٢٠٢.

(٥) الكرامية: رئيسهم هو أبو عبد الله محمد بن كرام السجستاني، شيخ الطائفة الكرامية. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي صفحة ٢١٥.

والنار وقد وافقه أبو الهذيل (١) إمام المعتزلة على هذا. لكن قال  
تتناهى الحركات فالمعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية) انتهى قول  
ابن تيمية.

### الملاحدة تدعي أن أبطن الكفر حقيقة الإيمان:

يقول ابن تيمية عند تفسيره لقوله تعالى: { إذا جاءك المنافقون قالوا  
نشهد أنك لرسول الله والله يعلم إنكم لرسوله والله يشهد إن المنافقين  
لكاذبون } (٢) يقول (٣): والملاحدة يظهرون موافقة المسلمين ويبطنون  
خلاف ذلك وهم شر من المنافقين فإن المنافقين نوعان: نوع يظهر  
الإيمان ويبطن الكفر ولا يدعي أن الباطن الذي يبطنه من الكفر هو  
حقيقة الإيمان. والملاحدة تدعي أن ما تبطنه من الكفر هو حقيقة إيمان  
وأن الأنبياء والأولياء هم من جنسهم يبطنون ما يبطنون مما هو كفر  
وتعطيل، فهم يجمعون بين إبطان الكفر وبين دعواهم أن ذلك الباطن  
هو الإيمان عند أهل الفرقان فلا يظهرون للمستجيب لهم أن باطنه  
طعن في الرسول والمؤمنين وتكذيب له بل يجعلون ذلك في كمال  
الرسول وتمام حاله، وأن الذي فعله هو الغاية في الكمال وأنه لا يفعله  
إلا أكمل الرجال من سياسة الناس على السيرة العادلة وعمارة العلم  
على الطريقة الفاضلة وهذا قد يظنه طوائف حقا باطنا وظاهرا فيؤول

(١) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي مولى عبد القيس أبو الهذيل العلاف من  
أئمة المعتزلة، ولد في البصرة عام ١٣٥هـ، واشتهر بعلم الكلام له مقالات في الاعتزال ومجالس  
ومناظرات، توفي بسامراء عام ٢٣٥هـ، انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٤٨٠ ولسان  
الميزان ٥ / ٤١٣.

(٢) سورة المنافقون الآية ١.

(٣) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ٧٩-٨٠.



أمرهم إلى أن يكون النفاق عندهم هو حقيقة الإيمان وقد علم بالاضطراد أن النفاق ضد الإيمان.

ولهذا كان أعظم الأبواب التي يدخلون منها باب التشيع والرفض لأن الرافضة هم أجهل الطوائف وأكذبها وأبعدها عن معرفة المنقول والمعقول، وهم يجعلون النقية من أصول دينهم ويكذبون على أهل البيت كذبا لا يحصيه إلا الله، حتى يرووا عن جعفر الصادق أنه قال: "النقية ديني ودين آبائي"، والنقية هي شعار النفاق فإن حقيقتها عندهم أن يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، وهذا حقيقة النفاق. ثم إذا كان هذا من أصول دينهم صار كل ما ينقله الناقلون عن علي أو غيره من أهل البيت مما فيه موافقة أهل السنة والجماعة يقولون: هذا قالوه على سبيل النقية، ثم فتحوا باب النفاق للقرامطة الباطنية الفلاسفة من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم فجعلوا ما يقوله الرسول هو من هذا الباب أظهر به خلاف ما أبطن، وأسر به خلاف ما أعلن، فكان حقيقة قولهم أن الرسول هو إمام المنافقين، وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق المبين للناس ما نزل إليهم، المبلغ لرسالة ربه، المخاطب لهم بلسان عربي مبين". انتهى. وهكذا نرى أن الشيخ ابن تيمية قد تناول جميع الفرق ورد عليها وفند أقوالهم وردها عليهم ولم يكذب يترك فرقة إلا وقد ذكرها وأبطل إدعاءاتها وأرائها وهم القدرية المجبرة والقدرية الفناء والمثبته من الجهمية المجبرة والجهم وأتباعه والمرجئة والخوارج والكرامية والسالمية والمعتزلة وإمامهم أبو الهذيل والملاحدة والشيعية الباطنية والرافضة والمنافقين والفلاسفة وأصحاب الحلول والاتحاد والصوفية والقرامطة والأشاعرة وغيرهم، بقي أن نذكر رده على المسيحية واليهود:

## رده على المسيحية واليهود:

يورد ابن تيمية فصل عن التحريفات في التوراة والإنجيل فيقول: (١) فإن قيل: فإذا كان في كتب الأنجيل التي عندهم أن المسيح صلب وأنه بعد الصلب بأيام أتى إليهم وقال لهم: أنا المسيح ولا يقولون أن الشيطان تمثل على صورته فالشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه أثر المسامير أو نحو هذا الكلام، فأين الأنجيل الذي قال الله عز وجل فيه: {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه} (٢) وقال قبل هذا {وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون} (٣)، وقد قيل قبل هذا: {وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يقولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء} (٤) ثم يورد آيات كثيرة تتعلق باليهود والنصارى ثم يقول: (٥) قيل ليس في العالم نسخة بنفس ما أنزل الله في التوراة والإنجيل، بل ذلك مبدل، فإن التوراة انقطع تواترها والإنجيل إنما أخذ عن أربعة. ثم من هؤلاء من زعم أن كثيرا مما في

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ١ / ٢٠٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٧.

(٣) سورة المائدة الآية ٤٦ - ٤٧.

(٤) سورة المائدة الآية ٤٣ - ٤٤.

(٥) التفسير الكبير لابن تيمية ١ / ٢٠٩ - ٢١٠.

التوراة أو الإنجيل باطل ليس من كلام الله، ومنهم من قال: بل ذلك قليل وقيل لم يحرف أحد شيئاً من حروف الكتب، وإنما حرفوا معانيها بالتأويل. وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين.

والصحيح القول الثالث وهو أن في الأرض نسخاً صحيحة وبقيت إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونسخاً كثيرة محرقة، ومن قال إنه لم يحرف شيء من النسخ فقد قال ما لا يمكنه نفيه، ومن قال جميع النسخ بعد النبي صلى الله عليه وسلم حُرِّفَتْ فقد قال ما يعلم أنه خطأ، والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والإنجيل، ويخبر أنه فيهما حكمه، وليس في القرآن خبر أنهم غيروا جميع النسخ... ومعلوم أن هذا الذي في التوراة والإنجيل من الخبر عن موسى وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى، بل هو مما كتبوه مع ذلك للتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدهما عن حالهما، ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمرا به في حياتهما ولا مما أخبرا به الناس، ثم يقول ابن تيمية (١): والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح ولم يشهد أحد منهم صلبه، فإن الذي صلب إنما صلبه اليهود ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً. وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح. وقد قيل إنهم عرفوا أنه ليس هو المسيح، ولكنهم كذبوا وشبهوا على الناس، والأول هو المشهور وعليه جمهور الناس (٢). وهكذا يفصل الشيخ ابن تيمية تفصيلاً كثيرة في هذا الموضوع تستغرق عدة صفحات. كما أنه كتب فصلاً كاملاً في

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ١/ ٢٠٩-٢١٠.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ١/ ٢١١.

موضع آخر في مجادلة أهل الكتاب في أمر المسيح وأورد آيات كثيرة آخرها {وقالت النصارى المسيح ابن الله} (١) فيقول بعد أن قدم مقدمة: "وظن ابن جرير الطبري أن هذه الطوائف كانوا قيل اليعقوبية والنسطورية والملكية، كما ذكره طائفة من المفسرين كابن جرير الطبري والثعلبي وغيرهما، ثم تارة يحكون عن اليعقوبية وأن عيسى هو الله وعن النسطورية أنه ابن الله وعن المريوسية أنه ثالث ثلاثة، وتارية يحكون عن النسطورية أنه ثالث ثلاثة وعن الملكية أنه الله، ويفسرون قولهم ثالث ثلاثة بالأب والابن وروح القدس. والصواب أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة الملكية واليعقوبية والنسطورية. فإن هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم الثلاثة الأب والابن وروح القدس، فتقول: إن الله ثالث ثلاثة وتقول عن المسيح أنه الله، وتقول إنه ابن الله، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت، وأن المتحد هو الكلمية، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم التي تتضمن ذلك وهو قولهم نؤمن بالله واحد أب ضابط الكل خالق السماوات والأرض، وكل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق". (٢) كل هذه الأمثلة هي ليست على سبيل الحصر بل انتخبناها من تفسيره ولمن أراد الاستزادة فيمكنه الرجوع إلى تفسيره في المواضع التالية مجادلة أهل الكتاب ٥٣/٤، الرد على ابن فورك ٤٥١/٣، كلامه على الرفضة ٤/٤، الرد على الجبرية والقدرية ١٥٤/٣، الرد على أصحاب وحدة

(١) سورة التوبة الآية ٣٠.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٤/٥٦-٥٧.

الوجود ١ / ٢٩٥، الرد على الخوارج ٨ / ٢، الرد على القدرة واصل ضلالهم ٢ / ١٢، الرد على اليونسية ٢ / ١٨، الرد على أهل البدع ٢ / ٣٢، الرد على المتفلسفة في إنكارهم الأكل والنكاح في الجنة ٢ / ٩٩، وغير ذلك كثير. بل تكاد لاتخلو صفحة أو صفحتين من الرد على طائفة أو جماعة أو فرقة من الفرق الضالة.

### موقفه من آيات التوحيد: د:

لقد عاش ابن تيمية في عصر ملئ بالبدع والخرافات والشركيات ولقد كان للصوفية المبتدعة في ذلك الوقت سلطان قوي وكلمة نافذة، وقد اعتنقوا مذهب وحدة الوجود، كما انتشرت العقائد والأفكار الأخرى المحاربة للإسلام. لذا أخذ الشيخ ابن تيمية على نفسه الذب عن الإسلام وعن عقائد الإسلام ومبادئه وركز على أمور التوحيد في الأسماء والصفات والعلو وغير ذلك. ونأخذ نماذج مما تناوله في تفسيره فمثلا يورد فصلا لمناقشة نفاة الصفات والمثبتين لبعضها فيقول: (١) "والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفس الصفات وابن كلاب ومن تبعه كالأشعري وأبي العباس القلانسي ومن تبعهم أثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته، ومثل كون فعله الاختياري يقوم بذاته، ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد إيمانهم ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم، ومثل كونه يرى أفعال العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى: {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون} (٢) فأثبت رؤية مستقبلية، وكذلك

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ١ / ٢٣٩-٢٤٤.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٥.

قوله تعالى: {ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون} (١).

ومثل كونه نادى موسى حين أتى. لم يناده قيل ذلك بنداى قام بذاته، فإن المعتزلة والجهمية يقولون: خلق نداء في الهواء، والكلابية والسلمية يقولون: النداء قام بذاته وهو قديم، لكن سمعه موسى، فاستجدوا سماع موسى وإلا فما زال عندهم مناديا. والقرآن والأحاديث وأقوال السلف والأئمة كلها تخالف هذا وهذا، وتبين أنه ناداه حين جاء، وأنه يتكلم بمشيئته في وقت بكلام معين كما قال: {ولقد خلقناكم ثم صورناكم، ثم قلنا للملائكة استجدوا لادم} (٢) وقال تعالى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} (٣) والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الأصل، وأما الأحاديث فلا تحصى، وهذا قول أئمة السنة والسلف وجمهور العقلاء، ولهذا قال عبد الله بن المبارك والإمام أحمد بن حنبل وغيرهما: لم يزل متكلمما إذا شاء وكيف شاء، وهذا قول عامة أهل السنة. فلماذا اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ولم نعرف عن أحد من السلف أنه قال: هو قديم لم يزل، والذين قالوا من المتأخرين: هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد. بل منهم من يقول: هو قديم في علمه، ومنهم من يقول: قديم أي متقدم الوجود، متقدم على ذات زمان المبعث، لا أنه أزلي لم يزل، ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق، وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أنه

(١) سورة يونس الآية ١٤.

(٢) سورة الأعراف الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران الآية ٥٩.

على هذا الأصل إذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عبادته، وكان ذلك بمشيئته وقدرته، إذا كان خلقه لهم بمشيئته وقدرته، وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامهم وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب إليم: ملك كذاب، وشيخ زان، وعائل مستكبر". (١) وكذلك في (الاستماع) قال تعالى: {وأذنت لربها وحقت} (٢) أي استمعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ما أذن الله لشيء كاذنه لنني حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به ) (٣) وقال: ( الله أشد أذنا إلى صاحب القرآن من صاحب القينة إلى قينته ) (٤) فهذا تخصيص بالأذن وهو الاستماع لبعض الأصوات دون بعض. وكذلك قول الخليل (إنك سميع الدعاء) (٥)، وقوله (إنه سمع قريب) (٦). يقتضي التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والنسبة، وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند النفاة هو تخصيص بأمر مخلوق، منفصل، لا بمعنى يقوم بذاته، وتخصيص من يجب بالنظر والاستماع المذكور يقتضي أن هذا النوع منتف عن غيرهم. لكن مع هذا هل يقال: إن نفي الرؤية والسمع الذي هو مطلق الإدراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجود مسموع ومرئ إلا وقد تعلق به كالعالم أو يقال: إنه أيضا بمشيئته وقدرته

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ٤٦ باب بيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة.

(٢) سورة الإنشاق الآية ٥، ٢.

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٣٤ باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١٧٦ باب في حسن الصوت بالقرآن.

(٥) سورة آل عمران الآية ٣٨.

(٦) سورة سبا الآية ٥٠.

فيمكنه أن لا ينظر إلى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والأول قول من لا يجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته، وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئ والمسموع وجب تعلق الإدراك به. والقول الثاني: إن جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لا ينظر إلى شيء من المخلوقات، وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف، كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال: ما نظر الله إلى شيء من خلقه إلا رحمة، ولكنه قضى أن لا ينظر إليهم. وقد يقال: وقد يقال: هذا مثل الذكر والنسيان، فإن الله تعالى قال: {فاذكروني أذكركم} (١) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله تعالى: {أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة} (٢) فهذا الذكر يختص بمن ذكره، فمن لا يذكره يحصل له هذا الذكر، ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته، ومن أعرض عن الذكر الذي أنزله أعرض عنه كما قال (ومن أعرض عن ذكرني فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى} (٣) ومثل قوله: {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون

(١) سورة البقرة الآية ١٥٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٥ باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه).

(٣) سورة طه الآية ١٢٤.



عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم} (١) وقد فسروا هذا النسيان بأنه وهذا النسيان ضد ذلك الذكر وفي الصحيح في حديث الكافر يحاسبه قال (أفظننت أنك ملاقي؟ قال: لا. قال: فاليوم أنساك كما نسيتني) (٢) فهذا يقتضي أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته، هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضا، وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم ما سيعمله قبل أن يعمل، ولما عمل علم ما عمل ورأى عمله، فهذا النسيان لا يناقض ما عمله سبحانه من حال هذا (٣).

مثالا آخر من تفسير ابن تيمية يذكر فصلا في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فيقول: (٤) (ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقدهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقدهم إلى الإله المعبود، وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة، كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته، وكان الدعاء له والاستعانة به والتوكل عليه فيهم أكثر من العبادة له، والإنابة إليه، ولهذا إنما بعث الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو المقصود المستلزم للإقرار بالربوبية، وقد أخبر عنهم) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله} (٥) وإنهم إذا مسهم الضر ضل من يدعون إلا إياه وقال: {وإذا غشيه موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين} (٦) فأخبر أنهم مقرون بربوبيته، وأنهم مخلصون له الدين إذا مسهم الضر في

(١) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقائق ١٦ (٢٩٦٨).

(٣) التفسير الكبير لابن تيمية ١ / ٢٣٩ - ٢٤٤.

(٤) نفس المصدر ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠.

(٥) سورة الزخرف الآية ٨٧.

(٦) سورة لقمان الآية ٣٢.

دعائهم واستعانتهم، ثم يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم، وكثير من المتكلمين إنما يقررون الوجدانية من جهة الربوبية، وأما الرسل فهم دعوا إليها من جهة الألوهية، وكذلك كثير من المتصوفة المتعبدة وأرباب الأحوال إنما توجههم إلى الله من جهة ربوبيته، لما يمدهم به في الباطن من الأحوال التي بها يتصرفون وهؤلاء من جنس الملوك، وقد ذم الله عز وجل في القرآن هذا الصنف كثيرا، فتدبر هذا فإنه تتكشف به أحوال قوم يتكلمون في الحقائق، ويعملون عليها، وهم لعمرى في نوع من الحقائق الكونية القدرية الربوبية لا في الحقائق الدينية الشرعية الإلهية، وقد تكلمت على هذا المعنى في مواضع متعددة وهو أصل عظيم يجب الاعتناء به والله سبحانه أعلم). (١)

ويقول ابن تيمية في مسألة الاستغاثة (٢): "ومن المأثور عن أبي يزيد (٣) رحمه الله أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الفريق بالفريق. وعن الشيخ أبي عبد الله القرشي أنه قال: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون. وهذا تقريب وإلا فهو كاستغاثة العدم بالعدم، فإن المستغاث به إن لم يخلق الحق فيه قوة وحولا وإلا فليس له من نفسه شيء، قال سبحانه {من ذا الذي يشفع

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ٣٢٤.

(٣) هو طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد زاهد مشهور له أخبار كثيرة ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية توفى عام ٢٦١هـ - راجع ميزان الاعتدال ١ / ٤٨١، ووفيات الأعيان ١ / ٢٤٠.

عنده إلا بإذنه}{(١) وقال تعالى: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى}{(٢)  
وقال تعالى: {وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله}{(٣) انتهى.  
وقوله عند تفسيره لقوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}{(٤)  
يقول (٥) "الأئمة كانوا إذا سئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه بل  
يثبتون المعنى، وينفون الكيفية كقول مالك بن أنس لما سئل عن قوله  
تعالى {الرحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ فقال: الاستواء  
معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.  
وكذلك ربعة قبله، وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل  
السنة من ينكره، وقد بين أن الاستواء معلوم كما أن سائر ما أخبر به  
معلوم، ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها، لا يقال كيف  
استوى؟ ولم يقل ما لك: الكيف معدوم، وإنما قال: الكيف مجهول.  
وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة غير أن أكثرهم  
يقولون: لا تخطر كيفيته ببال. ولا تجري ماهيته في مقال. ومنهم من  
يقول: ليس له كيفية ولا ماهية، فإن قيل: معنى قوله الاستوى معلوم  
أن ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم، كما قاله بعض أصحابنا الذين  
يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه قيل: هذا  
ضعيف، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل فإن السائل قد علم أن هذا  
موجود في القرآن وقد تلا الآية.

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٢.

(٤) سورة طه الآية ٥.

(٥) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ١٢٣ - ١٣٥.

وأيضاً: فلم يقل: ذكر الاستواء من القرآن ولا أخبار الله بالاستواء، وإنما قال: الاستواء معلوم، فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم، ولم يخبر عن الجملة. وأيضاً فإنه قال (والكيف مجهول) ولو أراد ذلك لقال: معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول، أو بيان الاستواء غير معلوم فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء أو بيان الاستواء يغير معلوم فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه لو قال في قوله: {أنني معكما أسمع وأرى} (١).

كيف يسمع وكيف يرى؟ لقلنا: السمع والرؤيا معلوم، والكيف مجهول. ولو قال: كيف كلم موسى تكليماً؟ لقلنا: التكليم معلوم والكيف غير معلوم. وأيضاً فإن من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة، يقرون بأن الله فوق العرش حقيقة، وأن ذاته فوق ذات العرش، لا ينكرون معنى الاستواء، ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية. ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة قال بعضهم: ارتفع على العرش، علا على العرش. وقال بعضهم عبارات أخرى، وهذه ثابتة عن السلف قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخر كتاب (الرد على الجهمية) وأما التأويلات المحرفة مثل استوى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية انتهى.

وعند تفسيره لقوله تعالى: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم} (٢)

(١) سورة طه الآية ٤٦.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ١٣٣-١٣٥.

يقول ابن تيمية (١): ذكر عن جعفر بن محمد أنه قال الأولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم أي قوله { لا إله إلا هو العزيز الحكيم } ومعنى هذا أن الأولى هو ذكر أن الله شهد بها فقال "شهد الله أنه لا إله إلا هو" والتالي للقرآن إنما يذكر أن الله شهد بها هو والملائكة وأولوا العلم، وليس في ذلك شهادة من التالي نفسه بها، فذكرها الله مجردة ليقولها التالي، فيكون التالي قد شهد بها أنه لا إله إلا هو. فالأولى خبر عن الله بالتوحيد لنفسه بشهادته لنفسه، وهذه خبر عن الله بالتوحيد". (٢).

ويقول: (٣) "قد تضمنت هذه الآية ثلاثة أصول: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنه قائم بالقسط وأنه العزيز الحكيم، فتضمنت وحدانيته المنافية للشرك، وتضمنت عدله المنافي للظلم وتضمنت عزته وحكمته المنافية للذل والسفه وتضمنت تنزيهه عن الشرك والظلم والسفه، ففيها إثبات التوحيد وإثبات العدل وإثبات الحكمة وإثبات القدرة والمعتزلة قد تحتج بها على ما يدعونه من التوحيد والعدل والحكمة ولا حجة فيها لهم، لكن فيها حجة عليهم وعلى خصومهم الجبرية أتباع الجهم بن صفوان، الذين يقولون كل ما يمكن فعله فهو عدل، ويتقون الحكمة فيقولون يفعل لا لحكمة فلا حجة فيها لهم فإنه أخبر أنه لا إله إلا هو، وليس في ذلك نفي الصفات، وهم يسمون نفي الصفات توحيداً، بل الإله هو المستحق للعبادة، والعبادة لا تكون إلا مع محبة المعبود.

(١) سورة آل عمران الآية ١٨.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٣ / ١٥٠.

(٣) نفس المصدر ٣ / ١٥٢.

ويقول ابن تيمية في موضع آخر: (١) " وإثبات شهادة أولي العلم يتضمن أن الشهادة له بالوحدانية يشهد بها له غيره من المخلوقين، الملائكة والبشر، وهذا متفق عليه يشهدون أن لا إله إلا الله، ويشهدون بما شهد به لنفسه. وزعم طائفة في الاتحادية أنه لا يوجد أحد الله وأنشدوا:

ما وحد الواحد من أحد      إذ كل من وحده جاحد (٢)

وهؤلاء حقيقة قولهم من جنس قول النصارى في المسيح يدعون أن حقيقة التوحيد أن يكون الموحد هو الموحد فيكون الحق هو الناطق على لسان العبد والله الموحد لنفسه لا العبد، وهذا في زعمهم هو السر الذي كان الحلاج يعتقدوه وهو بزعمهم قول خواص العارفين، لكن لا يصرحون به وحقيقة قولهم: أنهم اعتقدوا في عموم الصالحين ما اعتقدته النصارى في المسيح، لكن لم يمكنهم إظهاره، فإن دين الإسلام يناقض ذلك مناقضة ظاهرة، فصاروا يشيرون إليه، ويقولون: إنه من السر المكتوم ومن علم الأسرار الغيبية فلا يمكن أن يباح به، وإنما هو قول ملحد وهو شر من قول النصارى، فإن النصارى إنما قالوا ذلك في المسيح لم يقولوه في جميع الصالحين. وقد بسط الكلام على ذلك في غير موضع، إذ المقصود التنبيه على ما في هذه الآية من أصول الإيمان، والتوحيد وإبطال قول المبتدعين".

وعلى العموم فإن ابن تيمية قد تناول آيات التوحيد بشيء من التفصيل ورد على جميع الفرق التي تناقض آراء أهل السنة والجماعة وردها على أعقابها متفهرة خائبة وقد أوردنا أمثلة كثيرة على ذلك ونكتفي

(١) نفس المصدر ٣ / ١٥٦-١٥٧.

(٢) هذا البيت لمحى الدين بن عربي صاحب كتاب (الفتوحات المكية).

بهذا القدر لأننا لو أردنا أن نورد كل مثال ذكره في تفسيره لطلال بنا  
الكلام ولأخذنا الملال.

### موقفه من الآراء الفقهية:

لا يتطرق ابن تيمية كثيرا إلى النزاعات الفقهية وإنما يذكر غالبا رأي  
الجمهور ويعبر دائما بلفظة جميلة فيقول: " وهذا مذهب السلف من  
الأئمة الأربعة" وبعض الأحيان يورد رأي للإمام مالك وأحمد ويقول  
وقد قال الفقهاء أصحاب أحمد وقال الشافعي وأبو حنيفة ، ولكنه بشكل  
عام لم يتوغل كثيرا في تنازع العلماء بآرائهم الفقهية، ولناخذ أمثلة  
على ذلك فمثلا يقول ابن تيمية: (١) " وتنازع العلماء في السكران مع  
اتفاقهم أنه لا تصح لقوله صلى الله عليه وسلم ( مروهم بالصلاة لسبع  
واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) (٢) وهو  
معروف في السنن، وتنازعوا في عقود السكران كطلاقه، وفي أفعاله  
المحرمة كالقتل والزنا هل يجري مجرى العاقل أو مجرى المجنون أو  
يفرق بين أقواله وأفعاله.... إلى أن يقول وهو قول من يسوي بين  
البنج والسكران من اصحاب الشافعي وموافقيه كأبي الخطاب،  
والأكثرين على الفرق، وهو منصوص أحمد وأبي حنيفة وغيرهما،  
لأن الخمر تشتهيها النفس وفيها الحد، بخلاف البنج فإنه لا حد فيه بل  
فيه التعزير، وعامة العلماء على أنه لا حد فيها إلا قولنا نقل عن  
الحسن، فهذا فيمن زال عقله. وأما إذا كان يعلم ما يقول، فإن كان  
مختارا قاصدا لما يقوله فهذا هو الذي يعتبر قوله، وإن كان مكرها  
فإن أكرهه على ذلك بغير حق فهذا عند جمهور العلماء أقواله كلها

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٣ / ٨٠-٨٤.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢ / ١٨٠.

لغو، مثل كفره، وإيمانه وطلاقه وغيره، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم. وأبو حنيفة وطائفة يفرقون بين ما يقبل الفسخ ومالا يقبله).

مثالا آخرًا عند تفسيره لقوله تعالى: {ولا تتكفروا المشركات} (١) فيقول: (٢) "وقد أباح العلماء التزويج بالنصرانية واليهودية، فهل هما من المشركين أم لا؟ فأجاب الحمد لله، نكاح الكتابية جائز بالآية التي في المائدة قال تعالى: {وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم} (٣) وهذا مذهب جماهير السلف والخلف من الأئمة الأربعة وغيرهم".

وعند تفسيره لقوله تعالى: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب..} (٤) يقول ابن تيمية (٥) "... ويحتج بها طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد على أن الحر لا يقتل بالعبد لقوله: {والعبد بالعبد} فينقض ذلك عليه بالمرأة فإنه قال {والأنثى بالأنثى} وطائفة من المفسرين لم يذكروا إلا هذا القول... وفي اعتبار المكافات فيه قولان للفقهاء، قيل: تعتبر المكافات فلا يقتل مسلم بذي ولا حر بعبد وهو قول الأكثرين مالك والشافعي وأحمد، وقيل لا تعتبر المكافات كقول أبي حنيفة".

(١) سورة البقرة الآية ٢٢١.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٥٥ / ٣.

(٣) سورة المائدة الآية ٥.

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٩.

(٥) التفسير الكبير لابن تيمية ٤٠ - ٢٩ / ٣.



مثالا آخرًا يقول ابن تيمية (١): " .. ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أن يوجب العلم، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام، أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية كأبي إسحاق وابن فورك وأما ابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب والآمدي ونحو هؤلاء والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد وأبو الطيب وأبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية وهو الذي ذكره القاضي عبد الوهاب وأمثاله من المالكية وهو الذي ذكره أبو يعلى وأبو الخطاب وأبو الحسن ابن الزاغوني وأمثالهم من الحنبلية، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي وأمثاله من الحنفية وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجبا للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة".

مثالا آخرًا يقول ابن تيمية (٢): " وأما ابن الميته وأنفحتها ففيه قولان مشهوران للعلماء : أحدهما أن ذلك طاهر كقول أبي حنيفة وغيره، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد. والثاني إنه نجس كقول الشافعي، والرواية الأخرى عن أحمد. وعلى هذا النزاع إنبنى نزاعهم في جبن المجوس. فإن ذبائح المجوس حرام عند جمهور السلف والخلف. وقد قيل إن ذلك مجمع عليه بين الصحابة، فإذا صنعوا جينا والجبن يصنع بالأنفخة كان منه هذان القولان. والأظهر أن أنفخة

(١) نفس المصدر ٢ / ٢١٦-٢١٧.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٤ / ٢٠.

الميتة ولبنها طاهر، لأن الصحابة لما فتحوا بلاد العراق أكلوا من جبن المجوس. وكان هذا ظاهراً سائغاً بينهم. وما ينقل عن بعضهم من كراهة ذلك ففيه نظر، فإنه من نقل بعض الحجازيين وفيه نظر، وأهل العراق كانوا أعلم بهذا، فإن المجوس كانوا ببلادهم ولم يكونوا بأرض الحجار".

مثالاً أخيراً من تفسير أبي تيمية يقول فيه: (١) "... ومن ظن من أصحاب أحمد وغيرهم أن تحريم نكاح من أبواه مجوسيان أو أحدهما مجوسي قول واحد من مذهبه فهو مخطيء خطأ لا ريب فيه لأنه لم يعرف أصل النزاع في هذه المسألة ولهذا كان من هؤلاء من يتناقض فيجوز أن يقر بالجزية من دخل في دينهم بعد النسخ والتبديل. ويقول مع هذا بتحريم نكاح نصراني العرب مطلقاً. ومن كان أحد أبويه غير كتابي كما فعل ذلك طائفة من أصحاب أحمد، وهذا تناقض. والقاضي أبو يعلى وإن كان قد قال هذا القول وطائفة من أتباعه فقد رجع عن هذا القول في الجامع الكبير وهو آخر كتبه.... وإذا كان هذا فيمن أبواه مشركان من العرب والروم فمن كان أحد أبويه مشركاً فهو أولى بذلك، هذا هو المنصوص عن أحمد، فإنه قد نص على أنه من دخل في دينهم بعد النسخ والتبديل كمن دخل في دينهم في هذا الزمان، فإنه يقر بالجزية. قال أصحابه: وإذا أقررناه بالجزية حلت ذبائحهم وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وغيرهما. وأصل النزاع في هذه المسألة ما ذكرته من نزاع علي وغيره من الصحابة في بني تغلب والشافعي وأحمد من إحدى الروايتين عنه، والجمهور أحلوها وهي الرواية الأخرى عن أحمد. ثم الذين كرهوا ذبائح بني تغلب تنازعوا في مأخذ

(١) المصدر السابق ٤/ ١٢٣-١٣٤.

علي فظن بعضهم أن عليا إنما حرم ذبائحهم ونساءهم لكونه لم يعلم أن آباءهم دخلوا في دين أهل الكتاب قبل النسخ والتبديل وبنوا على هذا أن الاعتبار في أهل الكتاب بالنسب لا بنفس الرجل، وأن من شككنا في أجداده هل كانوا من أهل الكتاب أم لا؟ أخذنا بالاحتياط فحققنا دمه بالجزية احتياطاً وحرماناً ذبيحته ونساءه احتياطاً. وهذا مأخذ الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد... وقال آخرون: بل علي لم يكره ذبائح بني تغلب إلا لكونهم ما تدينوا بدين أهل الكتاب في واجباته ومحظوراته، بل أخذوا منه حل المحرمات فقط. ولهذا قال: "إنهم لم يتمسكوا من دين أهل الكتاب إلا بشرب الخمر". وهذا المأخذ من قول علي هو المنصوص عن أحمد وغيره وهو الصواب.

وبالجملة فالقول بأن أهل الكتاب المذكورين في القرآن هم من كان دخل جده في ذلك قبل النسخ والتبديل قول ضعيف. والقول بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراد ذلك قول ضعيف، بل الصواب المقطوع به أن كون الرجل كتابياً أو غير كتابي هو حكم مستقل بنفسه لا بنسبه، وكل من تدين بدين أهل الكتاب فهو منهم، سواء كان أبوه أو جده دخل في دينهم أو لم يدخل وسواء كان دخوله قبل النسخ والتبديل أو بعد ذلك، وهذا مذهب جمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك. وهو المنصوص الصريح عن أحمد، وإن كان بين أصحابه في ذلك نزاع معروف، وهذا القول هو الثابت عن الصحابة رضي الله عنهم، ولا أعلم بين الصحابة في ذلك نزاعاً). انتهى قول ابن تيمية.

وهذه هي مقتطفات من تفسيره لموقفه من الفقه فهو كما أسلفنا لم يتوغل كثيراً في النزاعات الفقهية وتنازع العلماء بأرائهم كما يفعله

غيره من المفسرين بل يشرح آرائهم بكل اقتضاب واختصار، ثم يبين رأي الجمهور من العلماء في تلك المسألة.

### موقفه من القراءات:

لم يتطرف ابن تيمية إلى القراءات ولم يعتمد في تفسيره على أساس اختلاف القراءات والقراء. ولكن رغم ذلك فقد استطعنا أن نستخرج من تفسيره بعض الاختلافات التي ذكرها وإن كانت قليلة جدا ولم يسهب فيها كثيرا بل ذكرها مرورا بسيطا على الآية. فمثلا قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١): "وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كالأربعة الذين من الأنصار، وكعبد الله بن عمرو فتبين بما ذكرناه أن القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم ليست هي الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها وذلك باتفاق علماء السلف والخلف. وكذلك ليست هذه القراءات السبعة هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها وذلك باتفاق العلماء المعبرين، بل القراءات الثابتة عن أئمة القراء كالأعمش ويعقوب وخلف وأبي جعفر يزيد ابن القعقاع وشيبة بن نصاح ونحوهم، هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من ثبت ذلك عنده، كما ثبت ذلك. وهذا أيضا مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبوعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم، وإنما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الإمام الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان والأمة بعدهم، هل هو بما فيه من القراءات السبعة وتمام العشرة وغير ذلك. هل هو خوف من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ٢٧١-٢٧٥.

عليها، أو هو مجموع الأحرف السبعة؟ على قولين مشهورين: الأول: قول أئمة السلف والعلماء. والثاني قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم وهم متفقون على أن الأحرف السبعة يخالف بعضها بعضا خلافا يتضاد فيه المعنى ويتناقض، بل يصدق بعضها بعضا كما تصدق الآيات بعضها بعضا. وسبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع وتسويفه ذلك لهم إذ مرجع ذلك إلى السنة والأتباع لا إلى الرأي والابتداع. أما إذا قيل: إن ذلك هي الأحرف السبعة فظاهر وكذلك بطريق الأولى إذا قيل: إن ذلك حرف من الأحرف السبعة، فإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرأوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف مع تنوع الأحرف في الرسم فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى وهذا من أسباب تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين كالتاء والياء والفتح والضم وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين ويكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيها بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين المعقولين المفهومين، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا عنه ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعا كما قال أبو عبد الرحمن السلمي وهو الذي روى عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه كما رواه البخاري في صحيحه وكان يقرأ القرآن أربعين سنة.... وتجوز القراءة في الصلاة وخارجها بالقراءات الثابتة الموافقة لرسم المصحف، كما ثبتت هذه القراءات وليست شاذة حينئذ والله أعلم".

وحيثما سئل الشيخ ابن تيمية عن جمع القراءات السبع هل هو سنة أم بدعة وهل جمعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا؟ وهل لجامعها مزية ثواب على من قرأ برواية أم لا؟ فأجاب قائلاً: (١) "أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، فمعرفة القرآن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها أو يقرهم على القراءة بها أو يأذن لهم، وقد أقرها بها سنة، والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك، ولا يعرف إلا قراءة واحدة وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة، وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة". هذا كان رأي ابن تيمية في القراءات وروايتها إما أنه لم يذكر في تفسيره شيئاً من ذلك اللهم إلا في شيء قليل.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: { وانظر إلى العظام كيف ننشزها } (٢) يقول (٣): "أي نرفع بعضها إلى بعض، ومن قرأ (ننشزها) أراد نحيتها).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (٤): "ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا كما قال عبد الله بن مسعود إنما هو كقول أحدكم: أقبل وهلم، وتعال وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩.

(٣) التفسير الكبير ٣ / ٢٣٩.

(٤) نفس المصدر ٢ / ٢٦١-٢٦٣.

تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض، وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: أنزل القرآن على سبعة أحرف، إن قلت: غفورا رحيمًا أو قلت: عزيزًا حكيمًا، فلله كذلك ما لم تختتم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة<sup>(١)</sup>. وهذا كما في القراءات المشهورة ربنا باعد وبعاد، (إلا أن يخافا ألا يقيما، وإلا أن يخافا ألا يقيما) (وإن كان مكرهم لتزول، وليزول منه الجبال)، و(بل عجبت وبل عجبت) ونحو ذلك. ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا من وجه متباينا من وجه كقولـه (يخدعون ويخادعون) و(يكذبون ويكذبون) ولمستم ولا مستم) و(حتى يطهرن ويطهرن) ونحو ذلك فهذه القراءات التي تغاير فيها لامعنى كلها حق وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، وأتباع ماتضمنته من المعنى علما وعملا، لا يجوز ترك موجب أحدهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض، بل كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. وأما ما اتحد لفظه ومعناه وإنما يتنوع صفة النطق به كالهمزات والمدات والإمالات، ونقل الحركات والإظهار والإدغام والاختلاس وترقيق اللامات والراءات أو تغليظها ونحو ذلك مما يسمى القراءات الأصول، فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيهم تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى. إذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اختلف معناه من المترادف ونحوه. ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها من أولى ما

<sup>(١)</sup> رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٦ / ٢٢٧-٢٢٨.

يتنوع فيه اللفظ أو المعنى وإن وافق رسم المصحف، وهو ما يختلف فيه النقط أو الشكل. ولذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتبوعين من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين، بل من ثبت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوها كما ثبت عنده قراءة حمزة والكسائي، فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح المدنيين وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب بن إسحاق وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي وللعلماء الأئمة في ذلك من كلام ما هو معروف عند العلماء، ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة أو الأحد عشر كتبوت هذه السبعة يجمعون ذلك في الكتب، ويقرأونه في الصلاة وخارج الصلاة، وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم (١). كان هذا رأي ابن تيمية في مسألة القراءات سواء أكانت القراءات متواترة أم من القراءات الشاذة فقد فصل فيها وفي حكم القراءة فيها.

### موقفه من رواية الإسرائيليات:

من المعلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان بعيد كل البعد عن رواية الإسرائيليات ولا يتطرق إليها لا من قريب ولا من بعيد بل في كثير من تفسيره للآيات يذكر غلط بعض المفسرين الذين فسروا الآية على وجه غير صحيح مستندين بذلك على الكتب القديمة وعلى

(١) التفسير الكبير لابن تيمية ٢ / ٢٦١-٢٦٣.



الإسرائيليات، ويدافع وينافح بكل ما أوتي من حجة على الأنبياء وعصمتهم وما يقدر بها من قصص وأباطيل من فعل رواة الإسرائيليات، ويذكر بكتابه مقدمة في أصول التفسير (١) فيقول: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام أحدها ما علمنا صحته ما بأيدينا مما نشهد له بالصدق فذاك صحيح والثاني ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه والثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذه كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أي شجر كانت وأسماء الطيور التي أحيهاها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به المقتول من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى: {سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا لا تستفت فيهم منهم أحدا} (٢) فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته إذ لو كان

(١) مقدمة في أصول التفسير للإمام ابن تيمية الصفحة ٣٢، و٣٣.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٢.

باطلا لرده كما ردهما ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا { قل ربي أعلم بعدتهم } فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عيه فلماذا قال: { فلا تمار فيهم إلا مرآة ظاهرا } أي لاتجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب فهذا أحسن ما يكون في كحاية الخلاف إن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وإن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الأهم".

وقد ذكر ابن تيمية ما علمنا صحته في قوله تعالى: { وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق } (١) قال (٢): " وقد ثبت في الصحاح والسنن والمسانيد هذا ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ قالوا: نفضحهم ويجلدون . فقال عبد الله بن سلام: كذبتم . إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد فأمر بهما النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٤ / ١٠٤ - ١٠٥ .

فرجما". (١) وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أنه قال: "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق حتى جاء يهودي. فقال: ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا: نسود وجوههما ويطاف بهما، قال: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. قال: فجاؤوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بأية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال عبد الله بن سلام: مره فليرفع يديه فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم قالوا: صدق فيها آية الرجم، ولكننا نتكأتمه بيننا، وإن أحبارنا أحدثوا التحميم والتحبية. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما فرجما". (٢).

ففرى الإمام ابن تيمية يسوق لنا خمسة روايات متشابهات عن حد لزننا في بني إسرائيل ولكنه لم يستند إلى الرواية الإسرائيلية بل استند إلى الأحاديث الصحيحة التي رواها الإمام البخاري وعد هذا النوع من الإسرائيليات من التي توافق شرعنا ولا تتأفیه، أما الإسرائيليات ما هو مسكوت عنها لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل والتي لا تؤمن بها ولا نكذبها وتجاوز حكايتها فقد أعرض عنها بالكلية وقال ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولم يتطرف إليها البتة. ولكنه فسر قوله تعالى: {قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عند علم الكتاب} (٣) على خلاف ما فسره المفسرون حيث إنهم قال الشاهد

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب المناقب ٢٦ باب قول الله تعالى {يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون} الحديث ٣٦٣٥.

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الحدود ٢٤ باب الرجم في بلاط الحديث ٦٨١٩.

(٣) سورة الرعد الآية ٤٣.

والذي عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام ولكنه يقول (١): "يتلو هذا الذي هو على بينة من ربه شاهد من الله، والشاهد من الله كما أن البينة التي هو عليها المذكورة من الله أيضا. وأما قول من قال (الشاهد) من نفس المذكور وفسره بلسانه، أو بعلي بن أبي طالب فهذا ضعيف، لأن كون شاهد الإنسان منه لا يقتضي أن يكون الشاهد صادقا، فإنه مثل شهادة الإنسان لنفسه، بخلاف ما إذا كان الشاهد في الله، فإن الله يكون هو الشاهد، وهذا كما قيل في قوله: {قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب} (٢) إنه علي فهذا ضعيف لأن شهادة قريب له قد أتبعه على دينه ولم يهتد إلا به لا تكون برهانا للصدق ولا حجة على الكفر، بخلاف شهادة من عنده علم الكتاب الأول فإن هؤلاء شهادتهم برهان ورحمة).

إما الإسرائيليات التي تقدح بعصمة الأنبياء والتي تصطدم بشرعنا بشكل مباشر فلا يتطرق إليها لا من قريب ولا من بعيد كما سقط غيره من المفسرين في بعضها ولم يكتف بسكوته وحسب بل يرد على كثير من التفاسير ردا عنيفا ويفند أقوالهم كما كان يفعل ويرد على الفرق من جهمية ومرجئة ومعتزلة وغيرهم. فبعض التفاسير تتهم نبينا يوسف عليه السلام بعدم التوكل حينما قال {اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه} (٣) يقول: (٤) " قيل أنسى يوسف ذكر ربه لما قال ( اذكرني عند ربك) وقيل: بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر

(١) التفسير لابن تيمية ٥ / ٨.

(٢) سورة الرعد الآية ٤٣.

(٣) سورة يوسف الآية ٤٢.

(٤) التفسير الكبير لابن تيمية ٥ / ٥٥-٥٧.

ربه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله: اذكرني عند ربك قال تعالى: فأنساه الشيطان ذكر ربه والضمير يعود إلى القريب، إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه، بل كان ذاكر لربه، وقد دعاهما قبل تعبير الرؤيا إلى الإيمان بربه وقال لهما: {يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}{(١)} وقال لهما قبل ذلك: {لا يأتكما طعام ترزقانه}{(٢)} أي في الرؤيا {إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتكما}{(٣)} يعني التأويل (ذلكما مما علمني ربي إنني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون){(٤)} فبذا يذكر ربه عزوجل فإن هذا مما علمه ربه لأنه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله وإن كانوا مقرين بالصانع ولا يؤمنون بالآخرة واتبعت ملة آبائه أئمة المؤمنين الذين جعلهم الله أئمة يدعون بأمره إبراهيم وإسحاق ويعقوب فذكر ربه ثم دعاهما إلى الإيمان بربه ثم بعد هذا عبر الرؤيا فقال: {يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا}{(٥)} ثم لما قضى تأويل الرؤيا

(١) سورة يوسف الآية ٣٩ و ٤٠.

(٢) سورة يوسف الآية ٣٧.

(٣) سورة يوسف الآية ٣٧.

(٤) سورة يوسف الآية ٣٧ و ٣٨.

(٥) سورة يوسف الآية ٤١.

(وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه. أي الذكر المضاف إلى ربه والمنسوب إليه وهو أن يذكر عنده يوسف والذين قالوا ذلك القول قالوا: كان الأولى أن يتوكل على الله ولا يقول اذكرني عند ربك فلما نسي أن يتوكل على ربه جوزي بلبثه في السجن بضع سنين فيقال: ليس في قوله اذكرني عند ربك ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف {إن الحكم إلا لله} (١) كما أن قول أبيه {لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة} (٢) بل يناقض توكله، بل قال: {وما أغنى عنكم في الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون} وأيضا فيوسف قد شهد الله له أنه من عبادة المخلصين والمخلص لا يكون مخلصا مع توكله على غير الله، فإن ذلك شرك ويوسف لم يكن مشركا ولا في عبادته ولا في توكله، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين} فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده وقوله {اذكرني عند ربك} مثل قوله لربه {اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم} (٣) فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضا للتوكل، ولا هو من سؤال الإمارة المنهى عنه، فكيف يكون قوله للفتي: {اذكرني عند ربك} مناقضا للتوكل، وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به، ليعلم حاله ليتبين الحق، ويوسف كان من اثبت الناس).

(١) سورة يوسف الآية ٦٧.

(٢) سورة يوسف الآية ٦٧.

(٣) سورة يوسف الآية ٥٥.

- مثالا آخرًا عند تفسيره لقوله تعالى: { ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه } (١) يقول ابن تيمية (٢): " ويوسف صلى الله عليه وسلم هم هما تركه الله، ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه. وذلك إنما يكون إذا قام المقتضي للذنب وهو السهم وعارضه الإخلاص الموجب لانصراف القلب عن الذنب لله. فيوسف عليه السلام لم يصدر منه إلا حسنة يثاب عليها وقال تعالى: { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون } (٣) وأما ما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاضا على يده، وأمثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذبا على الأنبياء، وقدحا فيهم وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله، ولم ينقل من ذلك أحد عن نبينا صلى الله عليه وسلم حرفا واحدا). ثم إن الإمام ابن تيمية فصل كثيرا في رده هذا وأسهب فيه حتى قال (٤): ( إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر توبته منه، ولهذا كان الناس في عصمة الأنبياء على قولين: إما أن يقولوا بالعصمة من فعلها، وإما أن يقولوا بالعصمة من الإقرار عليها، لا سيما فيما يتعلق بتبليغ الرسالة. فإن الأمة متفقة على أن ذلك معصوم أن يقر فيه على خطأ، فإن ذلك يناقض مقصود الرسالة، ومدلول المعجزة. وليس هذا موضع بسط

(١) سورة يوسف الآية ٢٤.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٥ / ٧٧ - ٧٨.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

(٤) التفسير الكبير لابن تيمية ٥ / ٩١ - ٩٣.

الكلام في ذلك، ولكن المقصود هنا أن الله لم يذكر في كتابه عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر توبته منه، كما ذكر في قصة آدم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء. وبهذا يجب من ينصر قول الجمهور الذين يقولون بالعصمة من الإقرار على من ينفي الذنوب مطلقا، فإن هؤلاء من أعظم حججهم ما اعتمده القاضي عياض وغيره، حيث قالوا: نحن مأمورون بالتأسي بهم في الأفعال، وتجوز ذلك يقدر في التأسي. فأجيبوا بأن التأسي إنما هو فيما أقرؤا عليه، كما أن النسخ جائز فيما يبلغونه من الأمر والنهي، وليس تجوز ذلك مانعا من وجوب الطاعة لأن الطاعة تجب فيما لم ينسخ، فعدم النسخ يقرر الحكم، وعدم الإنكار يقرر الفعل، والأصل عدم كل منهما. ويوسف عليه السلام لم يذكر الله تعالى عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه، أو يستغفر منه أصلا، وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل سراويل، وقعد منها مقعد الخائن ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مستند لهم إلا النقل عن بعض أهل الكتاب وقد عرف كلام اليهود من الأنبياء وغضبهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه. والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصرا وإما تائبا، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائبا، والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفارا كما ذكر عن غيره من الأنبياء، فدل ذلك على أن ما فعله يوسف كان من



الحسنات المبرورة والمباعي المشكورة كما أخبر الله عنه بقوله تعالى: {أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} (١) وإذا كان الأمر في يوسف كذلك، كان ما ذكر من قوله: {إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي} إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف، فإضافة الذنوب إلى يوسف في هذه القضية فرية على الكتاب والرسول، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه، وفيه الاغتيال لنبي كريم، وقول الباطل فيه بلا دليل، ونسبته إلى ما نزهه الله منه، وغير مستبعد أن يكون أصل هذا من اليهود أهل البهت. الذين كانوا يرمون موسى بما برأه الله منه، فكيف بغيره من الأنبياء، وقد تلقى نقلهم من أحسن به الظن، وجعل تفسير القرآن تابعا لهذا الاعتقاد. (٢) وبالجملة فإن ابن تيمية كما أسلفنا لم يدع ويترك القصص الإسرائيلية في تفسيره وحسب بل رد ردا عنيفا على الذين ذكروها في تفسيراتهم وفند وبرهن بالأدلة القاطعة على زيف وكذب كل ما جاء بها.

### موقفه من المسائل النحوية:

لم يتطرق ابن تيمية إلى المسائل النحوية البتة ولا يحاول أن يفسر القرآن من خلال المفهوم اللغوي كما يفعله غيره من المفسرين أمثال أبو حيان الأندلسي وغيره وأنكر بعض النماذج البسيطة التي تطرق إليها نحويًا ولا أقول ذلك على سبيل الحصر بل تكاد تكون كذلك. فمثلا يقول (٣) وقد تقدم في قوله: ومن قبله كتاب موسى (٤) وجهان،

(١) سورة يوسف الآية ٩٠.

(٢) التفسير الكبير لابن تيمية ٥ / ٩١-٩٣.

(٣) التفسير الكبير لابن تيمية ٥ / ١٩ و ٢٠.

(٤) سورة هود الآية ١٧.

هل هو عطف جملة أو مفرد، لكن الأكثرون على أنه مفرد، وقال الزجاج المعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليل على أمر محمد فيتلون كتاب موسى عطفًا على قوله: {ويتلوه شاهد منه} (١) أي ويتلو كتاب موسى، لأن موسى وعيسى بشرا بمحمد في التوراة والإنجيل ونصب إماما على الحال).

مثالا آخرًا عند تفسيره لقوله تعالى: {إلا من سفه نفسه} (٢) يقول ابن تيمية (٣): والبصريون يقولون في مثل هذا: إنه منصوب على أنه مفعول له ويخرجون قوله "سفه" عن معناه في اللغة، فإنه فعل لازم، فيحتاجون أن ينقلوه من اللزوم إلى التعدية بلا حجة. وأما الكوفيون كالفراء وغيره ومن تبعهم فعندهم أن هذا منصوب على التمييز، وعندهم أن المميز قد يكون معرفة كما يكون نكرة وذكروا لذلك شواهد كثيرة من كلام العرب، مثل قولهم: ألم فلان رأسه ووجع بطنه ورشد أمره . وكان الأصل سفهت نفسه ورشد أمره، ومنه قولهم: غبن رأيه وبطرت نفسه، فقوله تعالى: {بطرت معيشتها} من هذا الباب فالمعيشة نفسها بطرت فلما كان الفعل نصبه على التمييز قال تعالى: {ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورثاء الناس} (٤) فقوله: سفه نفسه معناه إلا من سفهت نفسه أي كانت سفيهه ، فلما أضاف الفعل إليه نصبها على التمييز كما في قوله: {واشتعل الرأس

(١) سورة هود الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٠.

(٣) التفسير الكبير لابن تيمية ٣ / ٤٧١ و ٤٧٢.

(٤) سورة الأنفال الآية ٤٧.

شيبا}{(١)، ونحو ذلك وهذا اختيار ابن قتيبة وغيره، لكن ذلك نكرة وهذا معرفة. وهذا الذي قاله الكوفيون أصح في اللغة والمعنى".  
 مثالا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين}{(٢) يقول ابن تيمية(٣): فيه قرأتان مشهورتان النصب والخفض. فمن قرأ بالنصب فإنه معطوف على الوجه واليدين، والمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤسكم. ومن قرأ بالخفض فليس معناه وامسحوا أرجلكم كما يظنه بعض الناس لأوجه: أحدها أن الذين قرأوا ذلك من السلف قالوا: عاد الأمر إلى الغسل. الثاني أنه لو كان عطا على الرأس لكان المأمور به مسح الأرجل لا المسح بها).

مثالا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت}{(٤) يقول شيخ الإسلام (٥): "والصواب عطفه على قوله لمن لعنه الله} فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية، لكن المتقدمة الفاعل الله مظهرا أو مضمرا، وهذا الفعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في عبد، ولم يعد حرف (من) لأن هذه الأفعال لصنف واحد وهم اليهود".

(١) سورة مريم الآية ٤.

(٢) سورة المائدة الآية ٦.

(٣) التفسير الكبير لابن تيمية ٤/ ٤٧-٤٨.

(٤) سورة المائدة الآية ٦٠.

(٥) التفسير الكبير لابن تيمية ٤/ ١٢٦.

مثالا آخرًا يقول ابن تيمية (١): (وأصحاب القول الأول كجهم بن صفوان وموافقيه كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم يقولون: ليس في القرآن لام التعليل في أفعال الله، بل ليس فيه إلا لام العاقبة. وأما الجمهور فيقولون بل لام التعليل داخلة في أفعال الله وأحكامه. والقاضي أبو يعلى وأبو الحسن بن الزاغوني ونحوهما من أصحاب أحمد، وأن كانوا قد يقولون بالأول فهم يقولون بالثاني أيضا في غير موضع وكذلك أمثالهم من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وغيرهما. وأما ابن عقيل في بعض المواضع، وأبو حازم بن القاضي أبي يعلى وأبو الخطاب الصغير فيصرحون بالتعليل والحكمة في أفعال الله موافقة لمن قال ذلك من أهل النظر. والحنفية هم من أهل السنة وقائلين بالقدر وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح).

وعلى العموم فإن ابن تيمية لم يتناول مسائل النحو بإسهاب وتفصل بل جاء بأشياء بسيطة وإعرابات قليلة مترامية هنا وهناك في تفسيره من الممكن أن تعد عد الأصابع.

وبهذا نصل إلى نهاية منهج ابن تيمية في التفسير بعد أن بينا موقفه من التفسير بالرأي وتحريمه له. وموقفه من الفرق من الجهمية والمرجئة والمعتزلة والرافضة والفلاسفة وغيرهم ورده على آرائهم ومعتقداتهم. كما بينا موقفه من آيات التوحيد وتفصيلاته وأسبابه فيها وتركيزه عليها أكثر من غيرها. ثم موقفه من الآراء الفقهية وتفصيلاته وبيان رأي كل مذهب على حدة ولم يرجح في ذلك رأي معين بل أوعز الجميع إلى رأي أهل السنة والجماعة ورأي السلف الصالح. ثم

(١) نفس المصدر / ٤ / ٢٠٨-٢٠٩.

وضحنا موقفه من القراءات المتواترة والشاذة. ثم موقفه من  
الإسرائيليات بجميع أنواعها وأخيرا موقفه من المسائل النحوية. وبهذا  
أرجو أن أكون قد غطيت منهج ابن تيمية بشيء من الشمول  
والتوضيح والله الموفق.

## الباب الأول

### الفصل الثالث

# النيسابوري

(...—١٧٤١هـ—)

و يتضمن مبحثين:

المبحث الأول/ ترجمة النيسابوري

المبحث الثاني/ النيسابوري ومنهجه في التفسير

## المبحث الأول

### ترجمة النيسابوري (١)

(..... - ٧٢٨هـ)

#### اسمه ونسبه وكنيته:

هو الإمام العلامة الخطير نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري المعروف بالنظام الأعرج.

#### علمه:

كان من أساطين العلم بنيسابور متضلعا في العلوم العقلية متشعبا من فنون اللغة العربية له فيها القدم الراسخ والمجد الباذخ بارعا في صناعة الإنشاء وعلم التأويل والتفسير.

#### مؤلفاته:

وله مؤلفات نافعة مفيدة ومصنفات واسعة مجيدة تدل على مكانته في الفنون ومكانته في العلوم منها هذا التفسير الجليل والسفر الجميل (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ، ومنها شرح ممزوج وافي على متن شافية الإمام ابن الحاجب في فن الصرف وهو شرح فتح مغلقها وأوضح معناها وجلي جيد مبناها ومنها شرح على التذكرة النصيرية في علم الهيئة للعلامة المحقق نصير الدين الطوسي وهو شرح اقترحه عليه طائفة من أخلائه فأجابهم إلى ما طلبوا واتحفه إلى المولى الأعظم نظام الدين علي بن محمود الزدي. سماه بتوضيح التذكرة. فرغ في تأليفه عرّة شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة

(١) انظر آخر تفسير النيسابوري على هامش تفسير الطبري ٢٠/٢٣٦، روضات الجنان صفحة

وسبعمائة هجرية وهو شرح مشهور مقبول. وغير ذلك مما لم يحضر  
الذاكرة الآن.

### تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان:

يقول نصر العادلي: وقد ذكر بعضا من ذلك في غضون تفسيره هذا  
وما لنا وللتوسع في البحث وهذا الكتاب بين أيدينا ينادي بلسان حال  
مؤلفه قائلا:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

نعم هو أثر نعم الأثر يدل فجره عن التطويل في الخبر ففيه ما شئت  
من الأحاديث النبوية وقرسية ومستنبطات شرعية فقهية وشواهد عربية  
ومواعظ وأمثال حكمية اقتطفها من موثوق أمهات اللغة وجوامع السنة  
وكتب المجتهدين وناهيك ما فيه من توجيه المذاهب وأدلتها بتفصيلها  
وجملتها ولم يترك الخوض في علم الكلام بل ذكر أدلة أهل السنة  
العقلية والنقلية وأقوال المذاهب الأخرى الكلامية وشبههم وردّها  
بأوضح بيان وأقوى حجة وبرهان كما كان له أيضا الباع الواسع في  
الفلسفة التصوفية يشهد لذلك ما ذكره في تفسيره هذا من التأويل بلسان  
أهل الحقيقة في كثير من المواضع وكذلك في علمي القراءات  
والوقوف مما ثبت لنا بالعيان ولا يختلف فيه إثنان ولعمر الحق أن من  
قدر على تلخيص مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير للإمام الفخر  
الرازي تلخيصا أتى على جمع ما فيه أو كاد التقاط درر الكشاف  
واستخراجها من بطون تلك الأصداف لجدير بأن يوصف بأجمل  
الأوصاف العلمية وأكمل الآداب البلاغية وأن ما كتبه في مقدمة تفسيره  
التي نوه بها عن مقصوده من كتابة وما سيكون عليه وفيما قاله في  
خاتمته التي ختمه بها لبلاغا لمن أراد الوقوف على مقدار مدارك



المؤلف وتضلعه من الفنون على اختلافها وتمكنه من اللغة العربية وأمثالها، فلا غرو أن أعجب بتفسيره سلاسة في الألفاظ وجمعا للمعاني ورقة وتحريرا في المباني كلا من أطلع عليه وقدموه في مناظراتهم على كثير من كتب التأويل لما حواه من باهر الحجة وساطع الدليل حتى صار من أطلع عليه وعرفه يدل من لم يعرف تلك المزية منه ولم يرو فيها خيرا عنه وبالجملة فالكتاب حجة في بابه مرموق من كل من أطلع عليه بعين الأكيار مقدم على نظائره في كتب التفسير الكبار فنسأله تعالى أن يتقبل منا عملنا وأن يبلغنا جميعا آمالنا ويصلح لنا حالنا ومآلنا ويجزي المؤلف أحسن الجزاء (١) ويقول حاجي خليفة (٢):

ولم أقف على ترجمة كاملة له غير التي كتبها هو بنفسه وعن لسانه في كيفية تأليف تفسيره فيقول: ( وفقني الله تعالى لتحريك القلم في أكثر الفنون كما اشتهر فيما بين أهل الزمان ورزقني من أيام الصبا حفظ لفظ القرآن وطالما طلبني بعض أجلة الاخوان أن أجمع كتابا في التفسير مشتملا على المهمات فشرعت ولما كان التفسير الكبير المنسوب إلى الإمام النحرير الفخر الرازي اسمه مطابقا لمسامه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى ومن الزوائد والفنون ما لا يخفى فحاذيت سياق مرامه وأوردت حاصل كلامه من غير اخلال وضممت إليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من المهمات ورزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة وأثبت القراءات المعتبرات والوقوف

(١) انظر تفسير النيسابوري على هامش تفسير الطبري ٣٠ / ٢٣٦، نصر

العادلي.

(٢) انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ١١٩٥-١١٩٦.

المعللات ثم التفسير مع إصلاح ما يجب إصلاحه وإتمام ما ينبغي إتمامه من المسائل الموردة في الكبير ومع حل ما يوجد في الكشاف سوى الآبيات المعقدات فإنه يوردها من ظن أن تصحيح القراءة وغرائب القرآن إنما يكون بالأمثال، كلا فإن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والتزمت إيراد لفظ القرآن أولاً مع ترجمته على وجه بديع واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد. قال ولنقدم أمام ذلك مقدمات الأول في فضل القراءة والقارئ الثاني في الاستعاذة الثالث في مسائل مهمة الرابع في كيفية جمع القرآن . الخامس في معاني المصحف والقرآن السادس في ذكر السبع الطوال السابع في الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض. الثامن في أقسام الوقف التاسع في تقسيمات مهمة من المنطق والمعاني. العاشر في أن كلام الله سبحانه وتعالى قديم. الحادي عشر في كيفية استنباط المسائل وقال في آخره وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير وجامع لأكثر التفاسير وحل كتاب الكشاف واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة الغريبة مما لم يوجد في سائر التفاسير. أما الأحاديث فأما من الكتب المعتبرة وأما من الكشاف والكبير إلا الأحاديث الموردة في الكشاف من فضائل السور فأنا قد اسقطناها لأن النقاد زيفها إلا ما شذ منها وأما الوقوف فللسجاوندي مع اختصار لبعض تعليقاتها وأما أسباب النزول فمن كتاب جامع الأصول أو التفسيرين أو من الواحدي وأما اللغة فمن الجوهرية والتفسيرين والمفتاح) و أما المعاني والبيان وسائر المسائل الأدبية فمن التفسيرين والمفتاح) وأما الأحكام فمن شروح الوجيز للرافعي وأما التأويل فمن نجم الدين دايه ولم أمل فيه إلا إلى مذهب أهل السنة والجماعة فبينت

أصولهم ووجوه استدلالهم بها وما ورد عليها وأما في الفروع فذكرت استدلال كل طائفة بالآية على مذهبه من غير تعصب ومراء ولقد وفقت لاتمامه في مدة خلافة علي رضي الله تعالى عنه ولو لم يكن ما اتفق في اثنا عشر من الأسفار الشاسعة لكان يمكن إتمامه في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه كما وقع لجار الله ومقصودي جمع المتفرق وتبيين بعض وجوه الإعجاز ولو لم يكن العلوم الأدبية بأنواعها والأصولية بفروعها والحكمية بتفاصيلها وسيلة إلى فهم معاني كتاب الله العزيز لكنت متأسفا على ما أزعجت من العمر في بحث تلك القوالب) انتهى ملخصا قول النيسابوري.

### وفاته:

وقيل إنه قد توفي سنة ٧٣٠ للهجرة (١) وقال مولانا محمد طاهر (٢) مات سنة ٧٢٨هـ ونقل عن السيوطي في البغية قال لم أقف له على ترجمة وذكر له شرح الشافية في التصريف وهو ممزوج متداول وكان من أهل قم.

(١) انظر هامش تفسير الطبري ٢٣٦/٣٠.

(٢) انظر نيل السائر في طبقات المفسرين صفحة ١٧٣.

## المبحث الثاني

### منهج النيسابوري في التفسير

(غرائب القرآن و رغائب الفرقان)

اختصر تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر الرازي وضم إليه ما جاء في الكشاف وغيره من التفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وهو من تلخيصه لتفسير الفخر الرازي يتصرف بتفكير منطلق إن وجد فسادا نبه عليه وإن رأى نقصا تداركه فاتمه وأكمه.

ومنهجه في تفسيره أنه يذكر الآيات القرآنية ثم يذكر القراءات المنسوبة إلى الأئمة العشرة. ثم يشرع في التفسير مبتدئا بذكر المناسبة وربط اللاحق بالسابق ثم بعد ذلك يبين معاني الآيات بأسلوب بديع كما أنه أولى المسائل الكلامية شيئا من اهتمامه مع انتصاره لمذهب أهل السنة وكذلك بالنسبة للآيات التي تتحدث عن الكون ومشاهده. وللنيسابوري نزعة صوفية فيتكلم عن التفسيرات الإشارية للآيات القرآنية.

ويعتني كما ذكرنا بذكر القراءات وتوجيهها وعلامات الوقف. ويورد الاخبار المأخوذة من القصص الإسرائيلي ولا يتعقبها بالبحث. ويعتمد على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقولة ويهتم بالمذاهب النحوية ويعالج الأحكام الفقهية مجتهدا ومرجحا فيذكر أقوال العلماء والمجتهدين ومذاهبهم ويخلص من ذلك برأي يختاره ويرجحه. كما أنه يناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة وكثيرا ما يرد فيها على الفرق ومذاهب أهل الكلام وينتصر لمذهب أهل السنة والجماعة وقد رأيت يهتم بعلم المخاصمة كثيرا فقد رد على الأشعرية والشيعة

والمرجئة، والمعتزلة والمشبهة والقدرية والجبرية وعلى أهل الظاهر والرد على أهل التناسخ في تعذيب الأرواح وبيان مذاهب الماتريديّة والرد على جميع هذه المذاهب بكلام واف وشاف وبإسهاب مطول وكثيرا ما يعتمد أقواله بكلمة (ويروى) وهذا دليل ضعف الحجة لا قوتها. وقد سلك في تفسيره مسلكا قد يكون منفردا به من بين المفسرين فنراه يخوض في المسائل الكونية والفلسفية فإذا مر على آية من الآيات الكونية فإنه لا يمر عليها بدون أن يخوض بأسرار الكون وكلام الطبيعيين والفلاسفة.

وهنا أرى من نافلة القول أن أسوق ما أورده النيسابوري عن مسلكه في تفسيره ومنهجه في التفسير فهو أعرف وأدرى من غيره فيقول في مقدمة تفسيره: (وإذا وفقني الله تعالى لتحريك القلم في أكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين أهل الزمان \_ وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الإنسان من العين والعين من الإنسان، وكان قد رزقني الله تعالى من إبان الصبا وحنوان الشباب، حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان، وطالما طالبني بعض أجلة الإخوان، وأعزة الخدان ممن كنت مشارا إليه عندهم بالنبان في البيان والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم، ويوفقنا لإسعاف سؤلهم، وإنجاح مطلوبهم أن أجمع كتابا في علم التفسير، مشتملا على المهمات، منبئا عما وقع إلينا من نقل الإثبات، وأقوال الثقات من الصحابة والتابعين، ثم من العلماء الراسخين، والفضلاء المحققين، المتقدمين والمتأخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا، وعملهم مبرورا فاستعنت بالمعبود، وشرعت في المقصود، معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو بابنه

وشعره مفتون، كيف وقد قال عز من قائل { وما أوتيتم من العلم إلا قليلا } (١) ومن أصدق من الله قيلا، وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيفا. ولما كان التفسير الكبير المنسوب إلى الإمام الأفضل والهمام الأمثل، والحبر النحرير والبحر الغزير، الجامع بين المعقول والمنقول، الفائز بالفروع والأصول أفضل المتأخرين، فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي، تغمده الله برضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه، اسمه مطابق لمسماه، وفيه في اللطائف والبحوث ما لا يحصى، ومن الزوائد والفتوى ما لا يخفى فإنه قد بذل مجهوده، ونثله موجوده، حتى عسر كتبه على الطالبين، وأعوز تحصيله على الراغبين، فحاذيت سياق مرامه وأوردت حاصلا كلامه، وقربت مسالك أقدامه والتقطت عقود نظامه من غير إخلال بشئ من الفوائد، وإهمال لما يعد من اللطائف والفوائد وضممت إليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات، أو رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة، وأثبت القرآت المعتبرات والوقوف المعللات، ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع إصلاح ما يجب إصلاحه واتمام ما ينبغي إتمامه من المسائل الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات، ومع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات، سوى الأبيات المعقدات، فإن ذلك يوردها من ظن أن تصحيح القرآت وغرائب القرآن، إنما يكون بالأمثال والمستشهدات كلا فإن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه، فلا علينا أن نقتصد في غرائب القرآن على تفسيرها بالألفاظ المشتهرات، وعلى إيراد بعض المتجانسات التي نعرف منها أصول

(١) سورة الإسراء آية ٨٥..

الاشتقاقات وذكرت طرفاً من الإشارات المقنعات، والتأويلات  
الممكنات، والحكايات المبكيات، والمواعظ الرادعة عن المنهيات،  
الباعثة على أداء الواجبات، والتزمت إيراد لفظ القرآن الكريم أولاً مع  
ترجمته على وجه بديع، وطريق منيع، يشتمل على إبراز المقدرات،  
وإظهار المضمرات، وتأويل المتشابهات، وتصريح الكنايات وتحقيق  
المجازات والاستعارات، فإن هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه  
العبرات، ويزل المترحمون هنالك إلى العثرات، وقلما يظن له الناشئ  
الواقف على متن اللغة العربية، فضلاً عن الدخيل الزحيل القاصر في  
العلوم الأدبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد،  
ووضعت الجميع على طرق التمام، ليكون الكتاب كالبدر التمام  
وكالشمس في إفادة الخاص والعام، من غير تطويل يورث الملام، ولا  
تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام، فخير الكلام ما قل  
ودل (وحسبك من الزاد ما بلغك المحل) (١)

وقد قال النيسابوري في آخر تفسيره ما نصه: (وقد تضمن كتابي هذا  
حاصل التفسير الكبير، الجامع لأكثر التفاسير، وجل كتاب الكشف  
الذي رزق له القبول من أساتذة الأطراف والأكناف، واحتوى مع ذلك  
على النكت المستحسنة الغربية والتأويلات المحكمة العجيبة، مما لم  
يوجد في سائر تفاسير الأصحاب أو وجدت متفرقة الأسباب، أو  
مجموعة طويلة الذبول والأذئاب. أما الأحاديث، فأما من الكتب  
المشهورة كجامع الأصول، والمصابيح وغيرها، وأما من كتاب  
الكشاف والتفسير الكبير ونحوهما، إلا الأحاديث الموردة في الكشاف  
في فضائل السور، فأنا قد أسقطناها لأن النقد زيفها إلا ما شذ منها.

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/٥-٦.

وأما الوقوف فلامام السجاوندي، مع اختصار لبعض تعليقات، وإثبات  
للآيات لتوقفها على التوقيف. وأما أسباب النزول، فمن كتاب جامع  
الأصول، والتفسيرين أو من تفسير الواحدي.

وأما اللغة فمن صحاح الجوهري ومن التفسيرين كما نقلنا. وأما  
المعاني والبيان وسائر المسائل الأدبية فمن التفسيرين، والمفتاح وسائر  
الكتب العربية. وأما الأحكام الشرعية فمنهما ومن الكتب المعتمدة في  
الفقه ولا سيما شرح الوجيز للإمام الرافعي.

وأما التأويل فأكثرها للشيخ المحقق المتفنن نجم الملة والدين المعروف  
بداية قدس نفسه وروح رسمه، وطرف منها مما دار بخلدني وسمحت  
به ذات يدي غير جازم بأنه المراد من الآية، بل خائف من أن يكون  
ذلك جرأة مني وخصوصا فيما لا يعنيني، وإنما شجعتني على ذلك  
سائر الأئمة الذين اشتهروا بالذوق والوجدان، وجمعوا بين العرفان  
والإيمان و الاتقان في معنى القرآن، الذي هو باب واسع يطمع في  
تصنيفه كل طامع فإن أصبت فيها، وإن أخطأت فعلى الإمام ماسها،  
والعذر مقبول عند أهل الكرم والنهي والله المستعان لنا ولهم في مظان  
الخلل والزلل، وعلى رحمته التكلان في محال الخطأ والخطل، فعلى  
المرء أن يبذل وسعه لادراك الحق، ثم الله معين لارادة الصواب  
ومعين لا لهام الصدق". (١)

ثم أردف قائلا: "وإني لم أمل في هذا الإملاء إلا إلى مذهب أهل السنة  
والجماعة، فبينت أصولهم ووجوه استدلالاتهم بها وما ورد عليها من  
اعتراضات، والأجوبة عنها. وأما في الفروع فذكرت استدلال كل  
طائفة بالآية على مذهبه من غير تعصب ومرء وجدال

(١) نفس المصدر ٣٠/ ٢٢٢-٢٢٥.



وهراء... (١) ثم قال " ولقد وفقت لاتمام هذا الكتاب، في مدة خلافة علي رضي الله عنه. وكنا نقدر اتمامه في مدة خلافة الخلفاء الراشدين وهي ثلاثون سنة. ولو لم يكن ما اتفق في أثناء التفسير من وجود الأسفار الشاسعة، وعدم الأسفار النافعة، ومن غموم لا يعد عديدها وهموم لا ينادي وليدها، لكان يمكن اتمامه في مدة خلافة أبي بكر، كما وقع لجار الله العلامة...". (٢)

وقد قال الدكتور الذهبي: نقلنا عن صاحب روضات الجنان مبينا مكانة تفسير النيسابوري فقال: (وتفسيره من أحسن شروح كتاب الله المجيد، وأجمعها للفوائد اللفظية والمعنوية وأحوزها للفوائد القشرية واللبية، وهو قريب من تفسير مجمع البيان كما وكيفا، وسمة وترتيا، بزيادة أحكام الأوقاف في أوائل تفسير الآي، ومراتب التاويل في آخره، والإشارة إلى جملة من دقائق نكات العربية في البين). (٣)

وأن هذا التفسير مطبوع على هامش تفسير الطبري ومتوفر في المكتبات في ثلاثين مجلدة.

وباختصار كان يتبع أسلوب سرد مجموعة من الآيات القرآنية تتراوح بين (٢٥-٣٠) خمس وعشرين إلى ثلاثين آية وبحدود ثلاث صفحات ثم بعد ذلك يشرع بتفسيره مبتدأ بالقراءات مفصلا فيها ثم بعد ذلك علامات الوقف للآيات وبعد أن ينتهي منها يشرع في التفسير وهكذا أسلوبه في كل تفسيره للقرآن فمثلا انظر تفسيره سورة الكهف يبتدأ بدرج الآيات في أول السورة (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)

(١) نفس المصدر ٢٢٢/٣٠-٢٢٥.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٢٢/٣٠-٢٢٥.

(٣) التفسير والمفسرون ١/٣٣٢.

وإلى أن يصل لمآلهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه  
أحد}{الآية السادسة والعشرين بعدها يقول القراءات ويفصل فيها ثم  
يضع في نهايتها علامة كالنجمة إشارة لانتهاؤ الفقرة ثم يقول الوقوف  
ويفصل فيها إلى أن ينتهي فيقول التفسير وهكذا بالنسبة لباقي الآيات.

### موقفه من القراءات والوقف:

مكثر جدا من القراءات بحيث لا تتعداه آية إلا ويبين أوجه القراءات  
فيها ولم يكتف بالقراءات المتواترة وحسب بل تعدى إلى القراءات  
الشاذة منها ولم أقف على مفسر من المفسرين الذين اعتنوا بالقراءات  
كما هو النيسابوري حيث أنه لم يسبقه إلى هذا الباب أحد من حيث  
إسهابه وتفصيله بالقراءات وأوجهها وبيان المتواتر منها والشاذ.  
ويورد النيسابوري في مستهل كتابه قبل البدء بالقراءات تعريف  
بالقراءات وقارئ القرآن وجواز اختلاف القراءات وذكر القراء  
المشهورين المعتبرين. ثم يذكر فضل صاحب القرآن والأحاديث التي  
وردت بحقه. ثم يعرج إلى ذكر القراءات السبع المنسوبة إلى القراء  
السبعة والأربع المنسوبة إلى الأئمة المختارين ثم يذكر القراءات  
السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من النقائص (١) ثم يذكر  
القراءات الشاذة وعدم جواز القراءة بها في الصلاة. وأن القرآن قد  
نزل على سبعة أحرف كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ويقول أنها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف ولا تتضاد بل هي  
متفقة المعنى وغير جائز عندهم أن يكون في القرآن لغة لا تعرفها  
قريش. (٢)

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ / ٨.

(٢) نفس المصدر ١ / ٢١.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى {إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} (١)

يقول النيسابوري: "القراءات أنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروي الحلواني عن هشام (أنذرتهم) بهمزتين بينهما مدة والباقون يهزمون الأولى ويلينون الثانية والتليين جعل الهزمة بين بين أي بين الهزمة وبين الحرف الذي منه حركة الهزمة وعلى أبصارهم مما له أبو عمر وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدوية وحمزة وفي رواية ابن سعدان وأبي عمر وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالأسحار وكالفجار والغار ومن أنصار وأشعارها وأشباه ذلك حيث كان يعني إذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لأن الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة بالفصل وقرأ حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وأبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد عن أبي الحرث عن علي وورش من طرق البخاري مدغمة النون والتنوين في الواد في جميع القرآن عظيم بالأشمام في الوقت وكذلك إذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو الاختيار عندنا (٢).

ثم بعد أن ينتهي في ذكر القراءات ينتقل إلى (الوقوف) لا يؤمنون على سمعهم ط لأن الواو للاستئناف غشاوة لأن الجملتين وأن اتفقتا نظما فالأولى بيان وصف موجود والثانية إثبات عذاب موعود عظيم. ثم يقول بعد ذلك (التفسير) ويجعله داخل القوسين ويدخل في تفاصيل التفسير وهكذا في تفسير كل آية على هذا المنوال.

(١) سورة البقرة آية ٦.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ / ١٤٠.

مثالا آخراً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ (١)

يقول (القراءات) ومن الناس مماله قرأ قتيبة ونصير في كل القرآن ما كان مكسوراً من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري بمؤمنين غير مهموز أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والأعشى وورش وحمزة في الوقت وكذلك ما أشبهها من الأسماء وما يخادعون أبو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضياً بالإمالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق مجاهد والنقاش بن الأحزم هنا بالإمالة فقط يكذبون خفيفاً عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجئ بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء إلا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع السفهاء وإلا بقلب الأولى واوا روى الخزاعي وابن شنبوذ عن أهل مكة وكذلك ما أشبهها مما اختلف الهمزتان فيها إلا أن تكون الأولى منهما مفتوحة مثل شهداء إذ وجاء إخوة وأشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة في الحاليين يزيد وافق حمزة في الوقف وكذلك ما أشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبهه الياء والواو وطغيانهم حيث كان بالإمالة قتيبة ونصير وأبو عمرو بالهدى وما أشبهها من الأسماء والأفعال من ذوات الياء بالإمالة حمزة وعلي وخلف. قرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وكذلك كل كلمة تجوز الإمالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم (٢).

(١) سورة البقرة آية ٨.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ١٤٩-١٥٠.

وعند تفسيره لقوله تعالى: {يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} (١). يقول (القراءات) خلقكم مدغما أبو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصديقكم وبورقكم وميثاقكم وأشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها بإظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب. (٢)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} (٣)

يقول: "القراءات خليفة وأشباهها بالإمالة عند الوقف أبو عمرو وحمزة وعلي والأعشى والبرجمي إلا أن يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة وفريضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة وأما العين والحاء والراء فعلي الاختلاف عند أهل المدينة فأشدهم إمالة حمزة وعلي فأما أبو عمرو والأعشى والبرجمي فإنهم يميلون بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب أنني أعلم بفتح الياء ابن كثير وأبوجعفر ونافع وأبو عمرو". (٤)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين} (٥).

(١) سورة البقرة آية ٢١.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ / ١٧٠.

(٣) سورة البقرة آية ٣٠.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ / ٢١١.

(٥) سورة البقرة آية ٣١.

يقول (القراءات) أنبؤني وكذلك خاطئون وخاسئين وفمالئون ونحن المنشئون وليطفؤا وليواطؤا ومتكئين وقل استهزؤا أو متكئا ويستنبؤنك وبابه بریا وبريؤن وبابه وكهينة وأشباه ذلك ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو هؤلاء بغير المد أو لاء بالمد يزيد ويعقوب وأوقية ومصعب عن قالون قال أبو إسحاق هما كلمتان لا يمدها ويمد أو لاء هؤلاء إن بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرأ أبو عمرو والذي من طريق الهاشمي بترك الهمزة الأولى وإثبات الثانية وكذلك في المفتوحتين والمضمومتين وقرأ يزيد وورش والقواس وسهل ويعقوب بإثبات الهمزة الأولى وتليين الثانية وعن نافع تليين الأولى وإثبات الثانية وكذلك في المضمومتين وأما في المفتوحتين فكأبي عمرو انبئهم عن ابن عمرو روايتان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة الهاء والباقون مهموزة مضمومة الهاء (١).

وعند تفسيره سورة النازعات من قوله تعالى: {والسابحات سبحا فالسابقات سبقا} (٢) وما بعدها من الآيات يقول النيسابوري (القراءات) والسابحات سبحا فالسابقات سبقا بالأدغام فيهما أبو عمرو غير عبلس أننا أنذا كما مر في الرعد إلا ابن عامر فإنه وافق الكسائي ناخرة بالألف حمزة وعلي غير نصير وعتبة وخلق ورويس وعاصم غير المفضل وحفص وطوى كما مر في طه وكذا ما بعدها إلا حمزة وخلف في اختياره فإنهما يفتحان ومنها تزكى بتشديد الزاي أبو جعفر

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ / ٢١٩-٢٢٠.

(٢) سورة النازعات آية ٣، ٤.

ونافع وابن كثير وعباس ويعقوب منذر من بالتتوين يزيد وعباس  
الآخرون بالإضافة للتخفيف (١)

ومثالا أخيرا عند تفسيره لقوله تعالى: { وفجرنا خلالهما نهر... } (٢)  
وما بعدها (القراءات) وفجرنا بالتخفيف سهل ويعقوب غير رويس له  
ثمر وكذا بثمره بفتح الثاء والميم يزيد وعاصم وسهل ويعقوب أبو  
عامر بضم الثاء. واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها  
على الوحدة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف  
الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير الف في الحاليين قتيبة وابن  
عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل الباقون بغير الالف  
واتفقوا على الالف في الوقف بربي أحدا مفتوحة الياء أبو جعفر ونافع  
وابن كثير وأبو عمرو إن ترني بفتح الياء السرانديبي عن قنبل غورا  
بضم الغين وكذلك في الملك البرجمي الباقون فتحها ولم يكن له بياء  
الغيبة الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وخلف الآخرون بتاء التأنيث  
وفتح الواو لله الحق بالرفع أبو عمرو وعلي الآخرون بالجر عقبا  
بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على  
التوحيد حمزة وعلي وخلف. (٣)

هذه أمثلة أخذناها بشكل عشوائي لا على سبيل الحصر لنبين مدى  
اهتمامه بالقراءات واسهابه والإطالة فيها.

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٠/١٣ و ١٤.

(٢) سورة الكهف الآية ٣٢.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٥/١٤٣.

## موقفه من الاسرائيليات:

وكان مقل جدا من الاسرائيليات سيما تلك التي كانت تقـدح وتمس عصمة الأنبياء ولكنه تعرض لبعض القصص التي هي من المسكوت عنها في شرعنا. ولكنه والذي يؤخذ عليه كان يكثر من لفظة وقيل وقيل ويروى ويروى دون أن يعلق على الكلام الذي قيل سلبا أو ايجابا وهذا دليل ضعف الرواية إذ ينسبها إلى مجهول. أقول رغم أنه كان مقل من الإسرائيليات التي تمس عصمة الأنبياء إلا أنه قد سقط سقطات كبيرة مثل قصة زينب بنت جحش وقصة ثعلبة بن حاطب وسنأتي إلى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فمن الأمثلة التي كان يعرض عنها ويضرب عنها صفحا لعدم الوثوق بها عند تفسيره لقوله تعالى: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير...} (١) يقول: إن ظاهر هذه الآية يدل على أن الأرض متعددة وأنها كالسماوات فذهب بعضهم إلى أن قوله (مثلهن) أي في الخلق لا في العدد وقيل هن الأقاليم السبعة والدعوة شاملة لجميعها أنها سبع أرضين متصل بعضها ببعض وقد حال بينهن بحار لا يمكن قطعها والدعوة لا تصل إليهم وقيل أنها سبع طبقات بعضها فوق بعض لا فرصة بينها وهذا يشبه قول الحكماء منها طبقة هي الأرض صرفة تجاور المركز ومنها طبقة طينية تخالط سطح الماء من جانب التقعير ومنها طبقة معدنية يتولد منها المعادن ومنها طبقة تركبت بغيرها وقد انكشف بعضها ومنها طبقة الأدخنة والأبخرة على اختلاف أحوالها أي طبقة الزمهرير وقد تعد هذه الطبقة الأدخنة والأبخرة على اختلاف

(١) سورة الطلاق آية ١٣.



أحوالها أي طبقة الزمهرير وقد تعد هذه الطبقة من الهواء وقيل أنها سبع أرضين بين كل واحدة منها إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام كما جاء في ذكر السماء وفي كل أرض منها خلق حتى قالوا في كل منها آدم وحواء ونوح وإبراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ويستمدون الضياء منها أو جعل الله لهم نورا يستضيئون به وذكر النقاش في تفسيره فصلا في خلائق السموات والأرضين وأشكالهم وأسمائهم اضربنا عن إيرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات". (١)

مثالا آخر على رده على بعض الإسرائيليات عند تفسيره لقوله تعالى: {الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر...} (٢)

يقول: (وما تلك العمدة قال بعض الظاهريين هي جبل من زبرجد محيط بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى سقوط هذا القول لأن كل جسم لو كان يلزم أن يكون معتمدا على شيء فذلك الجبل أيضا كان معتمدا على شيء وتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض الصورة إلى ذروة عالم المعقول أن تلك العمدة هي قدرة الله تعالى وحفظه الذي أوقفها في الجو العالي ونحن لا نرى ذلك التدبير ولا نعرف كيفية ذلك الإمساك). (٣)

ومثالا آخر حول رده على بعض الذين يوردون قصص تقديح وتمس عصمة الأنبياء عند تفسيره لقوله تعالى: {ولقد همت به وهم بها لولا

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢٨/٩٤-٩٥.

(٢) سورة الرعد الآية ٢.

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٣/٦٢.

أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا  
المخلصين}{(١)

يقول النيسابوري: (أما الأولون فقد فسروا برهان ربه بأن المرأة  
قامت إلى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في زاوية من زوايا البيت  
فسترته بالأثواب فقال يوسف ولم؟ فقالت استحي من الهي هذا أن  
يراني على المعصية فقال يوسف تستحيي من صنم لا يسمع ولا يعقل  
ولا استحيي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت فو الله لا أفعل  
ذلك أبدا وعن ابن عباس أنه مثل له يعقوب عاضا فوه على أصابعه  
قائلا أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء وإلى هذا  
ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين  
وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضربه في صدره فخرجت  
شهوته من أنامله وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له  
ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها  
عضد ولا معصم مكتوب فيها وأن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم  
ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم  
ينته ثم رأى فيها وانتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال  
الله تعالى لجبرئيل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل  
وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان  
زمرة الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز. وأما الآخرون فما سلموا شيئا  
من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلب  
الواحد غير بعيد وكذا ترادف الزواجر فهو عليه السلام كان ممتنعا  
عن ذلك العمل بحسب النظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من

(١) سورة يوسف الآية ٢٤.

وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما أعطاه الله من النفس القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف إلى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلاً للألطف وتنميماً للعناية قالوا ولو أن أوقح الزناة واشطرهم إذا لقي ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي منه عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي إلى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي عن أمضاء العزيمة قالوا والهم لا يتعلق بالأعيان وإنما يتعلق بالمعاني فأنتم تضمرون أنه قد هم بمخالطتها ونحن نقول هم بدفعها لولا أن عرف برهان ربه هو أن الشاهد سيشهد له أنه أن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بأن يدفعها أمكن أن يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولي هاربا عنها وفي قوله وهم بها فائدة أخرى هي أن ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعوز قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية وقد أدعى البراءة بقوله هي راودتني وبقوله رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه والمرأة اعترفت بذلك حين قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الآن حصص الحق وزوج المرأة صدقه فقال أنه من كيدكن إن كيدكن عظيم وشهد له شاهد من أهلها كما يجيء وشهد له الله تعالى فقال (كذلك) أي مثل التثبيت ثبتناه أو الأمر مثل ذلك. (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد والفحشاء الزنا والسوء مقدمات الجماع من قبله والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم أكد الشهادة بقوله (إنه من عبادنا) والإضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمان ثم زاد في التأكيد فوصفه بالمخلصين أي هو من جملة من اتصف في طاعاته بصفة الإخلاص أو من جملة من أخلصه الله تعالى بناء على قراءتي فتح

اللام وكسرها ويحتمل أن يكون من للابتداء لا للتبعيض أي هو ناشيء منهم لأنه من نرية إبراهيم عليه السلام فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف عليه السلام وأنه برئ من الذنب ولو كان قد وجدت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في آدم وذو النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله أعلم بحقائق الأمور). (١)

أما تلك القصص التي كان قد سقط فيها فمنها قصة ثعلبة بن حاطب والتي قد ذكرها أغلب المفسرين وقد أوردناها سلفاً عند منهج ابن كثير في التفسير حيث هو الآخر قد سقط فيها وقد فندنا القصة من جميع جوانبها وضعف روايتها فمن أراد الاستزادة والتفصيل فيها فليرجع إلى فصل ابن كثير ومنهجه في التفسير.

فيقول النيسابوري عند تفسيره لقوله تعالى: {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن...} (٢)

يقول: (يروى عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال فضة وذهباً لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتحنى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلّي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٢/١٢٤-١٢٦.

(٢) سورة التوبة الآية ٧٥.

سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تتمو  
كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فأخبر خبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا وأنزل الله عز وجل خذ من  
أموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجليْن علي  
الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم كتب لهما كيف يأخذان  
الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذوا  
صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية  
ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان إلي فانطلقا وأخبرا  
السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهم بهما  
فلما راوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال  
بلى خذوه فإن نفسي بها طيبة فأخذوها منه، ثم رجعا على ثعلبة فقال  
أروني كتابكما ثم قال ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي  
فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال يا ويح  
ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول  
الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فخرج إليه وقال يا  
ويحك أنت يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى  
النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله قد  
منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثوا التراب على رأسه فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما  
أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله وقبض رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبابكر حين استخلف فقال قد  
علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعني من

الأنصار فأقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها فقبض أبو بكر وأبي أن يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقول وما ذاك إلا بشؤم اللجاج أولا وأخرا). (١)

ومنها قصة زينب بنت جحش والتي قد سقط بها سقطة كبيرة جدا عند تفسيره لقوله تعالى: {واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم...} (٢)

يقول النيسابوري: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر زينب ذات يوم بعد ما أنكحها زيدا فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يردها أولا ولو أرادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقي الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أ رأيت شيء منها قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتكبر علي لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠/١٢٧-١٢٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٧.

صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أن رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم علي امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار. ولنرجع إلى ما يتعلق بتفسير الألفاظ قوله (للذي) يعني زيدا (أنعم الله عليه) بالإيمان الذي هو أجل النعم وبتوفيق الأسباب حتى تنبأه رسوله (وأنعمت عليه) أي بالاعتاق وبأنواع التربية والاختصاص وقوله (واتق الله) أي في تطبيقها فلا تفارقها نهى تنزيه لا تحريم أو أراد اتق فلا تدمها بالنسبة إلى الكبر وإيذاء الزوج والذي أخفى النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه هو تعلق قلبه بها أو مودة مفارقة زيدا إياها أو علمه بأن زيدا سيطلقها وعن عائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية. وذلك أن فيه نوع تخالف الظاهر والباطن في الظاهر وليس كذلك في الحقيقة لأن ميل النفس ليس يتعلق باختيار الأدمي فلا يلام عليه ولا هو مأمور بإبرائه والذي أبداه كان مقتضى النصح والاشفاق والخشية والحياء من قالة الناس أن قلب النبي مال إلى زوجة دعوية فهذا القدر عوتب بقوله (والله أحق أن تخشاه) فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فلعل الأولى بالنبي أن يسكت عن إمساكه حذرا من عقاب الله على ترك الأولى كما سكت عن تطبيقه حياء من الناس). (١)

ف نجد النيسابور يقد سقط في هذه القصة وهي قصة زينب بنت جحش والقصة التي قبلها وهي قصة ثعلبة بن حاطب الصحابي الجليل، ولكنه

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٢/٢٢-١٤.

انتبه إلى قصة الغرائيق ولم يسقط بها كما سقط غيره من المفسرين حيث أنه يروي ما قاله عامة المفسرين ويرد عليهم ويفند القصة من جميع الوجوه ويبطل أقوالهم فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: {أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} (١)

يقول: (قال عامة المفسرين في سبب نزول الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما شق عليه أعراض قومه عنه تمنى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم وكان ذات يوم جالسا في ناد من أنديتهم وقد نزل عليه سورة النجم إذا هوى فأخذ يقرأها عليهم حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وكان ذلك التمنى في نفسه فجرى على لسانه تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته حتى ختم السورة فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي من المسلمين والمشركين فتفرقت قريش مسرورين وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر فأتاه جبرائيل وقال ما صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية. واعترض المحققون على هذه الرواية بالقرآن والسنة بالمعقول أما القرآن فكقوله لو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله ما ينطق عن الهوى وقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن نفي القرب من الركون فكيف به وأما السنة فهي ما وري عن ابن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وقد صنف فيه كتابا وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين

(١) سورة النجم الآية ١٩ و ٢٠.



البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم أن رواه هذه القصة مطعون فيهم وقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون الانس والجن وليس منه حديث الغرائيق وأما المعقول فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لنفي الأوثان فكيف يثبتها وأيضا أنه بمكة لم يتمكن من القراءة والصلاة عند الكعبة ولا سيما في محفل غاص وأيضا أن معاداتهم إياه كانت أكثر من أن يفتروا بهذا القدر فيخروا سجدا قبل أن يقعوا على حقيقة الأمر وأيضا منع الشيطان من أصله أولى من تمكنه من الإلقاء ثم نسخه وأيضا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان من الشرع ولناقض قوله بلغ ما أنزل إليك وحال الزيادة في الوحي كمال النقصان منه). (١)

وكذلك قصة داود عليه السلام يذكرها بكاملها وبجميع تفاصيلها ثم يرد عليهم ويفند أقوالهم فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: {وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب...} وحتى قوله تعالى: {وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب}. (٢)

يقول: "إن أهل زمان داود كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبتته فاتفق أن نظر داود وقع على امرأة رجل يقال له أوريا فاحبها فسأله النزول عنها فاستحيا ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له أن مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة النزول لك كان الواجب عليك مغالبة هواك والصبر على ما أمتحننت به وقيل خطبها

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٧/١٠٤-١٠٥.

(٢) سورة ص الآية ٢١-٢٤.

أوريا ثم خطبها داود فأثره أهلها وكان ذنبه أن خطب على خطبه أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وعلى هذا يجوز أن يكون الخطاب في قوله (عزني في الخطاب) من الخطبة أي غالبني في خطبتها حيث زوجها دوني وعلى هذا القول يجوز أن يكون الخصمان من الإنس كما مر وحين وافق حالها حال داود تنبه فاستغفر وأن يكونا ملكين بعثهما الله ليتنبه على خطئة فيتداركه بالاستغفار ويرد على هذا أن الملكين لو قالوا نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فكذب والملائكة لا يكذبون ولا يأمرهم الله بالكذب والجواب أن التقدير ما تقول خصمان قالوا بغى بعضنا على بعض أو أرادوا رأيت لو كنا خصمين بغى بعضنا على بعض الست تحكم بيننا ثم صوروا المسئلة ومثلوا قصته بقصة رجل له نعجة واحدة والخلطة تسع وتسعون فأراد صاحبه تنمية المائة وحاجة في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وعن الحسن لم يكن لداود تسع وتسعون امرأة وإنما هذا مثل القول الثالث وهو المشهور عند الجمهور أن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوماً للاشتغال بخواص أموره ويوماً يجمع بني إسرائيل للوعظ والتذكير فجاءه الشيطان يوم العبادة والباب مغلق في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت إلى قريب منه وهكذا مرة ثانية وثالثة إلى أن وقعت كوة فتبعها فوق بصره على امرأة جميلة تغتسل فنفضت شعرها فتغطى جسدها فوق في نفسه منها ما شغله عن الصلاة فنزل من محرابه ولبست المرأة ثيابها وخرجت إلى بيتها فخرج داود حتى عرف بيتها وسألها من أنت فأخبرته فقال لها هل لك زوج فقالت نعم قال أين هو قالت في جند كذا فرجع وكتب إلى أمير جيشه إذا جاءك كتابي هذا فقدم فلانا في أول التابوت وكان

من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة ثانية وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فبعث الله إليه فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فبعث الله إليه ملكين في صورة إنسانين فطلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته ومنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرع منهما وحين وجد قصتهما مطابقة لحاله علم أنه مبتلي من الله يروى أنهما قالوا حينئذ حكم على نفسه وقيل ضحكا وغابا فعلم إن الله ابتلاه بذنبه ولا يخفى أن ذنبه بهذا التفسير والتقدير كبيرة لأنه يدل على الإفراط في العشق وعلى السعي في قتل النفس المسلمة بغير حق فيروى أنه سجد أربعين ليلة لم يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة ولم يذق طعاما ولا شرابا حتى أوحى الله إليه أن ارفع رأسك فإنني قد غفرت لك) ويروي القصة بوجوه أخرى ويقول في الأخير (والمحققون كعلي رضي الله عنه وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ينكرون القصة على هذا الوجه. روى سعيد بن المسيب والحرث بن الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد العزبة على الأنبياء. قلت أي النيسابوري: لا يخفى أن الأحوط السكوت عما لا يرجع إلى طائل بل يحتمل أن يعود إلى قائله لوم عاجل وعقاب أجل ومن الدلائل القوية التي اعتمد عليها فخر الدين الرازي في ضعف هذه الرواية قوله سبحانه وتعالى عقيب ذكر القصة (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)(١)

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٩٣/٢٣-٩٦.

أما القصص الإسرائيلية المسكوت عنها فكثيرة ويسوقها بتمامها دون التعليق عليا سلبا أو إيجابا ومن أمثلة ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (١) يقول: (وقال السدي وجماعة من المفسرين أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين" (٢)

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حتى بلغ مطلع الشمس﴾ (٣) يقول: (حكى صاحب الكشاف عن بعضهم أنه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشى علي ثم افقت فلما طلعت الشمس إذ هي فوق الماء كهيئة الزيت فإذا دخلوها سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم" (٤)

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ (٥) يقول: (يحكى أنه أي نبي الله سليمان مر على بلبل في شجرة لأصحابه أنه يقول أنني أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفا أي التراب وصاحت فاخته فأخبر أنها تقول لبيت الخلق لم يخلقوا

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٩.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٦٠/٩.

(٣) سورة الكهف الآية ٩٠.

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢١/١٦.

(٥) سورة النمل الآية ١٦.

وصاح طاوس فقال كما تدين تدان وأخبر أن الهدهد يقول استغفروا  
الله يا مذنبون والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة تقول  
سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه والقمري يقول سبحان ربي  
الأعلى والقطاة تقول من سكت سلم والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا همه  
والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما  
شئت أخرك الموت والعقاب يقول البعد من الناس أنس). (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {أَنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمَبِينُ} (٢) يقول: (يروى  
أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن  
ومثله للانس ومثله للطير ومثله للوحش وكان له ألف بيت من قوارير  
على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن  
بساطا من ذهب وإبريسم فرسخ في فرسخ وكان يوضع منبره في  
وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب  
وفضة فتقعد الأنبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على  
كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله  
الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط  
فتسير به مسيرة شهر وأنه كان يقول مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله  
خير مما أوتي آل داود). (٣)

وأما قصة بلقيس والهدهد فيقول: (قصة بلقيس وما جرى بينها وبين  
سليمان وذلك بدلالة الهدهد يروي أن سليمان حين تم له بناء بيت  
المقدس تجهز للحج مع حشمة فأتى الحرم ومكث به أياما يقرب كل

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٩٢/١٩-٩٤.

(٢) سورة النمل الآية ١٦.

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٩٤/١٩.

يوم خمسة آلاف ناقه وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا أعجبت بهجتها إلا أنهم لم يجدوا الماء فطلب الهدهد لأنه يرى الماء من تحت الأرض وعن وهب أنه أخل بالنوبة التي كانت تنوبه فلذلك تفقده وقيل أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فأقسم عليها بالله لتتركه فتركته وقالت أن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى قال أو ليأتيني بسُلطان مبین أي بعذر واضح فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ سليمان برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله عما لقي في غيبته. (١)

ومثالا أخيرا عن هدية بلقيس عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأني مرسله إليهم بهدية مناظرة بم يرجع المرسلون﴾ (٢)

يقول: (قال في الكشف روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الإساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج مرصعة اللجم والسروج بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٩٥/١٩.

(٢) سورة النمل الآية ٣٥.

من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرّة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خطيا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأته بشأ لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طولاه سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفة من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان وعن يساره على اللبانات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره والكراس من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفًا فراسخ والإنس كذلك والوحش والطير كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب على اللبانات فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبرهم بما فيه ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرّة فجعل رزقها في الشجر وأخذت دودة بيضاء الخيط فأدخلته في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم ضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية). (١)

### موقفه من المسائل الفقهية:

يعالج النيسابوري الأحكام الفقهية مجتهدا ومرجحا فيذكر أقوال العلماء والمجتهدين ومذاهبهم ويسهب فيها إسهابا مفرطا ويخلص من ذلك برأي يختاره ويرجحه. بعد مقارنة كل رأي بالآخر وأدلة كل مذهب وما احتج به من آيات وأحاديث. وقد تناولنا بعض المقتطفات من

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٩/١٠٠-١٠١.

تفسيره للقرآن التي تبين موقفه من المسائل الفقهية فنرى عند تفسيره لقوله تعالى: {ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن} (١) يقول: (العلماء اختلفوا في الآية في موضعين الأول في لفظ النكاح فقال أكثر أصحاب الشافعي إنه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل ولا شك أن المتوقف على الولي والشاهد العقد لا الوطاء ولقوله صلى الله عليه وسلم أيضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الأيامى وقال الجمهور من أصحاب أبي حنيفة أنه حقيقة في الوطاء لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي إليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطاء بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم نكح اليد ملعون ونكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الأرض إذا وصل إليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطاء فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سألت أبا علي عن قولهم نكح المرأة فقال فرقته العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فإذا قالوا نكح فلان فلانة أرادوا إنه تزوجها وعقد عليها وإذا قالوا نكح امرأته أو زوجته لم يريدوا غير المجامعة إلا أن المفسرين أجمعوا على أن المراد بالنكاح في هذه الآية هو العقد أي لا تعقد على المشركات). (٢)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: (والمطلقات يتربضن بأنفسهن ثلاثة

قروء) (٣)

(١) سورة البقرة الآية ٢٢١.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٣٣٦-٣٣٧.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٨.



يقول: (إما لأن القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الأصمعي والأخفش والفراء والكساني وأما لأنه عبارة عن الانتقال من حالة إلى حالة وهو قول أبي عبيد، وإما لأن القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى أن لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول أبي عمرو بن العلاء ثم إن الله تعالى أمر المطلقة بثلاثة أشياء تسمى أقراء لكن العلماء أجمعوا على أن الثلاثة يجب أن تكون من أحد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي إلى أنها الأطهار ويروي ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة وأحمد في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وإن حاضت عقبه في الحال إذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند أبي حنيفة ما لم تطهر من الحيض الثالثة إن كان الطلاق في حال الطهر أو في الحيضة الرابعة إن كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال إذا طهرت لأكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وإن طهرت لأقل الحيض لم تنقضي عدتها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضي عليها وقت صلاة حجة الشافعي قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي في زمان عدتهن وأجيب بأن معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلاث بقين من الشهر أي مستقبلا لثلاث وقيل هذا يقوي استدلال الشافعي لأن قول القائل لثلاث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشرع في الثلاث عقبه فمعنى الآية فطلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقبه ولما كان الإذن حاصلًا بالتطليق في

جميع زمان الطهر وجب أن يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطبيق من العدة وروي عن عائشة أنها قالت هل تدرون ما الأقراء الأقراء الأطهار ثم قال الشافعي النساء بهذا اعلم وأيضا التركيب يدل على الجمع وأكثر أحوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر إذ لو لم تمتلئ بذلك الفائض لما سالت إلى الخارج فمن أول الطهر يأخذ في الاجتماع والإزدياد إلى آخره والآخر هو حال كحال الاجتماع فأخر الطهر هو القرء بالحقيقة وأيضا الاعتداد بالأطهار أقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير إليه لأن الأصل ألا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع ولما كانت المدة أقل كان أقرب إلى هذا الأصل وأوفق له وأيضا الآية تدل على أنها إذا اعتدت بثلاثة أشياء تسمى أقراء خرجت عن العدة فتكون متمكنة من الاعتداد بالأطهار التي مدتها أقل ومن الاعتداد بالحيض التي مدتها أكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الأطار غير واجب حجة أبي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولأن الغرض الأصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام ولأن الأصل في الإبضاع الحرمة وفي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير أحوط ولأن إطلاق طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر وإذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات ويكون حكم الله تعالى في كل أحد ما أدى اجتهاده إليه وانتصاب ثلاثة قروء على أنه مفعول به كقولهم المحنكر يتربص الغلاء أي يتربص مضي ثلاثة قروء أو على الظرفية أي مدة ثلاثة قروء وإنما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء للاتساع فإنهم يستعملون كل واحد من الجمعين

مكان الآخر ولهذا قال بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة وأيضا فعل القروء أكثر استعمالا فنزل القليل بمنزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع ثم إن أمر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القراء في حق ذوات الأقرء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول إلى معرفة ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة أمينة في العدة وجعل القول قولها إذا ادعت انقضاء قرنها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي اثنان وثلاثون يوما وساعة لأنها إذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو أقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما وهو أقل الطهر ثم حاضت مرة أخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلاثة أطهار فمتى أدعت هذا أو أكثر منه قيل قولها وكذلك إذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لأنها على أصل أمانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن فأكثر المفسرين قالوا أن الكتمان راجع إلى الحبل والحيض معا وذلك أن المرأة لها أغراض كثيرة في كتمانها أما كتمان الحمل فإذا كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتنزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الأول وربما أحببت زوج آخر وأحبت أن تلصق ولدها بالزوج الثاني وأما كتمان الحيض فغرضها فيه أن المرأة إذا طلقها الزوج وهي من ذوات الأقرء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الأول وقد تحب تقصير عدتها لتبطل رجعه فإذا خافت أولا فكتمته ثم أظهرت عند الحيضة الثانية أن ذلك أول حيضها فقد طولت العدة وهكذا أن كتمت الحيضة الثالثة وإذا كتمت أن حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لأن

المخلوق في الأرحام هو الحبل لا الحيض ولأن حمل المعنى على ما هو شريف أولى لقوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لأن الآية وردت عقيب ذكر الأقراء ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز أن يراد اللائي يبغيين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجعدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه وفي قوله إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعالهن وإن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه أن من جعل أمينا في شيء فخان فيه فأمره عند الله شديدا. (١)

مثلا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {وأتموا الحج والعمرة لله...} (٢) يقول: (... ولا خلاف بين الأئمة في جواز هذه الوجوه وإنما الخلاف في الأفضلية فقال الشافعي أفضلها الأفراد ثم التمتع ثم القران وقال في اختلاف الحديث التمتع أفضل من الأفراد وبه قال مالك والإمامية قالوا لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع إلا لضرورة وقال أبو حنيفة القران أفضل ثم الأفراد ثم التمتع وهو قول المزني وإبي إسحاق المروزي وقال أبو يوسف ومحمد القران أفضل ثم التمتع ثم الأفراد. حجة الشافعي في أفضلية الأفراد قوله وأتموا الحج والعمرة لله و ذلك أن العطف يقتضي المغايرة وأنها تحصل عند الأفراد فأما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وأيضا الأعمال عند الأفراد أكثر فيكون الثواب أكثر وذلك هو الفضل وما روي عن أنس أنه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلى

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢ / ٣٥٧-٣٥٩.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.

الله عليه وسلم وكان لعابها يسيل على كتفي فسمعتَه يقول لبيك بعمره  
وحجة معاً. معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة أن النبي  
صلى الله عليه وسلم أفرد بالحج وهكذا روى جابر وابن عمر وقد  
رجح الشافعي رواية عائشة وجابر وابن عمر على رواية أنس بأنهم  
أعلم وأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقدم صحبة وأن  
أنسا كان صغيراً في ذلك الوقت قليل العلم.

حجة القائلين بأفضلية القران إن في القران مسارعة إلى النسكين وفي  
الإفراد ترك المسارعة إلى أحدهما فيكون أفضل لقوله وسارعوا  
واجب. بآنا لا نقول الحجة المفردة بلا عمرة أفضل من الحجة  
المقرونة لكننا نقول من أتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها  
فمجموع هذين الأمرين أفضل من الاتيان بالحجة المقرونة واختلف  
في تفسير الاتمام في قوله تعالى واتموا فعن علي رضي الله عنه وابن  
عباس وابن مسعود أن اتمامها أن تحرم من دويرة أهلك وقال أبو  
مسلم المعنى أن من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الاتمام قال  
ويدل على صحة هذا التأويل أن الآية نزلت بعد أن منع الكفار النبي  
صلى الله عليه وسلم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فآله تعالى  
أمر رسوله في هذه الآية بأن لا يرجع حتى يتم الفرض ويعلم منه أن  
تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الأصم المراد  
اتمام الآداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر في الإحياء  
الأول في المال فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد الظالم وقضاء الديون  
وأعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من  
الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وإيابه من  
غير تقبّر بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء

ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل أو  
يكثرها... (١).

مثالا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا  
بالعقود...} (٢)

يقول: (قال الشافعي إذا نذر صوم يوم العيد أو نذر ذبح الولد لغا  
لقوله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية الله وقال أبو حنيفة يجب  
عليه الصوم والذبح لقوله تعالى أوفوا بالعقود غايته أنه لغا هذا النذر  
في خصوص كون الصوم واقعا في يوم العيد وفي خصوص كون  
الذبح في الولد وقال أيضا خيار المجلس غير ثابت لقوله أوفوا بالعقود  
وخصص الشافعي عموم الآية بقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان  
كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وقال أبو حنيفة الجمع بين الطلقات  
حرام لأن النكاح في العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح وقال أوفوا  
بالعقود ترك العمل به في الطلقة الواحدة بالإجمال فيبقى سائرهما على  
الأصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو أنه لو حرم الجمع  
لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم...) (٣)

مثالا أخيرا يوضح فيه النيسابوري مدى إسهابه بالمسائل الفقهية حيث  
اقتطعنا منه جزءا من تفصيلاته الطويلة، عند تفسيره لقوله  
تعالى: {الذين يظاهرون منكم من نسائهم} (٤)

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢ / ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٢) سورة المائدة الآية ١.

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٦ / ٤٢ - ٤٣.

(٤) سورة المجادلة آية ٢.

يقول: (... ذهب الشافعي إلى أن ذلك العضو أن كان مشعرا بالإكرام كقوله أنت علي كروح أمي أو عين أمي صح ظهاره إن أراد الظهار لا الإكرام وإلا فلا وإن لم ينو شيئا ففيه قولان وإن لم يكن مشعرا بالكرامة كقوله أنت كرجل أمي أو كبدها أو بطنها ففي الجديد ظهار وفي القديم لا وقد يرجح هذا بالبراءة الأصلية وقال أبو حنيفة أن شبهها بعضو من الأم يحل له النظر إليه كاليد أو الرأس لم يكن ظهارا وإن شبهها بعضو يحرم النظر إليه كالبدن والفخذ كان ظهارا وفي التشبيه بالمحرمات الآخر من النسب أو الرضاع سوى الأم في الجديد عليه أبو حنيفة أنه ظهار لعموم قوله يظاهرون ومن قصره على الأم احتج بقوله بعده ما هن أمهاتهم وبأن حرمة الأم أشد. البحث الثاني في المظاهر وفيه مسائل الأولى قال الشافعي كل من صح طلاقه صح ظهاره وأن كان خصيا أو مجبوبا ويتفرع عليه أن ظهار الذمي صحيح حجة الشافعي عموم قوله تعالى والذين يظاهرون وأيضا تأثير الظهار في التحريم والذمي أهل لذلك بدليل صحة طلاقه وأيضا إيجاب الكفارة للزجر عن هذا الفعل الذي هو منكر في القول وزور وهذا المعنى قائم في حق الذمي وقال أبو حنيفة ومالك لا يصح ظهاره واحتج أبو بكر الرازي لهما بأن قوله والذين يظاهرون منكم خطاب للمؤمنين وأيضا من لوازم الظهار تصحيح وجوب الصوم على العائد العاجز عن الاعتاق وإيجاب الصوم على الذمي ممتنع لأنه مع الكفر باطل وبعد الإسلام غير لازم لأنه يجب ما قبله وأجيب عن الأول بأن قوله منكم خطاب للحاضرين فلم قلتم إنه يختص بالمؤمنين على أن التخصيص بالذكر عندكم لا يدل على نفي ما عداه وأيضا العام عندكم إذا أورد بعد الخاص كان ناسخا للخاص وعن الثاني إن من لوازم

الظهار أيضا أنه حين عجز عن الصوم اكتفى منه بالإطعام فهو هنا أن تحقق العجز وجب أن يكتفي فيه بالإطعام وإن لم يتحقق العجز زال السنوَال وأيضاً الصوم بدل عن الاعتاق والبدل أضعف عن المبدل ثم إن العبد عاجز عن الاعتاق مع أنه يصح ظهاره بالاتفاق فإذا كان فوات أقوى اللازمين لا يوجب منع الظهار ففوات الأضعف كيف يمنع وقال القاضي حسين من أصحاب الشافعي في الجواب نقول للذمي أن أردت الخلاص من التحريم فاسلم وصم قوله الإسلام يجب ما قبله قلنا أنه عام والتكفير خاص والخاص مقدم على العام.

الثانية قال مالك وأبو حنيفة والشافعي لا يصح ظهار المرأة في زوجها وهو ظاهر ولو قال شهراً فقد قال أبو حنيفة والشافعي بطل ظهاره بمضي المدة وكان قبل ذلك صحيحاً لما روي أن سلمة بن صخر ظاهر من امرأته حتى يستلخ رمضان ثم وطئها في المدة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتحرير رقبة وأما بطلان ظهاره بعد المدة فلمقتضى اللفظ كما في الإيمان فإذا مضت المدة حل الوطاء لارتفاع الظهار وبقيت الكفارة في دمه وقال مالك وابن أبي ليلى هو مظاهر أبداً. البحث الثالث في المظاهر عنها ويصح الظهار عن الصغيرة والمجنونة والأمة المتزوجة والذمية والرتقاء والحائض والنفساء ولا يصح عن الأجنبية سواء أطلق أو علق بالنكاح فقال إذا نكحتك فأنت علي كظهر أمي ويصح عن الرجعية ولا يصح عن الأمة وأم الولد عند أبي حنيفة والشافعي لأن قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم يتناول الحرائر دون الإماء كما في قوله أو نسائهن بدليل أنه عطف عليه قوله أو ما ملكت إيمانهن وقال مالك والأوزاعي يصح لأن قوله من نسائهم يشمل ملك اليمين لغة وفي الآية سؤال وهو أن المظاهر



شبه الزوجة بالأم ولم يقل أنها أم فكيف أنكر الله عليه بقوله ما هن امهاتهم وحكم بانه منكر وزور والجواب أن قوله أنت علي كظهر أمي أن كان إخبارا فهو كذب لأن الزوجة حلال والأم حرام وتشبيهه المحللة بالمحرمة في وصف الحل والحرمة كذب وإن كان إنشاء كان معناه أن الشرع جعله سببا في حصول الحرمة ولما لم يرد الشرع بهذا السبب كان الحكم به كذبا وزورا ولهذا أوجب الله سبحانه الكفارة على صاحب هذا القول بعد العود.. (١) وهكذا يسترسل النيسابوري في ذكر آراء الفقهاء والمجتهدين ويبين أدلتهم الفقهية ويطول في ذكر ذلك حتى أننا اكتفينا بهذا القدر خشية الإطالة والملال. وإلا فإن هناك أمثلة أخرى كثيرة مثل أحكام الوضوء والخلاف فيه والزواج والقتل والنذر والعهود وما استدللت به الشافعية والطلاق السني والبدعي وغيرها كثير مما يدل على أنه كان مكثرا في المسائل الفقهية (٢).

### موقفه من المسائل النحوية:

أما المسائل النحوية فغير مكثر منها ورغم ذلك فهو يعتمد على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقولة ويهتم بالمذاهب النحوية وآراء النحويين أمثال سيبويه والفراء والأخفش والكسائي والفارسي والزجاج وكذلك رأي المدرسة الكوفية والمدرسة البصرية ولكن يورد ذلك بكل اختصار دون تطويل مثالا على ذلك عند تفسيره لقوله

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٥-٨/٢٨.

(٢) للاستزادة أكثر في المسائل الفقهية يمكن الرجوع إلى التفسير في المواضع التالية

٨٤/٢٨، ٤٦/١٠، ٤١/١٠، ٤٣/٦، ٦٣/٦، ٦٦/٦، ٣٦٩/٢.

تعالى: {كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين...} (١).

يقول: (قال أبو البقاء جواب الشرط عند الأخفش الوصية بحذف الفاء أي فالوصية للوالدين علي الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط في المعنى ما تقدم من كتب الوصية كما تقول لك كذا إن فعلت ويجوز أن يكون جواب الشرط معنى الإيضاء لا معنى الكتب بناء على رفع الوصية يكتب وهو الوجه وقيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء وأما إذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج إلى جواب) (٢).

-مثالاً آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {أو كالذي مر على قرية} (٣) يقول: (ذهب الكسائي والقراء والفراسي وأكثر النحويين إلى أنه معطوف على المعنى والتقرير رأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كأنه قيل لمن السماوات فقيل لله ومثله قول الشاعر فلسنا بالجبّال ولا الحديدنا وعن الأخفش إن الكاف زائدة والتقدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم أو إلى الذي مر وعن المبرد إنا نضمّر الفعل في الثاني

(١) سورة البقرة الآية ١٨٠.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢ / ١٥٧.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٩.

- وعند تفسيره لقوله تعالى: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما} (١) يقول (وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والأخفش والتقدير فيما فرض أو فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما وعند الفراء وهو اختيار الزجاج إن الألف واللام فيهما بمعنى الذي والتي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط كأنه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما وقراءة عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على القراءة المشهورة لأن الإنشاء لا يحسن أن يقع خبر إلا بتأويل وأما إذا نصبت فإنه يكون من باب الإضمار على شريطة التفسير والفاء يكون مؤذنا بتلازم ما قبلها وما بعدها مثل وربك فكبر وضعف قول سيبويه بأنه طعن في قراءة واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على أن الإضمار الذي ذهب إليه هو خلاف الأصل والذي مال إليه الفراء أدل على العموم وأوفق لقوله سبحانه جزاء بما كسبنا فإنه تصريح بأن المراد من الكلام الأول هو الشرط أو الجزاء). (٢)

- وعند تفسيره لقوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر) (٣)

يقول: (هنا بحث لفظي وهو أن قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون أنه معطوف على محل الذين لأن اسم إن إذا كان مبنيًا جاز العطف على محله وإن كان قبل ذكر الخبر فيجوز إنك وزيد

(١) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٢٩/٦.

(٣) سورة البقرة آية ٦٢.

ذاهبان وإن لم يجر إن زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون إلى عدم جواز ذلك مطلقا لأنه يؤدي إلى أعمال إن والأعمال معنى الابتداء معا في قائمان فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وأنه محال فإذا الصابئون مرفوع بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري حكمهم كذا والصابئون كذلك فتكون هذه جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها (١).

### موقفه من مسائل التوحيد والعقيدة:

لقد رأيت يكثر في مسائل العقيدة والتوحيد ويخوض فيها كثيرا ويرد على الفرق ومذاهب أهل الكلام وقد أولى المسائل الكلامية شيئا من اهتمامه مع انتصاره لمذهب أهل السنة والجماعة وكذلك للآيات التي تتحدث عن الكون ومشاهده. ويناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة. وكذلك نراه يخوض في المسائل الكونية والفلسفية فإذا مر على آية من الآيات الكونية فإنه لا يمر عليها بدون أن يخوض بأسرار الكون وكلام الطبيعيين والفلاسفة. ومن أمثلة ما أورده في مسائل التوحيد عند تفسيره لقوله تعالى: {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة} (٢) يقول ( ... إنه تعالى عالم بكل المعلومات أزلا وأبدا كما قال وهو بكل شيء عليم فإن كان قد علم أن له في تحصيل ذلك الولد كمالا أو نفعا أو لذة لتعلقت ارادته بإيجاده في الأزل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد أزليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين إن إله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والأضداد والأنداد والأولاد

(١) غرائب القرآن ورجائب الفرقان ٦/٢٠٠.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠١.

فلهذا صرح بالنتيجة فقال (ذلكم الله) فاسم الإشارة مبتدأ أو ما بعده  
 أخبار مترادفة أي ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو  
 الله إلى آخره وإنما قال ههنا لا إله إلا هو خالق كل شيء وفي المؤمن  
 بالعكس لأنه وقع ههنا بعد ذكر الشركاء والبنين والبنات فكان رفع  
 الشرك أهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السماوات والأرض فكان تقديم  
 الخالق أهم ثم قال (فاعبدوه) وهو مسبب عن مضمون الجملة  
 المتقدمة يعني أن من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة  
 (وهو) مع تلك الصفات (على كل شيء وكيل) يحفظه ويرزقه ويراقبه  
 قال في التفسير الكبير أنه سبحانه أقام الدليل على وجود الخالق ثم  
 زيف طريق من أثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض  
 لكن للعلماء في إثبات التوحيد طرق فيها إن الدليل قد دل على وجود  
 صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد أولى من  
 عدد آخر فيلزم آلهة لا نهاية لها أو القول بعدد معين بلا ترجيح  
 وكلاهما محال فلم يبق إلا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها أنا لو  
 قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل  
 فعل يفعله أحدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من  
 تحصيل مقدوره وذلك يوجب أن يكون كل واحد يعجز الآخر وهو  
 محال وإن كان في أحدهما عجز و نقص لم يصلح للإلهية ومنها أنا  
 لو فرضنا لها ثانيا فكان إما أن يكون الثاني مشاركا للأول في جميع  
 صفات الكمال أولا وعلى الأول لا بد أن يحصل الامتياز بأمر وإلا لم  
 يحصل التعدد فذلك الميزان كان من صفات الكمال لم يكن جميع  
 صفات الكمال مشتركة بينهما وإن كان من صفات النقص فالموصوف  
 به لا يصلح للإلهية وكذا إن لم يكن الثاني مشاركا للأول في جميع

صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع أن الدليل النقلي في التوحيد كاف والله أعلم). (١)

-مثالا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {... ثم استوى على العرش} (٢) يقول النيسابوري (فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها أن استقراره على العرش يستلزم تناهية من الجانب الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة إلى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الإله تعالى نورا غير متناه ويراد باستقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه في الكل لا كأحاطة الفلك الحاوي بالمحوى ولا كنفوذ النور المحسوس في الشرف بل على نحو آخر تعوزه العبارة ومنها أنه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات أو متناها من بعضها دون بعض وعلى الأول يلزم اختلاطه بجميع الأجسام حتى للقاذورات ومع ذلك فالشيء الذي هو محل السماوات إما أن يكون عين الشيء الذي هو محل الأرض أو غيره وعلى الأول يلزم أن يكون السماء والأرض حالين في محل واحد فهما شيء واحد لا شينان وعلى الثاني يلزم التركيب والتجزئة في ذاته تعالى وأما إن كان متناها من الجهات فلو حصل في جميع الأحياز فهو محل بالبدية وإن حصل في حيز واحد فلو كان جوهرًا فردًا لزم أن يكون واجب لوجود أحقر الأشياء وإلا لزم التبعض لأن جهة الفوق منه تكون مغايرة لمقابلتها وكذا الكلام فيه إن كان متناها من بعض الجهات

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٧/٢٠٨-٢٠٩.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٤.

لمقابلتها وكذا الكلام فيه إن كان متناهايا من بعض الجهات ولو  
جاز أن يكون الشيء المحدود من جانب أو جوانب قديما أزليا  
فاعلا للعالم فلم لا يجوز أن يقال فاعل العالم هو الشمس والقمر أو  
كوكب آخر وأيضا يصح على الشق المتناهي أن يكون غير متناه  
وعلى غير المتناهي أن يكون متناهايا لأن الأشياء المتساوية في  
تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقي فيصح  
النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته  
تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل أن يكون أنه غير  
متناه ولا يلزم من ذلك أن يكون محلا للعالم ولا حالا فيه  
واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس المحل أو مفتقر إلى  
المحل وحديث اختلاطه بالقانورات تخييل لا أصل له عند الرجل  
البرهاني ومنها أنه لو كان الباري تعالى حاصلا في المكان والجهة  
لكان الأمر المسمى بالجهة إما أن يكون موجودا مشارا إليه أو لا  
يكون فإن كان موجودا كان له بعد وامتداد وللحاصل فيه أيضا بعد  
وامتداد فيلزم تداخل البعدين ومع ذلك يلزم كون الجهة والحيز  
أزليين ضرورة كون الباري تعالى أزليا ومحال أن يكون ما سوى  
الواجب أزليا وإن لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا  
لغيره ومشارا إليه بالحس وذلك باطل واعتراض بأن ذلك أيضا  
وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة وأجيب بأن  
مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحسوس  
وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل أن  
يقول الجهة مقطع الإشارة الحسية وهذا في حقه محال لعدم تناهيه  
ولم لا يجوز أن يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو

لزم هناك لزم في الأجسام أيضا بل لا بعد هناك ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها أنه لو امتنع وجود البارئ تعالى بحيث لا يكون مختص بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها إلى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من استصحاب المكان لا يوجب الافتقار إليه ومنها أن الحيز والجهة لا معنى له إلا الفراغ المحض ولأن هذا المفهوم واحد فالأحياز بأسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث فحصوله في الحيز محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو أولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل أن يقول ما لا ينتهي لا يعقل له حيز معين ولو فرض لا تنتهي الأحياز أيضا فافتقاره إليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء إلى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعينة بعد ذلك لا تضر. (١) وهكذا يستطرد في حديث طويل اقتطعنا منه جزءا مما اسهب فيه وأطال وناقش آراء كثيرا ممن قالوا بالاستواء وفندها تفنيديا وأفيا ما لا يتسع المقام لذكره.

-مثالا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} (٢) يقول النيسابوري: (وفي غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الآن على ذلك ثم ذكر أن الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره واعلم أن مراتب التوحيد أربع الإقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٨ / ١٠٧ - ١١٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٣١.



ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدور في خاطره سوى الأحد الصمد والأول بدون الثاني نفاق والثاني بدون الأول غير مفيد إلا إذا لم يجد مهلة كما إذا نظر وعرف فمات ويروى أن ملك الموت مكتوب في جبهته لا إله إلا الله حتى إذا رآه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه ذلك ويؤيده ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان في قلبه متقال ذرة من الإيمان والإقرار بدون الثالث إيمان المقلد وفيه خلاف مشهور والأصح أنه مقبول وأما المقام الرابع فهو مقام الصديقين والخاصة من عباد الله ومبتداه تفريق ونقض وترك ورفض على ما قرره المحققون وآخره الفناء في الله والبقاء به قال النحويون لا إله إلا الله تقديره لا إله في الوجود إلا الله وقال أهل العرفان معناه لا إله في الإمكان إلا الله روي أن موسى بن عمران قال يا رب علمني شيئاً أذكرك به فقال قل لا إله إلا الله فقال كل عبادك يقول فقال قل لا إله إلا الله قال إنما أردت شيئاً تخصني به قال يا موسى لو أن السماوات السبع ومن فوقهن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله والبحث عن أسماء الله تعالى قد سلف في تفسير البسملة وعن أسمائه الحسنى قد مر في آخر الأعراف فسي قوله والله الأسماء الحسنى واعلم أن الموجودات على ثلاثة أقسام كامل لا يحتمل الزيادة والنقصان وهو الله تقدس وتعالى وناقص لا يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التي جبل عليها كصغير الإنسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الأمرين فتارة يصعد إلى حيث يخبر عنه بأنه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة يتسفل إلى أن يقال له ثم رددناه أسفل سافلين والكمال بالحقيقة لما ليس

معرض الزوال فلا كمال في الصحة والجاه والمال وإنما الكمال في الانتساب إلى الكبير المتعال وهو تحقيق نسبة العبدية المنبثقة عن عزة الربوبية وكل منتسب إلى بلد أو قبيلة فإنه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف أن يذكر ربه بالأسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره الهنا حسن الاسم دليل حسن المسمى وحسن المسمى يدل على أنه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الإحسان كما قيل:

يا حسن الوجه توق الخنا لا تخطن الزين بالشين

فيا حسن الأسماء والصفات لا تردنا من خوان إحسانك محرومين ذكر أن صياد اصطاد سمكة وكانت له بنت فأخذتها وقتها في البحر وقالت أنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا إبليس وأخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا إلى مقرنا وأنت أرحم الراحمين (١).

فكما أن النيسابوري قد قسم التوحيد إلى مراتب نراه قد قسم الشرك أيضا إلى مراتب فيقول (لشرك ثلاث مراتب وكذا للمغفرة فشرك جلي بالأعيان وهو للعوام من عبدة الكواكب والأصنام فلا يغفر إلا بالتوحيد وهو إظهار العبودية في إثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالأوصاف للخواص وهو شوب العبودية بالالتفات إلى غير الربوبية فلا يغفر إلا بالوحدانية وهي أفراد الواحد للواحد وشرك أخفى للأخص وهو رؤية الأغيار والأنانية فلا يغفر إلا بالوحدة وهي فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية) (٢).

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٦/٨٠-٨١.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٥/٧٣.

## رده على أهل الفرق والضلالت:

للمتطلع إلى تفسير النيسابوري يراه يناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة ومكثر أكثر في الرد على الفرق ومذاهب أهل الكلام وينصر لمذهب أهل السنة والجماعة ويهتم بعلم المخاصمة كثيرا فقد رد على المعتزلة (١) في قولهم إن القرآن محدث وكذلك استدلالهم بأن القبائح لا تصدر من الله ومعارضة الأشاعرة لهم (٢) وما تمسكت الأشاعرة به من أن الهداية والضلال بخلق الله وما أولت المعتزلة ذلك ورده عليهم (٣) وكذلك رده على الشيعة في عصمة الإمام (٤) ورد على أهل الظاهر بإبطال القياس (٥) ورد على الملاحدة في الطعن بعصمة الأنبياء (٦) وفي تكذيبهم من أن عيسى ابن مريم قد رفع إلى السماء (٧) .

وكذلك بين استدلال أهل السنة والجماعة على وجوب رؤية الله في الآخرة ورد شبه المعتزلة عليهم (٨) وما احتجت به على وجوب الأجر على الله (٩) . ورد عليهم وعلى غيرهم في شأن الخلود في

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٤/١٧ .

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢٠/٢٠ .

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٧٩/١٠ .

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣٤/١١ .

(٥) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٤/١١، ٦٥/١١، ٣٨/١٥ .

(٦) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣٢/٢٠ .

(٧) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢٠٨/٣ .

(٨) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٠٣/٢٩ .

(٩) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٤٩/٣ .

النار لمرتكب الكبيرة (١). وفي نفي ارادة الله وفي أن الأفعال مخلوقة لله (٢) وكذلك رد على الكرامية (٣) . المرجئة (٤) والمشبهة (٥) والقدرية (٦) والجبرية (٧) والفلاسفة (٨) ورد على أهل التناسخ في تعذيب الأرواح (٩) . وبيان مذاهب الماتريدية (١٠) والرد على جميع هذه المذاهب بكلام واف وشاف وبإسهاب مطول ولا يكاد يغادر فرقة أو جماعة أو فكرة إلا وقد ذكرها بالمناقشة والمجادلة ردا على أفكارهم وآرائهم. ولنورد أمثـل مقتضبة على ذلك.

### رده على المعتزلة:

عند تفسيره لقوله تعالى: { ما يأتيهم من نكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون } (١١) يقول النيسابوري ( وأحتجت المعتزلة بالآية على أن القرآن محدث وأجاب الأشاعرة بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأحداث والحروف لأنه متجدد في النزول وإنما النزاع في الكلام النفسي الذي لا يصح عليه الاتيان والنزول وزعم الإمام فخر الدين الرازي رضي الله عنه أن حاصل قول المعتزلة في هذا

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣١٩/١-٣٢١.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ١٦٥/٦.

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٥٧/١٣.

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٦/٢٩.

(٥) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٩/٢٩.

(٦) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٨٥/١.

(٧) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٦١/٢٠.

(٨) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٦٥/١٣.

(٩) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٩٤/٨.

(١٠) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣٨/٩.

(١١) سورة الأنبياء الآية ٢.

المقام يؤل إلى قولنا القرآن ذكر وبعض الذكر محدث لأن قوله من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا بل على أن ذكرا ما محدث كما أن قول القائل لا يدخل هذا البلد رجل فاضل إلا يبغضونه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلا وإذا كان كذلك فيصير صورة القياس كقولنا الإنسان حيوان وبعض الحيوان فرس وأنه لا ينتج شيئا لأن كلية الكبرى شرط في إنتاج الشكل الأول كما عرف في علم الميزان. قلت: أي النيسابوري أن المعتزلة لا يحتاجون في إثبات دعواهم إلى تركيب مثل هذا القياس لأن مدعاهم يثبت بتسليم إحدى مقدمتي القياس الذي ركبه وهي قوله بعض الذكر محدث لأنه نقيض ما يدعيه الأشاعرة وهو لا شيء من القرآن بمحدث وإذا صدق أحد النقيضين كذب الآخر بالضرورة فظهر أن الإمام غلطهم في هذا القياس الذي ركبه ثم لقائل أن يقول تتميما لقول المعتزلة إذا ثبت أن بعض القرآن محدث لزم أن يكون كله محدثا لأن القائل قائلان أحدهما ذهب إلى قدم كله والثاني إلى حدوث كله ولم يذهب أحد إلى قدم بعضه وحدث بعضه قال أهل البرهان إنما قال في هذه السورة من ربهم محدث لموافقة قوله بعد هذا قل ربي يعلم وقال في الشعراء من ذكر من الرحمن محدث لكثرة ذكر الرحيم فيها فكان الرحمن الرحيم أنسب). (١)

-مثالا آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون} (٢) يقول النيسابوري (قال القاضي الآية تدل على بطلان قول المجبرة لأن فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى وجب

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٤/١٧.

(٢) سورة القصص الآية ٦٦.

وقوعه بالقدرة والإرادة ولما عميت عليهم الأنباء ولقالوا إنما كذبنا  
الرسول من جهة خلقك فينا تكذيبهم ومن جهة القدرة الموجبة لذلك  
وكذا القول فيما تقدم لأن الشيطان كان له أن يقول إنما أغويت  
لخلقك في الغواية وإنما قبل من دعوته لمثل ذلك لتكون الحجة لهم  
على الله قوية والعذر ظاهراً وعارضته الأشاعرة بالعلم والداعي  
والذي اعتمد عليه القاضي في دفع هذا المشكل المعضل في كتبه  
الكلامية قوله خطأ قول من يقول إنه يمكن وخطأ قول من يقول إنه  
لا يمكن فالواجب السكوت وزيفه الأشعري بأن الكافر لو أورد هذا  
السؤال على ربه لما كان لربه عنه جواب إلا السكوت فتكون  
حجة الكافر قوية وعذره ظاهر ولقائل أن يقول السكوت عن  
جواب الكافر كما قيل جواب الأحمق (السكوت). (١)

- وعند تفسيره لقوله تعالى: { زين للذين كفروا الحياة الدنيا } (٢)

يقول (فعن المعتزلة أنهم غواة الجن والإنس قبحوا أمر الآخرة في عين  
الكفار وأوهموا أن لا صحة لها فلا تتغصوا عيشكم في الدنيا كقول  
من قال انترك لذة الصهباء نقداً. بما وعدوك من لبن وخرم قالوا وأما  
الذي يقوله المجبرة في أنه تعالى زين ذلك فباطل لأن المزين للشيء  
هو المخبر عن حسنه وإذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد أن يكون  
صادقا في ذلك الأخبار فيكون فاعله المستحسن له مصيباً وإن كان  
كافراً وأصابه الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بأن مزين الكفر  
لجميع الكفار لا بد أن يكون خارجاً منهم وقولهم المزين للشيء هو  
المخبر عن حسنه مردود وإنما المزين من يجعل الشيء موصوفاً

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٦١/٢٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٢.

بالأوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز أن الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث أنه أخبر عما فيها من اللذات والراحات وهذا أخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر (١)

### رده على المرجئة:

عند تفسيره لقوله تعالى: { تكاد تميز من الغيظ } (٢) يقول (وقيل الغيظ للزبانية احتجت المرجئة بقوله (كلما القى) الآية على انه لا يدخل النار إلا الكفار لأنه تعالى حكى عن كل من القى فيها أنه قال كذبنا النذير أجاب القاضي بأن النذير قد يطلق على ما في المعقول من الأدلة المحذرة عن المعصية فيشمل الفاسق القائلون بأن معرفة الله وشكره لا يجبان إلا بعد ورود الشرع احتجوا بأنه تعالى ما عذبهم إلا بعد مجئ النذير). (٣)

### رده على أهل الظاهر:

عند تفسيره لقوله تعالى: { والله الأسماء الحسنى فادعوه بها } (٤) يقول (قال بعض الظاهريين لا فائدة في الدعاء لأن المطلوب به إن كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع وإلا فلا ولأن الأقدار سابقة والأفضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص ولأن المقصود إن كان من صالح العبد فالجواد لطف لا يبخل به وإن لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولأن أجل مقامات الصديقين الرضا بالقضاء وإهمال حظوظ النفس والاشتغال

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢/٢٩٩.

(٢) سورة الملك الآية ٨.

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٦/٢٩.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

بالدعاء ينافي ذلك ولأن الدعاء شبيه بالأمر والنهي وذلك خارج عن الأدب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسنلتني أعطيه أفضل ما أعطى السائلين وقال جمهور العقلاء إن الدعاء من أعظم مقامات العبودية وإنه من شعار الصالحين ودأب الأنبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والأحاديث مشحونة بالأدعية الماثورة بحيث لا مساغ للإنكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه أن كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الإلهية تقتضي أن يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف الذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكليف مع الاعتراف بإحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر أنه جاء سراقه بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله فنبه على ما قلنا فإنه صلى الله عليه وسلم علقهم بين الأمرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك أحد الأمرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له (١)

### رده على الفلاسفة:

عند تفسيره لقوله تعالى: { وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون } (٢)

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢ / ١٩٦-١٩٨.

(٢) سورة الرعد الآية ٤.



يقول (لأن الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية إلا الآباء والأثريّة  
والأمهات العنصرية لكن العاقل إذا تفكر في اختصاص كل ممترج  
بحيز معين وشكل معين وطبيعة وخاصة مخالفتين لغيره علم أن كل  
هذه اختلافات لا تستند إلى أشعة كواكب معدودة ولا إلى طبائع  
عناصر محصورة كما أشير إلى ذلك بقوله (وفي الأرض قطع) الآية  
ولئن سلم أن الاتصالات الفلكية واختلافات الفواعل والقوابل قد ترتقي  
إلى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل سبب من الانتهاء إلى مسبب  
لا سبب فوقه وليس ذلك إلا الله وحده فهذا مقام لا يججده إلا عادم  
عقل بل فاقد حس والحاصل أن التفكر في الآيات يوجب عقليّة ما  
جعلت الآيات دليلا عليه فهو الأول المؤدي إلى الثاني والله ولي  
التوفيق). (١)

### رده على الملاحدة:

عند تفسيره لقوله تعالى: { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه  
لهم } (٢) يقول النيسابوري: ( فاورد بعض الملحدة عليه إشكالات الأول  
أنه يوجب ارتفاع الأمان عن المحسوسات فأنى إذا رأيت ولدي ثم  
رأيتة ثانيا فحينئذ أجوز أن هذا الذي رأيتة ثانيا ليس ولدي بل هو  
إنسان آخر القى شبهه عليه كذا الصحابة الذين رأوا محمدا يأمرهم  
وينهاهم احتمل أن يكون محمد إنسانا آخر القى شبهه عليه وأنه يفضي  
إلى سقوط الشرائع وكذا إلى إبطال التواتر لأن مدار الأمر في الأخبار  
المتواترة على أن يكون المخبر الأول إنما أخبر عن المحسوس وأنتم  
جوزتم وقوع الخلط في المبصرات ففتح هذا الباب أوله سفسطة

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦٥/١٣.

(٢) سورة النساء الآية ١٥٧.

وآخره إبطال النبوات الثاني أن جبريل كان معه حيث سار ثم أن طرف جناح واحد منه يكفي لأهل الأرض فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص فكيف لم يقدر على إمامة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث أنه تعالى كان قادرا على تخليصه من الأعداء بأن يرفعه إلى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه إلا إيقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع أن ذلك يوجب تلبيس الأمر عليهم حتى اعتقدوا أن المصلوب هو عيسى وأنه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع أن النصارى على كثرتهم في المشارق والمغرب وإفراطهم في محبة عيسى أخبروا أنهم شاهدوه مصلوبا فإنكار ذلك إنكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الأنبياء الخامس ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لأظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب من الأول أن كل من أثبت القادر المختار سلم أنه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث أن ذلك يفضي إلى بلوغ الإعجاز حد الإلجاء وأنه ينافي التكليف والتلبيس المذكور قد إزالة تلامذة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع أنه تواتر منقطع الأول لأنهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم إذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روى أن الذيلقى عليه الشبه كان من خواص أصحابه فلهذا صبر على أنا نقول قد ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر

عنه فهذه الاحتمالات تمتنع أن تصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية). (١)

### رده على الشيعة:

عند تفسيره لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} (٢) يقول (ثم إن الصادق لا يجوز أن يكون منحصرًا في الإمام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقول الشيعة لأن كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين أهل الحل والعقد في كل حين والمراد أنهم إذا اجمعوا على شيء كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقيين أن يكونوا معهم ظاهرًا وباطنًا) (٣)

-مثالًا آخرًا عند تفسيره لقوله تعالى: {فوكزه موسى فقضى عليه} (٤)

يقول النيسابوري (الطاعنون في عصمة الأنبياء قالوا إن كان القبطي مستحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان وقال رب إنني ظلمت نفسي وإن لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبًا وأيضًا قوله هذا من عدوه يدل على أنه كافرًا حربيًا وكان دمه مباحًا والاستغفار من القتل المباح غير جائز وأجيب أنا نختر أنه للكفرة كان مباح الدم إلا أن الأولى تأخير قتله إلى زمان آخر فقوله (هذا من عمل الشيطان) معناه أقدامي على ترك المندوب من عمل الشيطان أو هذا إشارة إلى

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٢٠٨/٣.

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩.

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣٤/١١.

(٤) سورة القصص الآية ١٥.

عمل المقتول وهو كونه مخالفاً لله أو هو إشارة إلى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه والاستغفار من ترك الأولى سنة المرسلين أو أراد أنني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الكافر ولو عرف ذلك فرعون لقتلني به (١)

### رده على الكرامية:

عند تفسيره لقوله تعالى: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} (٢) يقول (احتجت الكرامية بالآية على أن الإيمان عبارة عن مجرد الإقرار والجواب أن مجرد الإقرار لو كان كافياً لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم). (٣)

### رده على الزمخشري:

عند تفسيره لقوله تعالى: {خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير} (٤) يقول (والعجب من صاحب الكشاف أنه سلم أن في خلق الكافر قد يكون وجه حسن ولكنه يخفى علينا ولا يسلم أن في خلق داعية الكفر في الكافر قد يكون وجه حسن يخفى عليه وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن). (٥) وهكذا نجد النيسابوري يكثر من الرد على أهل الفرق والضلالات ومذاهب أهل الكلام وإنما هذه أمثلة أوردنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر وبالله التوفيق.

(١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٣٢/٢٠.

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٦.

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٥٧/١٣.

(٤) سورة التغابن الآية ٣.

(٥) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٧٨/٢٨.

**الباب الأول**

**الفصل الرابع**

**الخازن**

(٦٧٨-٧٤١هـ)

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول/ ترجمة الخازن

المبحث الثاني/ الخازن ومنهجه في التفسير

## المبحث الأول

### ترجمة الخازن

(١) (٦٧٨-٧٤١هـ)

هو علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشّيحي بمعجمة مكسورة بعدها مثناة من تحت ساكنة تم جاء مهملة نسبة إلى شريحة من عمل حلب البغدادي الصوفي علاء الدين خازن الكتب بالسميساطية ولد سنة ٦٧٨هـ ببغداد وسمع بها من ابن الدواليبي وقدم دمشق فسمع من القاسم بن مظفر ووزيره بنت عمر واشتغل كثيرا وجمع تفسيراً كبيراً سماه (لباب التأويل في معاني التنزيل) وشرح العمدة وهو الذي صنف (مقبول المنقول) في عشر مجلدات جمع فيه بين مسند الشافعي وأحمد والسنن والموطأ والدارقطني فصارت عشرة كتب ورتبها على الأبواب وجمع سيرة نبوية مطولة وكان حسن السميت والبشر والتودد قاله ابن رافع مات في آخر شهر رجب أو مستهل شعبان سنة ٧٤١هـ بحلب (٢)

يقول ابن العماد (٣) (وفيها علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشافعي خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق ولد ببغداد سنة ثمان وسبعين وستمائة وسمع الحديث وكان صالحاً خيراً جمع وألف فمن تأليفه تفسير القرآن العظيم ومشرح عمدة الأحكام وأضاف إلى

(١) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧/ ١٧٧، الأعلام ٥/ ٥٠، طبقات المفسرين ١/ ٤٢٦،

ترجمة رقم ٣٦٧.

(٢) انظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ٣/ ٩٧، ترجمة

٢٢١، دار الجيل بيروت.

(٣) شذرات الذهب لابن العماد ٦/ ١٣١.

جامع الأصول مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة وسنن الدار قطني  
 وسماه مقبول المنقول وجمع سيرة وحدث ببعض مصنفاته وكان  
 صوفيا بالخانقاه المذكورة وكان بشوش الوجه ذا تودد وسمت حسن  
 توفي في شعبان).

يقول صاحب نيل السائرين (١):

تفسيره منقول عن تفسير البغوي معالم التنزيل وفيه حكايات ضعيفة  
 وقد رد على بعض الحكايات الواهية كحكاية داود عليه السلام.

---

(١) نيل السائرين في طبقات المفسرين ١٧٧.

## المبحث الثاني

### منهج الخازن في التفسير

لقد اختص الخازن تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل في تفسير معالم التنزيل للبخاري، وضم إلى ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه، وليس له فيه كما يقول سوى النقل والانتخاب مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والإسهاب وهو مكثف في رواية التفسير المأثور إلى حد ما، معنى بتقرير الأحكام وأدلتها، مملوء بالأخبار التاريخية، والقصص الإسرائيلية الذي لا يكاد يسلم كثير منه أمام ميزان العلم الصحيح والعقل السليم، ولنسوق ما قاله الخازن نفسه في مقدمة تفسيره، مبينا به طريقته التي سلكها، ومنهجه الذي نهجه فيه، وفيها غنى عن كل شيء قال رحمه الله تعالى (١) (ولما كان كتاب معالم التنزيل، الذي صنفه الشيخ الجليل، والحبر النبيل، والإمام العالم محي السنة، قدوة الأمة، وإمام الأئمة مفتي الفرق، ناصر الحديث، ظهير الدين أبو محمد الحسين بن معسود البخاري قدس الله روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلامها، وأنبلها وأسناها. جامعا للصحيح من الأقاويل، عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلي بالأحاديث النبوية مطرزا بالأحكام الشرعية، مؤشرا بالقصص الغريبة، وأخبار الماضيين العجيبة، مرصعا بأحسن الإشارات مخرجا بأوضح العبارات؛ مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبة ومآبه. لما كان هذا الكتاب كما وصفت، أحببت أن انتخب من غرر فوائده

(١) تفسير الخازن ٣/١.



ودرر فرائده، وزواهر نصوصه، وجواهر فصوصه، مختصرا جامعا لمعاني التفسير، ولباب التأويل والتعبير، حاويا لخلاصة منقوله، متضمنا لكنته وأصوله، مع فوائد نقلتها، وفرائد لخصتها من كتب التفسير المصنفة. في سائر علومه المؤلفة، ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبيا حد التطويل والإسهاب. وحذفت منه الإسناد لأنه أقرب إلى التحصيل المراد. فما أوردت فيه من الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية، على تفسير آية أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، و عليها مدار الشرع وأحكام الدين عزوته إلى مخرجه، وبينت اسم ناقله، وجعلت عوض كل حرفا يعرف به، ليهون على الطالب طلبه. فما كان من صحيح البخاري فعلامته قبل ذكر الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح مسلم فعلامته (م) وما كان ما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي فإني أذكر اسمه بغير علامة وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسند له انفرد به. قلت: روى البغوي بسنده، وما رواه البغوي بإسناد الثعلبي قلت: روى البغوي بإسناد الثعلبي، وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة فاعتمده، فإني اجتهدت في تصحيح ما أخرجه من الكتب المعتمدة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي، وكتاب جامع الأصول لابن الأثير الجزري، ثم إني عوضت عن صدق الإسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به، ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب، وأسهل على الطلاب وسقته بأبلغ ما قدرت عليه في الإيجاز وحسن الترتيب، مع التسهيل والتقريب. وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق إليه، أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد: استنباط شيء إن كان معضلا أو جمعه

إن كان متفرقا، أو شرحه إن كان غامضا. أو حسن نظم وتأليف، أو إسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت وسميته (لباب التأويل في معاني التنزيل) (١)

ثم قدم الخازن لتفسيره بخمسة فصول: الفصل الأول: في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه. الفصل الثاني: في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم، ووعيد أوتي القرآن فنسيه ولم يتعهد، الفصل الثالث: في جمع القرآن وترتيب نزوله، وفي كونه نزل على سبعة أحرف. الفصل الرابع: في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك، الفصل الخامس: في معنى التفسير والتأويل، ثم ابتداء بعد ذلك في التفسير.

### الإكثار في رواية القصص الإسرائيلية:

ويتضح جليا لمن يقرأ هذا التفسير توسعة في ذكر القصص الإسرائيلي وكثيرا ما ينقل ما جاء في ذلك عن بعض التفاسير التي تعني بهذه الناحية كتفسير الثعلبي وغيره وهو في الغالب لا يعقب على ما يذكر من القصص الإسرائيلي، ولا ينظر إليه بعين الناقد البصير، وإن كان في بعض المواضع لا يترك القصة تمر بدون أن يبين لنا ضعفها أو كذبها، ولكن على ندرة فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة (ص) الآية ٢١-٢٤ {وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/١

إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلقاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب}{(١)}

أي وقد أتاك يا محمد (نبا الخصم) أي خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأخبار العجيبة والتشويق إلى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) أي سعدوا وعلوا المحراب أي بالبيت الذي كان يدخل فيه داود يشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى أنهم أتوا المحراب من سورته وهو أعلاه وفي الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لأن منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب إليها إلا ما يليق بها. وأما ما قاله المفسرون:

إن داود عليه السلام تمنى يوما في الايام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذلك أنه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعباده ربه عز وجل ويوم لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله إليهم أنهم ابتلوا ببلايا لم تبئل بها فصبروا عليها ابتلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى إسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو

(١) نفس المصدر ٤٥/٦.

ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل إليه إنك تبلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه وأغلق بآية وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحان من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يديه ليأخذها ويربها بني إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فبعث من بصيدها له فأبصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاته فأبصرت ظلها فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسال عنها قيل هي شايح بنت شايح امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود إلى ابن أخيه، إن ابعت أوريا إلا موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا أشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام.

وقيل إن داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود: كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن

امراته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لأنه رغبة في الدنيا وإزدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود أنه كان جزأ الدهر أجزاء يوماً لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بني إسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبيكيهم ويبيكونه فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل أنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه أنه إن ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق عليه الأبواب وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ إذ دخلت حمامة وذكر نحو ماتقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله عز وجل الملكين إليه وقيل إن داود عليه السلام ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس منهم قال أخبروني بأي شيء أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري كيف أكون لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى إلى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لاغنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة إلى أن ظن أنه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه فأرسل طائراً من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل إن داود قال لبني إسرائيل لأعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل إنه أعجبه عمله فابتلي فبعث الله إليه ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبوا إن يدخلوا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان وهو يصلى يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل { وهل أتاك نبأ الخصم

إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم} أي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير أذنه فقال لهما من أدخلكما علي (قالوا لا تخف خصمان) أي نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أي تعدى وخرج عن الحد جنناك لتقضي بيننا. فإن قلت إذ جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغى منهما والملائكة لا يبغى بعضهم على بعض؟ قلت (١) هذا من معارض الكلام لا على تحقيق البغى من أحدهما والمعنى رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر في حكمك (واهدنا إلى سواء الصراط) أي ارشدنا إلى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلمما فقال أحدهما (إن هذا أخي) على ديني وطريقتي لا من جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعني امرأة (ولي نعجة واحدة) أي امرأة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريف للتبويه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نجاج ولا بغى (فقال اكفنيها) قال ابن عباس أي اعطنيها وقيل معناه انزل عنها وضمها إلي واجعني كاكلها والمعنى طلقها لاتزوجها (وعزني في الخطاب) يعني غلبني وقهرني في القول لأنه أفصح مني في الكلام وإن حارب كان أبطش مني لقوة ملكه والمعنى إن الغلبة كانت له علي لضعفي في يده وإن كان الحق وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها داود إلى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) أي بضمها إلى نعاجه فإن قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر

(١) تفسير الخازن ٤٧/٦.

قلت (١) معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل إنما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول ( وإن كثيرا من الخاطيء ) أي الشركاء ( ليبغى بعضهم على بعض ) أي يظلم بعضهم بعضا ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) فإنهم لا يظلمون أحدا ( وقليل ما هم ) أي هم قليل وما صلة. والمعنى إن الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك وصعد إلى السماء فعلم داود إن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى ( وظن داود ) أي أيقن وعلم ( وإنما فتناه ) أي ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا في صورتها وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود أنه إنما عني به وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر إلى المرأة فهم ففطع على بني إسرائيل أوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فاقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فجاء جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود إن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي

(١) تفسير الخازن ٤٨/٦.

هممت به وقد عرفت إن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم  
القيامة فقال رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن  
ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم فخرج جبريل وسجد داود ما شاء الله  
تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن  
الذي أرسلتني فيه فقال قل لداود إن الله تعالى يجمعكما يوم القيامة  
فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله  
تعالى فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عن دمك فهذه أقاويل  
السلف من أهل التفسير في قصة امتحان داود.

نرى الخازن يسوق فيما سبق قصصاً أشبه ما يكون بالخرافة كقصة  
الشیطان الذي تمثل لداود في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون  
حسن. وجناحها من الدر والزبرجد، فطارت ثم وقعت بين رجليه  
والهته عن صلاته، وقصة المرأة التي وقع بصره عليها فأعجبه  
جمالها فاحتال على زوجها حتى قتل رجاء أن تسلم له هذه المرأة التي  
فتن بها وشغف بحبها، وغير ذلك من الروايات العجيبة الغريبة، ولكنه  
يأتي بعد كل هذا فيقول (فصل في تنزيه داود عليه الصلاة والسلام  
عما لا يليق به وينسب إليه) (١) ويفند في هذا الفصل كل ما ذكره مما  
يتنافى مع عصمة نبي الله داود عليه السلام. وإن كان الخازن قد  
أعقب على هذه الإسرائيليات بشيء من التعقيب والتفنيد البسيط، نراه  
يمر بقصص كثيرة لا يعقب عليها، مع أن بعضها غاية في الغرابة،  
وبعضها مما يخل بمقام النبوة.

(١) تفسير الخازن ٤٩/٦.



- فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الكهف (١) {إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا...} نراه يذكر قصة أصحاب الكهف، وسبب خروجهم وهروبهم من الملك دقيانوس ولجؤهم إلى الكهف وتفاصيل مجريات الأمور التي مروا بها في قصة غاية في الغرابة والطول بحيث أخذت هذه القصة قرابة السبع صفحات بتفاصيل وحديثات يعجز عن سردها من عاصريهم فكيف بغير ذلك ومع ذلك فهو يذكرها ولا يعقب عليها بلفظ واحد (٢).

- ومثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى من سورة الأنبياء {وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتينا أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين} (٣) نراه يروي في حق أيوب عليه السلام قصة طويلة جدا من عشر صفحات والقصة يرويها عن وهب بن منبه، وهي مما لا يكاد يقرأها الشرع أو يصدقها العقل، لما فيها من المنافاة لمقام النبوة، ومع ذلك فهو يذكر هذه القصة ويمر عليها بدون أن يعقب عليها بأية كلمة (٤)

### اهتمامه الكبير بالقصص التاريخية:

كذلك نلاحظ على تفسير الخازن أنه يفيض في ذكر الغزوات التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إليها القرآن.

(١) سورة الكهف الآية ١٠.

(٢) تفسير الخازن ١٩٧/٦-٢٠٣.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٨٣ و٨٤.

(٤) تفسير الخازن ٣٠٧/٦-٣١٧.

-فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى من سورة الأحزاب (١) { يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا } وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (إذ جاءتكم جنود) يعني الأحزاب وهم قريش و غطفان ويهود قريظة والنضير ( فأرسلنا عليهم ريحا) يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا(ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون إلا ذهب حزنه، قوله تعالى ( و جنودا لم تروها) يعني الملائكة ولم تقا تل ملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان النجاء النجاء هلموا إلي فإذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فانهمزوا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب) وكان الله بما تعملون بصيرا) . نرى الخازن بعد أن يفرغ من التفسير اعلاه للآية التي ذكرت يقول ( ذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب) ثم يذكر وقائع الغزوة

(١) سورة الأحزاب الآية ٩.

وما جرى فيها باستفاضة وتوسع قارب العشر صفحات (١) غير ما ذكره بالتفسير .

-ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحزاب أيضا (٢) (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا) نراه يستطرد إلى ذكر غزوة بني قريظة، بتوسع ظاهر، وتفصيل تام بنحو أربع صفحات نذكرها فيما يلي استئناسا واستلطافا لما فيها من شفاء لصدور المؤمنين قديما وحديثا وأخذ العبر والعظات منها ومقارنتها بواقع المسلمين اليوم حيث انعكست الصورة بدلا من النصر الهزيمة وبدلا من العزة الذلة وبدلا من المهابة الخضوع والاستسلام .

### (ذكر غزوة بني قريظة) (٣)

قيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع قال العلماء بالسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح في الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحاله وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت

(١) تفسير الخازن ٥/٢٣٣-٢٤٣ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٧ .

(٣) تفسير الخازن ٥/٢٥١ .

السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم وروى أنه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه ووجه فرسه فقال إن الله تعالى يأمرك بالمشير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى نبي قريظة فانهب إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابه وتركتهم في زلزال وبلبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في نبي قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إليهم وابتدرها الناس وسار علي حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك إن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا إخوان القردة قد أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم وتلاحق به الناس فأتاه رجال بعد صلاة العشاء الأخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يصلين أحد العصر

إلا في بني قريظة) فصلوا العصر بها بعد العشاء الأخير فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ووفى لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود إنكم قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عرض عليكم خلا لا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هن؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوا الله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتؤمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم هذه فهل فنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولا نترك وراعنا ثقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراعنا شيئا نخشى عليه وأن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فإن أبيتم هذه الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فأنزلوا فلعلنا إن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا إلا ما قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازما ليلة من الدهر ثم أنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابعت لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخابني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيرهم في أمرنا فأرسله رسول الله صلى

الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال والنساء والصبيان  
يكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم  
محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما  
زالت قدمي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة  
على وجهه ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد  
إلى عمود من عمده وقال والله لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما  
صنعت وعاهد الله لا يظأ أرض بني قريظة أبدا ولا يراني الله في  
بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه  
وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فأما إذ فعل  
فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم إن الله أنزل توبة  
أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة  
قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقلت  
مم ضحكت يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة  
فقلت ألا أبشره بذلك يا رسول الله قال بلى إن شئت قال فقامت على  
باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة  
أبشر فقد تاب الله عليك قال فتار الناس إليه ليطلقوه فقال لا والله حتى  
يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا إلى الصبح  
أطلقه قال ثم إن ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم  
نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم من فوق ذلك  
هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على  
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن  
السعدي القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم  
محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو

بن السعدي وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع نبي قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني من عثرات الكرام فخلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه، وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت برمته ملقاء ولا يدري أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوالت الأوس وقالوا يا رسول الله إنهم مواليينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك إلى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها ربيعة وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين إصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له وسادة من آدم وكان رجلا

جسيما ثم اقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو احسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا إليه وقالوا يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فإنني احكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها ليوم فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إرسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة إلى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إرسالا يا كعب ماترى ما يصنع بنا قال أفي كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع وإن من يذهب به منكم لا يرجع هو



الله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأتى بحبي بن أخطب عدو الله وعليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتب على بني إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروي عن عائشة قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلى امرأة واحدة قالت والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت إنا والله قلت ويك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت حدثا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجا منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك . وروي محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت ابن قيس بن شماس في الجلية يوم بعث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال إني أريد أن أجزيك بيدك عندي قال إن الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله علي منه وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم هو لك فاتاه فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب  
 لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال  
 هم لك فاتاه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني امرأتك  
 وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك  
 فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال  
 هو لك فاتاه فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك  
 فهو لك فقال أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يسترأى  
 فيه غداري الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا إذا شددنا  
 وحاميتنا إذا كررنا عزال بن شموال قال قتل قال فما فعل المجلسان  
 يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فإني  
 أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ما الحقتني بالقوم فو الله ما في العيش  
 بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر حتى القى الأحبة فقدمه ثابت  
 فضربت عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله حتى يلقي الأحبة قال:  
 يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا أبدا قال وكان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة  
 ونساءهم على المسلمين وأغرم في ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما  
 للرجال فكان للفارس ثلاثة أسهم سهمان للفارس ولفارسه سهم وللراجل  
 ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان أول  
 يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن  
 زيد الأنصاري أخا بني الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد  
 فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد  
 اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء

بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهي في ملكه. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليكم فتركها وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها فبينما هو بين أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنني بإسلام ريحانة فجاهه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم إنك علمت أنه لم يكن قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني له وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليكم فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فو الذي نفس محمد بيده أني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم (رحماء بينهم) عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب (الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعز جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده).

## عنايته بالناحية الفقهية:

كذلك نجد الخازن في تفسيره يعني جدا العناية بالناحية الفقهية، فإذا تكلم عن آية من آيات الأحكام، استطرد إلى مذاهب الفقهاء وأدلتهم، وأقحم في التفسير فروعاً فقهية كثيرة، قد لاتهم المفسر بوصف كونه مفسراً في قليل ولا كثير.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: {للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاعوا فإن الله غفور رحيم} (١) يؤلون أي يحلفون والألية اليمين والإيلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما إذا قال والله لا أجامعك أولاً أباضعك أولاً أقربك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً فأبّت أن تعطيه حلف لا يقربها السنة والسننتين والثلاث فيدعها لا أيماً ولا ذات بعل فلما كان الإسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية فكان الرجل يريد امرأته ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبداً فيتركها لا أيماً ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الإسلام فجعل الله تعالى له الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من نسائهم (تربص) أي انتظار (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار. (فإن فاعوا) أي رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فإن رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها (فإن الله غفور رحيم) للزوج إذا تاب من إضراره بامرأته فإنه غفور رحيم لكل التائبين. نرى الخازن بعد أن ينتهي من التفسير يقول (فروع تتعلق بحكم الآية) ثم يذكر خمسة فروع:

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٦.

(الفرع الأول) (١) إذا حلف أنه لا يقرب زوجته أبداً أو مدة هي أكثر من أربعة أشهر فهو مولى فإذا مضت أربعة أشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفى وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فإن رجع عما قال بالوطء إن قدر عليه أو بالقول مع العجز عنه فإن لم يفى ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى وذهب إليه سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود إذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثوري وأبو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية.

(الفرع الثاني) لو حلف إن لا يطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمولى بل هو حالف فإن وطئها قبل مضي المدة لزمه كفارة اليمين.

(الفرع الثالث) لو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر فليس بمولى بعد مضي المدة عند الشافعي لأن بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفى أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبي حنيفة يكون مولى ويقع الطلاق بمضي المدة .

(الفرع الرابع) مدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعاً عند الشافعي لأنها مدة ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزواج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة وعن مالك وأبي حنيفة تنتصف مدة الإيلاء بالرق غير أن عند أبي حنيفة تنتصف مدة الإيلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما في الطلاق.

(١) تفسر الخازن ١/٢٢٣.

(الفرع الخامس) إذا وطئ خرج من الإيلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعده المغفرة فقال (فإن فاعوا فإن الله غفور رحيم) ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في إسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة (١).

مثلا آخر عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء... الآية} (٢) والمطلقات أي المخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هي التي أوقع الزوج عليها الطلاق (يتربصن بأنفسهن) أي ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال أبو عبيدة الأقرء من الأضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل إنه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في أصله فقيل أصله الجمع من قرأ أي جمع لأن في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه أي لوقته الذي كان فيه لأن الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة في الإقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما أن الإقراء هي الحيض روى ذلك عن عمرو وعلي وابن مسعود وابن عباس وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والأوزاعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول إن الإقراء هي الأطهار وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض القول الثاني أنها الأطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وأبان بن عثمان ومالك والشافعي

(١) تفسير الخازن ١/٢٢٢-٢٢٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

وحجة من يقول إن الإقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة أيام أقرائك يعني أيام الحيض لأن المرأة لا تدع الصلاة إلا أيام حيضها وحجة من يقول أنها الأطهار أن ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسكها وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها فأخبر أن زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الأعشى:

ففي كل عام أنت جاشم غزوة      تشد لأقصاها عزييم عرائكا  
مورثة مالا وفي الحي رفة      لما ضاع فيها من قروء نساككا

أراد أنه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقرأهن وإنما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر وعند غيره أطول وذلك أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرأ على قول من يجعل الأقرء الأطهار قالت عائشة رضي الله عنها إذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بان من زوجها وحلت للأزواج وروي عنها أنها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لأن هذا مما يبنتلى به النساء وإن طلقها في حال الحيض فإذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الأقرء حيضا وهو مذهب أبي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن وقع في حال الحيض. فإن قلت ما معنى الأخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن قلت هو خبر في صورة الأمر وأصل

الكلام وليتربص المطلقات فأخرج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يلتقي بالمسارعة إلى امتثاله فكانهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالإجابة فكانه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها.

نرى الخازن في تفسيره بعد أن تعرض لما ذهب إليه الأحناف وكذلك الشافعي فيما تنقضي به عدة الحائض بشرح مفصل يعود ويقول (فصل في أحكام العدة) نذكره فيما يلي إنشاء الله تعالى:  
(فصل في أحكام العدة) (١) وفيه مسائل:

(المسألة الأولى) عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والأمة.

(المسألة الثانية) عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحيض والأمة والآيسة.

(المسألة الثالثة) عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان: أحدهما الحيض فعدتها بالأقراء وهي ثلاثة أقراء الضرب الثاني الآيسات من الحيض وإما الكبر أو تكون لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها .

(المسألة الرابعة) عدة الإماء نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفي الإقراء قرآن لأنه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين.

(١) تفسير الخازن ١ / ٢٢٥.



مثالا آخرًا في إسهابه بالقضايا الفقهية عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة}.... فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به... الآية}{(١) نجده يقول (فصل في حكم الخلع، وفيه مسائل) ويذكر ثلاث مسائل: المسألة الأولى: فيما يباح من أجله الخلع، والثانية: في جواز الخلع بأكثر مما أعطاهما وعدم جوازه، الثالثة: في اختلاف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق؟(٢)

ومثالا أخيرا لتناوله الأحكام الفقهية عند تفسيره لآية الظهر التي في أول سورة المجادلة نراه يسوق فصلا في أحكام الكفارة، وما يتعلق بالظهر، ويورد فيه ثماني مسائل(٣) لا مجال لذكرها لعدم اتساع المقام..

### اهتمامه بالمواعظ والرقائق:

ثم إن هذا التفسير كثيرا ما يتعرض للمواعظ والرقائق، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب، ولعل نزعة الخازن الصوفية هي التي أثرت فيه فجعلته يعني بهذه الناحية ويستطرد إليها عند المناسبات. فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة السجدة { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون}{(٤) نرى الخازن بعد أن ينتهي من تفسيره للآية الكريمة أعلاه يقدم (فصلا في فضل قيام الليل والحث عليه).

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٩.

(٢) تفسير الخازن ١/٢٢٩-٢٣٠.

(٣) نفس المصدر ٧/٤٦-٤٧.

(٤) سورة السجدة الآية ١٦.

عن معاذ بن جبل قال (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف عليك هذا فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد السنتهم) أخرجه الترمذي وعن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم وتكفير السيئات ومنهاة عن الآثام مطردة الداء عن الجسد) أخرجه الترمذي. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطنه ولحافه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي ثلر عن فراشه ووطنه من بين جنبيه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهرىق دمه) أخرجه الترمذي بمعناه (م) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) (ق) وعن عائشة قالت (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا) وعن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام) أخرجه الترمذي (خ) وعن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول (إن أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال).

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع  
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ما إذا قال واقع  
ببيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالكافرين المضاجع (١)

وهكذا نجد تفسير الخازن يطرق موضوعات كثيرة في نواح من العلم مختلفة، ولكن شهرته القصصية، وسمعته الإسرائيلية حيث أنه كما أسلفنا يتناول القصص بتفصيل تام وبإسهاب مفرط وكذلك كثرة تناوله للإسرائيليات أساعت إليه كثيرا، وكادت تصد الناس عن الرجوع إليه والتعويل عليه. ولعل الله تعالى يهيء لهذا الكتاب من يعلق عليه بتعليقات متكاملة توضح غثه من سمينه، وتستخلص صحيحه من سقيمه. والكتاب مطبوع في سبعة أجزاء متوسطة الحجم، وهو متداول

(١) تفسير الخازن ٥/٢٢٤-٢٢٥.

بين الناس خصوصاً من له شغف بالقصص وولع بالصوفيات  
والقصص الغريبة.

ومن أبرز الأمور التي تلاحظ على تفسير الخازن والتي يختلف فيها  
عن البغوي هو عدم تعرضه للقراءات مما أفاض فيه البغوي، ويأتي  
الإمام الخازن بفوائد في التفسير يستمدّها من مصادر أخرى في كتب  
التفسير وغيرها مما رآه مناسباً في سياق التفسير وموضحاً لمعاني  
الآيات في أخذه الإيجاز والاختصار ومن أبرز الأسماء التي تتردد في  
تفسيره الطبري، الزمخشري، الرازي، ابن الجوزي، النووي،  
القاضي عياض.

### تخرجه للأحاديث:

خرج الخازن الأحاديث التي وردت خلال تفسير البغوي وردها إلى  
أصولها من كتب الصحاح والسنن، وبذلك سد ثغرة في تفسير الإمام  
البغوي وأغنها بذلك عن ذكر الأسانيد التي أطال البغوي في إيرادها  
وقد وضع الخازن علامات وحروفاً مختصرة للكتب التي خرج منها  
تلك الأحاديث وهي: (ق) للمتفق عليه، (خ) لمافي صحيح البخاري،  
(م) لما في صحيح مسلم أما عدا ذلك من كتب السنن الأخرى فقد  
ذكرها بأسمائها فيقول مثلاً: أخرجه أبو داود، أخرجه الترمذي،  
أخرجه الترمذي والنسائي، وأخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله في  
مستدرکه (١) أما الأحاديث التي رواها البغوي بسنده ولم تكن في كتب  
الصحاح والسنن فيقول الخازن فيها: روى البغوي بسنده عن عقبة بن  
عامر وأبي هريرة مثلاً. وأما ما رواه بسنده عن شيخه الثعلبي فيقول

(١) لباب التأويل ١٩/١ وفي الصفحة نفسها خرج عن الدار قطني.

الخازن: روى البغوي بإسناده عن الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الأحاديث القليلة التي رواها البغوي بدون سند فيقول فيها الخازن: روى البغوي بغير سند أو يقول روى فقط.

وقد قام الخازن بشرح غريب الحديث وبيان معناه بطريقة ميسر تفيد فهم المعنى وتكشف عما يستفاد منه ويبين الخلاف والفروق في الروايات وحين تكون المفردات الصعبة في الحديث كثيرة يفرد فصلا لشرحها وتوضيحها. وقد التزم الخازن بعمله هذا بصورة مطردة مع الأحاديث الطويلة التي تستوجب الوقوف عليها لبيان معانيها، وهكذا يكون قد سد ثغرة أخرى في تفسير الإمام البغوي.

**الباب الأول**  
**الفصل الخامس**

**(ابن جزي الكلبى)**

(٦٩٣-١٧٤١هـ)

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول/ ترجمة ابن جزي الكلبى

المبحث الثانى/ ابن جزي الكلبى ومنهجه فى التفسير

## المبحث الأول

### ترجمة ابن جزي الكلبي (١)

(٣٩٦-١٤٧هـ)

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي، المالكي الغرناطي (أبو القاسم) من أهل غرناطة وذوي الإصالة والنباهة فيها.

عالم، أديب، مشارك في العربية والفقهاء الأصول والكلام والحديث والقراءة والتفسير. أخذ عنه لسان الدين الخطيب من تصانيفه: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تقريب الوصول إلى علم الأصول، المختصر البارع في قراءة نافع، الفوائد العامة في لحن العامة، وله شعر.

يقول الداودي (٢): كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاشتغال والنظر والتقييد والتدوين، فقيها حافظا قائما على التدريس مشاركا في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب حفظه للتفسير مستوعبا للأقوال جماعا للكتب ملوكي الخزانة حسن المجلس ممتع المحاضرة صحيح الباطن تقدم خطيبا بالمسجد الأعظم

(١) معجم المؤلفين ١١/٩، الأعلام ٣٢٥/٥.

(٢) طبقات المفسرين ٨١/٢، ترجمة ٤٤٧٧ مكتبة وهبة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ / إبريل

١٩٧٢م الطبعة الأولى.

من بلده على حداثة سنه فاتفق على فضله وجرى على سنن إصالتـه  
قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير وأخذ عنه العربية والفقـه  
والحديث والقراءات ولازم الخطيب الفاضل أبا عبد الله بن برطال  
والأستاذ النظار المتقن أبا القاسم قاسم بن عبد الله بن الشاطـ. والـف  
الكثير في فنون شتى منها كتاب (وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم  
وكتاب (الأنوار السنية في الكلمات السنية) وكتاب الدعوات والأذكار  
المخرجة من صحيح الأخبار) وكتاب (القوانين الفقهية في تلخيص  
مذاهب المالكية) و(التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية  
و(تقريب الوصول إلى علم الأصول) و(النور المبين في قواعد عقائد  
الدين) و(المختصر البارع في قراءة نافع) و(أصول القراء الستة  
غير نافع) و(الفوائد العامة في لحن العامة) إلى غير ذلك مما قيده من  
التفسير والقراءات وغير ذلك: وله فهرسة كبيرة اشتملت على جملة  
كثيرة من أهل المشرق والمغرب. ومن شعره:

لكل بني الدنيا مراد ومقصد	وإن مرادي صحة وفراغ
لا بلغ في علم الشريعة مبلغا	يكون إلى بر الجنان بلاغ
ففي مثل هذا فلينافس أولو النهى	وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ.
فما الفوز إلا في نعيم المؤبد	به العيش رغد والشراب يساغ



وله في الجناب النبوي صلى الله عليه وسلم:

أروم امتداح المصطفى فيردني  
 ولو أن كل العالمين تألفوا  
 فأمسكت عنه هيبة وتاديبا  
 ورب سكوت كان فيه بلاغاه  
 قصوري عن ادراك تلك المناقب  
 على مدحه لم يبلغوا بعض واجب  
 وخوفا وإعظاما لا رقع جانب  
 ورب كلام فيه عتب لعاتب  
 وله:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت  
 وليس لي بعذاب النار من قبل  
 فانظر الهي إلى ضعفي ومسكنتي  
 فما أطيق لها حصرا ولا عددا  
 ولا أطيق لها صبورا ولا جلدا  
 ولا تذيقتني حر الجحيم غدا

توفي شهيدا يوم الكائنة في عام إحدى وأربعين وسبعمائة أورده ابن  
 مرحون في الطبقات.

## المبحث الثاني

### ابن جزى ومنهجه في التفسير

(التسهيل لعلوم التنزيل)

تفسير ابن جزى من تصانيف التفسير بالمأثور وأنه يفسر القرآن بالقرآن ويعتني بذلك ومن منهجه عرض القراءات وكيفية استعانتها بها في مجال التفسير وانه مقتصر في عرضه للقراءات السبع أو بعضها ونادرا ما يخرج عنها إلى قراءة يعقوب مثلا من تنمة العشرة، وأنه يستشهد في بعض الأحيان بالقراءات الشاذة تدعيما لتفسير أو توجيهها لرأي. وأنه تآثر بكل من الزمخشري وابن عطية في تضعيف بعض القراءات المتواترة المخالفة للمشهور في لغة العرب أو لما قعده النحاة إلا أنه كان اقل حدة منهما، وأن ابن جزى اهتم بالصحيح من الحديث النبوي الشريف وأنه يرى وجوب معرفة التفسير النبوي للقرآن قبل أن يقدم المفسر على التفسير لأن تفسيره عليه الصلاة والسلام مقدم على غيره من تفاسير الناس . وبناء على ذلك فإن ابن جزى يقف عند التفسير النبوي إذا صح ولا يتعداه ويعتبره أحد أسباب الترجيح القوية لما يحتمل معاني عدة وكثيرا ما يصرح بصحة الحديث فيقول مثلا ورد في الحديث الصحيح وكان ينبه أحيانا على ضعف الأحاديث، وأحيانا إذا لم يترجح لديه صحة الحديث من ضعفه يعلق تفسير الآية بالحديث على صحته إذا صح كأن يقول ( فإن صح الحديث فهو المعول عليه) وقد أخذ عليه في هذا المجال عدم تخريجه للأحاديث وعزوها إلى مصادرهما من كتب السنة إلا في القليل النادر، واستدلاله بالحديث الضعيف أحيانا، وأنه وقع فيما وقع فيه الكثير من المفسرين

من إيراد أسباب النزول واهية السند كما أنه أغفل ذكر بعض أسباب النزول الصحيحة وأنه يورد أحيانا أكثر من سبب لنزول الآية، ولا يرجح واحدا منها أو يبين طريقة الجمع بينها (١)

وابن جزى ملئ بأقوال الصحابة والتابعين مما يؤكد أنه يميل إلى التفسير بالمأثور أكثر مما يميل إلى التفسير بالرأي.

أما عن موقفه من الأسماء والصفات: نراه يميل إلى الإيمان بها من غير تكلف ويرد علم حقيقتها إلى الله وقد يطلق عليها من المتشابه الذي يجب الإيمان به، ولا يعلم تأويله على حقيقته إلا الله، ورجح مذهب السلف في الاستواء ونحوه، ورد على بعض المتأولة تأويلهم لصفتي الحياء والعجب، اللتين وردتا في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وقد رد على المعتزلة في مجال العقيدة منتصرا لمذهب أهل السنة فأبطل قولهم في نفي صفة الكلام عن الله وقولهم أنه عالم بلا علم ورد عليهم زعمهم استحالة النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة وأيد مذهب الأشاعرة المضاد لمذهب المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد. وقد اعتنى بإبراز البراهين القرآنية الدالة على إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما استعان في هذا المجال بما ورد في التوراة والإنجيل، وأخبار المتقدمين من بشارات نبينا الكريم عليه أركى الصلاة والتسليم خاصة عند قوله تعالى: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل} (٢) مما يؤكد إطلاعه على كتب أهل الكتاب ونقله عنها ما يحتج به على أصحابها.

(١) انظر ابن جزى ومنهجه في التفسير ٩٣٠/٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

أما من ناحية تفسيره بالرأي لبعض الآيات إنما هو التفسير بالرأي المحمود القائم على الاجتهاد في إبراز المعاني الجلية والخفية التي يدل عليها النص بصريح العبارة، أو بلطف الإشارة. وهي وسائل استخدمها ابن جزى للوصول إلى ذلك مثل القواعد النحوية، والمصطلحات البلاغية، والقواعد الفقهية الأصولية والحدود المنطقية والإشارات الصوفية.

وفي مجال النحو اهتم ابن جزى بالتوجيه النحوي اهتماما بالغا، وعني بإعراب ما يتوقف على إعرابه أو يختلف باختلاف إعرابه المعنى، ونلاحظ تردد أسماء مشاهير النحاة كسيبويه، والخليل والفراء، والزجاج في تفسيره.

وله تضعيفات لبعض الأعراب، واجتهادات خاصة في هذا المجال، ونلاحظ أنه يميل إلى مدرسة البصريين ومتأثر بها.

وأما الشواهد الشعرية في تفسير ابن جزى فهي قليلة جدا.

وأنه يعني بالناحية الفقهية كثيرا وبكتابة قوانين الأحكام في الفقه الإسلامي المقارن، وأن منهجه هو عرض الأحكام الفقهية في تفسيره وأنه يعني في الدرجة الأولى بمذهب الإمام مالك والاستدلال له، وقد يذكر الخلاف فيه وينسب إلى أعلام المذهب المالكي كابن القاسم وابن وهب، وابن الماجشون وأشهب. كما أنه يتطرق إلى بقية المذاهب الأخرى، وخاصة مذهبي الشافعي وأبي حنيفة، وتطرقه إلى مذهب أحمد قليل، وأنه قد يستطرد في بعض المسائل فيذكر بعض المذاهب الأخرى كمذاهب الثوري، وأبي ثور، وسعيد بن المسيب والحسن البصري. وقد يذكر المذهب الظاهري، ويميل إليه أحيانا، ويهاجمه أحيانا أخرى. ومن النتائج التي يخرج بها القارئ حين قراءة تفسيره

هو أن ابن جزى فقيه مالكي غير متعصب لمذهبه، فهو يعرض المذهب المالكي وغيره، ويذكر لكل مذهب دليله غالبا، وقد يرجح المذهب المالكي، وقد يرجح غيره، وقد يورد المذاهب وأدلتها ويترك الترجيح للقارئ نفسه.

ونرى تردد ذكر ابن عطية كثيرا في تفسير ابن جزى وهو صاحب تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ت في ٥٤١ هـ فهو المصدر الأساسي والهام فقد استعرض ابن جزى تفسير ابن عطية من أوله إلى آخره، ولا غرابة في أن يصدر ابن جزى من هذا المورد العذب، وأن ينهل من هذا المعين الذي لا ينضب، فهو قد اعتبر تفسير ابن عطية (أحسن التأليف وأعدلها) كما جاء في نص كلامه في المقدمة. وأن كثرة تردد اسم ابن عطية في تفسيره لهو دليل على أنه يعول عليه بصفة مباشرة حتى ليتكرر ذكره في الصفحة الواحدة مرات عديدة وهذا أن دل على شيء فإنما يدل إلى حد كبير على الأمانة العلمية<sup>(١)</sup> كما أن ابن جزى قد اعتمد على ابن عطية بالدرجة الأولى في تفسيره فإنه قد اعتمد أيضا على تفسير الكشاف للزمخشري ت ٥٣٨ هـ وهو مصدر أساسي وهام أيضا بالنسبة لتفسيره وقد أفاد ابن جزى من هذا التفسير واصطحبه من أول تفسيره إلى آخره. وهو يشترك مع تفسير ابن عطية في كثرة اعتماده عليه ونقله منه وتأثره به غير أن النقطة الوحيدة التي كدرت هذا التفسير في نظر ابن جزى هي عقيدة الاعتزال عند الزمخشري التي جاهر بها وانتصر لها بل وهاجم مخالفيها. يقول ابن جزى في مقدمته:

(١) انظر التسهيل ٥٨/١ على سبيل المثال فقد تكرر ذكره ثلاث مرات.

( ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري فمسدد النظر بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشركهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم فتكدر صفوه، وتمرر حلوه فخذ منه ما صفا ودع ما كدر). (١)

وتأثر ابن جزي بالزمخشري يبدو واضحا في مجالات الإعراب واللغة والبلاغة واللطائف التفسيرية، كما تأثر به في طريقة العرض، وإيراد السؤال فالجواب وهذه أمثلة توضح ذلك:

عند قوله تعالى: {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين} (٢) ينقل لنا ابن جزي تفسير لفظة (يعش) عن الزمخشري فيقول (يعشو من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة وقال الزمخشري: يعش بفتح الشين إذا حصلت الآفة في عينه ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الاعشى وليس به آفة فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعمى (٣)

وقد يقرن ابن جزي الزمخشري مع ابن عطية، ويقدم قوله على قول ابن عطية خاصة في مجال الإعراب كما في تفسيره لقوله تعالى: {وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون} (٤) وإذا يقول ابن جزي في (واو) {أولو كان آباؤهم} قال الزمخشري الواو واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار كأنه قيل احسبهم هذا وآباؤهم لا

(١) مقدمة التسهيل ١/١٠.

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٦.

(٣) انظر التسهيل ٤/٢٨، وقارن بالكشاف ٣/٤٨٧-٤٨٨.

(٤) سورة المائدة الآية ١٠٤.

يعقلون. قال ابن عطية الف التوقيف دخلت على واو العطف، وقول  
الزمخشري أحسن في المعنى (١)

ومن اللطائف التفسيرية التي استقاها ابن جزي من تفسير الزمخشري  
وصاغها على الطريقة الزمخشريّة في إيراد الأسئلة والأجوبة (فإن قيل  
كذا فالجواب كذا) حيث جرت عادة الزمخشري أن يورد اللطائف  
التفسيرية بهذه الصورة وابن جزي جراه في المعنى مع اختلاف  
طفيف في اللفظ كما سنرى في تفسيره لقوله تعالى {الله نزل أحسن  
الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم  
تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} (٢). حيث يقول (فإن قيل: مثاني  
جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب أن القرآن ينقسم إلى سور  
وآيات فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم برمة أعشار  
وثوب أخلاق أو يكون تمييزا من (متشابها) كقولك حسن شمائل (ثم  
تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) فإن قيل كيف تعدى تلين إلى؟  
فالجواب أنه تضمن معنى فعل تعدى إلى كأنه قال تميل أو تسكن أو  
تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله. فإن قيل لم ذكرت الجلود أولا وحدها ثم  
ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: إنه لما قال أولا: (تقشعر)  
ذكر الجلود وحدها لأن التقشيرية من وصف الجلود لا من وصف  
غيرها ولما قال ثانيا (تلين) ذكر الجلود والقلوب لأن اللين توصف به

(١) التسهيل ١٩٠/١ والكشاف ٦٤٩/١، وقد أنكر أبو حيان على ابن عطية قوله (الف)

التوقيف) وقال (لم أفق عليها من كلام النحاة يقولون همزة الإنكار حمزة التوبيخ وأصلها همزة  
الاستفهام) ورجح أيضا رأي الزمخشري انظر البحر المحيط ٣٥/٤.

(٢) سورة الزمر الآية ٢٣.

الجلود والقلوب إما لين القلوب فهو ضد قسوتها وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولاً من الخوف ثم لانت بالرجاء (١) هكذا اورد ابن جزى هذه الأسئلة الثلاثة وأجوبتها دون أن يشير إلى مصدرها وهي موجودة في كشف الزمخشري، مع تبين يسير فالزمخشري ذكر هذه الأجوبة بإطناب وابن جزى لخصها وهذبها.

### كثرة مأخذه للحديث النبوي الشريف:

من المعلوم أن المفسر يجب أن يلم بالتفسير النبوي حتى لا يتقدم على قول النبي صلى الله عليه وسلم أو يخالفه (٢) لذا فقد زخر تفسير ابن جزى بالكثير من الأحاديث النبوية، غير أن التصريح بمصادر هذه الأحاديث كان يأتي على قلة.

ومما يجدر ذكره أن ابن جزى استعمل بكثرة عبارة (الحديث الصحيح) ، وغالبا ما يكون الحديث إذا هو استعمل هذه العبارة في الصحيحين أو في أحدهما، أو في موطأ مالك. ومع ذلك فإنه قد أشار إلى صحيح البخاري ومسلم فب بعض المواضع، كما أشار إلى سنن أبي داود، والنسائي، والترمذي في مواضع أخرى وهذه نماذج مختصرة توضح ذلك.

مثلا في تفسيره لقوله تعالى: {إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم} (٣) تكلم ابن جزى عن الكبائر، وفي معرض ذلك أورد هذا الحديث فقال (وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا

(١) انظر التسهيل ١٩٤/٣ وقارن بالكشاف ٣٩٥/٣.

(٢) انظر مقدمة التسهيل ٧/١.

(٣) سورة النساء الآية ٣١.



السبع الموبقات: الإشراف بالله والسحر وقتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات) (١).

مثال آخر في تفسيره لسورة الإخلاص، أورد هذا الحديث في فضائل السورة عن الإمام مسلم حيث قال:

(وخرج مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبروه إن الله يحبها) (٢)

مثال آخر في تفسيره قوله تعالى: (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (٣) قال ابن جزى (وقد ورد في كتاب الترمذي عدتها أعني تعيين التسعة والتسعين واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو موقوفة على أبي هريرة؟ وإنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين) (٤)

وهكذا يشير ابن جزى لأبي داود والنسائي وغيرهم مجتمعين ومتفرقين وهناك أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها ونكتفي بهذا القدر.

### اعتماده على الفقه في تفسيره:

لقد كان ابن جزى فقيها مالكياً، مبرزاً مشهوراً، ذا قدم راسخة في علم الفقه كما كان ذا قدم راسخة في علم التفسير. وقد كان مع ذلك عالماً

(١) التسهيل ١/١٣٩.

(٢) نفس المصدر ٤/٢٢٣.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

(٤) التسهيل ٢/٥٥.

بالخلاف، مدركا لمذاهب الفقهاء ولمنازعههم في الاستدلال وكتابه (قوانين الأحكام الشرعية) خير شاهد على ذلك.

ولقد استقى ابن جزى في هذا الحقل من كتب المذهب المالكي بالدرجة الأولى كما أشرنا سابقا لكتاب الموطأ للإمام مالك (١٧٩هـ) والمدونة لسحنون (٢٤٠هـ) والواضحة لعبد الملك بن حبيب (٢٣٨هـ) والموازية لابن المواز (٢٦٩هـ). وهناك أمثلة من تفسير ابن جزى حول تفصيله في المذاهب الفقهية وعرض آرائهم وأدلتهم. فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء} إلى قوله {ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله} (١) إباحة التعريض بخطبة المرأة المعتدة، ويقضى ذلك النهي عن التصريح، ثم أباح ما يضم في النفس بقوله أو أكنتم في أنفسكم (علم الله إنكم ستذكرونهن) أي تذكرونهن في أنفسكم وبألسنتكم لم يخف عليكم وقيل أي ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهن سرا) أي لا تواعدوهن في العدة خفية بأن تتزوجوهن بعد العدة، وقال مالك فيمن يخطب في العدة ثم يتزوج بعدها فراقها أحب إلي، ثم يكون خاصا من الخطاب، وقال ابن القاسم: يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولوا معروفا) استثناء منقطع، والقول المعروف: هو ما أبيض من التعريض كقوله إنكم لا كفاء كرام، وقوله إن الله سيفعل معكم خيرا، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة، والكتاب هنا القدر الذي شرع فيه من العدة ومن تزوج امرأة في عدتها يفرق بينهما اتفاقا، فإن دخل بها حرمت عليه على التأييد عند

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٥.

مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة واختلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم يدخل بها (١)

وعند قوله تعالى في شأن المبتوتة (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) (٢) يقول ابن جزري هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله الطلاق مرتان (حتى تنكح زوجا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء لقوله صلى الله عليه وسلم لمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسه الزوج الآخر: حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلاتك: وروي عن سعيد بن المسيب إن العقد يحلها دون وطء، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه، والوطء مباحا في غير حيض ولا إحوام ولا اعتكاف ولا صيام، خلافا لابن الماجشون في الوطء غير المباح، وأما نكاح المحلل فحرام، ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك، خلافا لأبي حنيفة والمعتبر في ذلك نية المحلل لا نية المرأة ولا المحلل له (٣)

وعند تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) (٤) يقول ابن جزري لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك (إلا أن تكن تجارة) استثناء منقطع

(١) التسهيل ١ / ٨٥ وفي صفحة ١٥٠ مطبعة حسان/ القاهرة.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٠.

(٣) التسهيل ١ / ٨٢ وفي صفحة ١٤٦ مطبعة حسان القاهرة.

(٤) سورة النساء الآية ٢٩.

والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها، وفي إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مائة، والمشهور إمضاء البيع، وحكي عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث وموضع إن نصب، وتجارة بالرفع فاعل تكون وهي تامة، وقرئ بالنصب خبر تكون وهي ناقصة (عن تراض منكم) أي اتفاق وبهذا استبدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفريق وقال الشافعي: إنما يتم بالتفريق بالأبدان، لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف} (٢)

يقول ابن جزري: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله سببها عند ابن عباس أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة نزلت في نفر من عكل وعرينة أسلموا ثم أنهم قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوا إبله ثم صار حكمها بعد ذلك في كل محارب، والمحاربة عند مالك هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلا خارج البلد، قوله: يحاربون الله: تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ضعيف، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو أحسن (ويسعون في الأرض فسادا)

(١) التسهيل ١/١٣٩ وفي صفحة ٢٤٨ مطبعة حسان القاهرة.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٣.

بيان للحراية وهي على درجات أدناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس (أن يقتلوا أو يصلبوا) الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينجزروا، وهو قول أشهب، وقيل يصلب حيا، ويقتل على الخشبة، وهو قول ابن القاسم (أو تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف) معناه إن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد: قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل، وذلك في الحراية وفي السرقة (أو ينفوا من الأرض) مشهور مذهب مالك أن ينفى من بلد إلى بلد آخر ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته وروي عن مطرف إنه يسجن في البلد بعينه وبذلك قال أبو حنيفة، وقيل وينفى إلى بلد آخر دون أن يسجنه فيه، ومذهب مالك أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله، وينفيه، إلا إنه قال إن كان قتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل فالأحسن أن يأخذ به بأيسر العقاب، وقال الشافعي وغيره: هذه العقوبات مرتبة فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف الناس ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفى، وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأو التي تقتضي التخيير (١)

وبالنسبة للمذاهب الفقهية الأخرى نجده يتطرق إلى مذهبي الشافعي وأبي حنيفة كثيرا كما يتطرق بصورة أقل إلى مذهب أحمد وفي بعض المواضع لا يكتفي بذكر المذاهب الأربعة المشهورة، بل يستطرد إلى ذكر مذاهب الثوري، وأبي ثور، وسعيد بن المسيب والحسن البصري،

(١) التسهيل ١/١٧٥ وفي صفحة ٣١٤-٣١٥ مطبعة حسان / القاهرة.

وغيرهم، كما يذكر أحيانا المذهب الظاهري، ويكاد يميل إليه، أو يسكت عنه، وأحيانا أخرى يهاجمه بشدة وينقده بعنف.

فمثلا ما أشار إليه عند كلامه على البسمة في أول تفسيره، حيث يذكر عشر فوائد تتعلق بها.

منها حول كون البسمة آية في القرآن أولا. وصور المسألة وكأنها خلاف بين مالك والشافعي فقط وذكر لكل منهما أشهر أدلته. ثم إن الفائدة الثالثة كانت حول البسمة في الصلاة يقول ابن جزى:

لا يبسم في الصلاة عند مالك ويبسم عند الشافعي جهرا في الجهر، وسرا في السر، وعند أبي حنيفة سرا في الجهر والسر، فحجة مالك من وجهين: أحدهما أنها ليست عنده آية في الفاتحة حسبما ذكرنا.

والآخر ما ورد في الحديث الصحيح عن أنس قال: صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول القراءة ولا في آخرها (١)

وحجة الشافعي من وجهين:

أحدهما أن البسمة عنده آية من الفاتحة.

والآخر ما ورد في الحديث من قراءتها (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) (٢)

ذكر ذلك ابن جزى في تفسيره (٣)

(١) الحديث في صحيح مسلم ٢٩٩/١ ط/ فواد عبد الباقي.

(٢) رواه الدار قطني في سننه ٣٠٧/١.

(٣) التسهيل ٣٠ / ١.

وهكذا ومن خلال العرض لهذا الحكم الفقهي وأدلته نجد أن ابن جزري قد أنصف المذهبين وذكر لكل منهما حجتيه وكأنهما متقابلتان ولم يرجح أحد القولين على الآخر وإن كان هو يرجح قول الإمام مالك ويميل إليه.

### موقفه من الإسرائيليات:

لقد تعرض ابن جزري للإسرائيليات في تفسيره، وللقصص بصفة عامة وكانت له وقفات محمودة، كما كانت له بعض الهفوات التي تؤخذ عليه ونرى نقد ابن جزري لبعض المفسرين الذين أكثروا من ذكر الإسرائيليات، وحشد القصص الصحيح منها وغير الصحيح، ونبه إلى أنهم قد ذكروا ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام، وحكوا ما يجب تنزيههم عنه (١) فمثلا عند تفسيره للآية الكريمة (وفديناه بذبح عظيم) (٢) يقول بان جزري (البذبح اسم لما يذبح وأراد به هنا الكبش الذي فدى به، وروي أنه من كباش الجنة كما جاء في تفسير الطبري وقيل إنه الكبش الذي تقرب به ولد آدم كما جاء في تفسير ابن كثير عند تفسيره للآية المذكورة. ووصفه بعظيم لذلك أو لأنه من عند الله أو لأنه متقبل وروي في القصص أن الذبيح قال لإبراهيم أشدد رباطي لئلا اضطرب، وأصرف بصرك عني لئلا ترحمني، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع، فحينئذ جاء الكبش من عند الله وقد ذكر ذلك الخازن في تفسيره للآية. وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية وتركناه لعدم صحته (٣)

(١) انظر في مقدمة التسهيل ٧/١

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٧.

(٣) التسهيل ٣/١٧٤-١٧٥.

فهنا نرى ابن جزى يقلل من نقل القصص، ولا يكثر منها مثل كثير من المفسرين. كما أنه لم يتركه أصلاً، وفي نفس الوقت أشار إلى توهينه، وعدم الاعتماد عليه ومثل هذا القول تكرر في عدة مواضع من تفسيره.

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: { ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه } (١) حيث يقول ابن جزى ( أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى الفوا فيها التآليف فمنهم مفرط ومفرط، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحله التكة، وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله ) (٢) ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه، وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها ليدفعها، وهذا أيضاً بعيد لاختلاف سياق الكلام. والصواب إن شاء الله إنها همت به من حيث مرادها، وهم بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها، بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها. ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة التي محاها من قلبه لما رأى برهان ربه ولا يقدر هذا في عصمة الأنبياء، لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه في ذلك، فإنه من هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (٣)

(١) سورة يوسف الآية ٢٤.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢/١٠٨-١٠٩.

(٣) التسهيل ١١٧/٢.



لكننا ونحن نكبر صنيع ابن جزى حيال الكثير من هذه الإسرائيليات التي ذكرنا بعض منها ولو أردنا أن نذكرها بكلياتها لم يسعنا المقام لذلك أقول نكبر صنيعه ونعجب بموقفه هذا الذي تورط فيه كثير من المفسرين نجده قد تورط هو الآخر في بعض الإسرائيليات، فروى بعضها ولم يعقب عليها، وروى البعض واستبعدها كما هو الغالب عليه.

ففي تفسير الآية {اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب} إلى قوله تعالى {وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب} (١) تعجب أولاً بتنزيهه لنبي الله داود عليه السلام وإيراده لقول على رضي الله عنه ( من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلده حدين، لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله ) (٢) ونكبر انقياده للزمخشري عند ذكر المناسبة بين قول الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حيث أخذ على الزمخشري عدم تأدبه مع نبي الله داود (٣) عليه السلام أقول ونحن نعجب بهذا الصنيع نفاجاً بابن جزى وقد خرج عن المؤلف في كتابه من الاختصار، وعدم الاعتداد بالروايات الواهية إلى حشد عدد من الروايات في قصة داود عليه السلام وبعضها مما يخل بمنصب النبوة. إذ يقول في تفسيره للآيات (ونحن نذكر من ذلك أي القصص التي تتعلق بقصة تسور المحراب على داود ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام . يقول روي أن

(١) سورة ص الآية ١٧-٢١.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/٣٦٦ والخازن في تفسيره ٤٩/٦.

(٣) انظر ما قاله ابن جزى في التسهيل ٣/١٨٣ وما قاله الزمخشري في الكشاف ٣/٣٦٣.

أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبتة، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك (١) فاتفق أن وقعت عين داود عليه السلام على امرأة رجل فأعجبه، فسأله النزول عنها ففعل وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه الملائكة مثالا لقصته فقال أحدهما (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود (ولي نعجة واحدة) إشارة إلى ذلك الرجل فقال (اكفانيها) إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته، فأجابه داود عليه السلام بقوله (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) فقامت الحجة عليه بذلك فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا، ولم يرهما فشعر داود أن ذلك عتاب من الله على ما وقع فيه (فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) (٢)

ثم يقول ابن جزري (ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتنزه عنه، لعلو مرتبته، ومثانة دينه فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم، كما قيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

أقول ولو أن ابن جزري اكتفى بهذه القصة وتجاوزها وهو ما يليق بمنهجه، وخطئه في الاختصار كان عليه أن لا يذكرها لعدم صحتها

(١) انظر سيرة ابن هشام ٩١/٢ مكتب التراث الإسلامي حلب.

(٢) التسهيل ١٨٣/٣-١٨٤ والرواية مقتبسة من تفسير الزمخشري ٣/٣٦٥.

سيما وأن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نهى عنها وحذر بإقامة حد القذف للأنبياء بالحد المضاعف.

### كثرة ذكره أسباب النزول:

عنى ابن جزى كما عنى غيره من المفسرين بأسباب النزول إلا أنه يغلب عليه الاختصار في ذكرها وقد يشير إلى السبب مجرد إشارة عابرة، وهذه عنده ظاهرة عامة في جميع موضوعات التفسير تقريبا، وهي تتعلق بالناحية الشكلية لتفسيره. وتتصل بطريقته في كتابته لهذا التفسير أكثر من تعلقها بالناحية الموضوعية.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى...} (١) يعين ابن جزى السائلين فيقول (سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا نجامع النساء في المحيض خلافا لليهود) (٢) هكذا قال ابن جزى وسكت. ولكن الذي رواه أصحاب الكتب الستة ما عدا البخاري والتي هي عند غالبية المفسرين عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كلنوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيت (٣)، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى عليه {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

(٢) التسهيل ٨٠/١.

(٣) يعني لم يخالطوهن ولم يسكنوهن في بيت واحد، انظر شرح النووي لصحيح مسلم

شيئا إلا خالفنا فيه، فباء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله: إن اليهود تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا إن لم يجد عليهما (١)

ذكرت الحديث كاملا لأوضح الخطأ الذي وقع فيه ابن جزي عند تفسيره لهذه الآية فالسائلون كما في الحديث الذين نزلت الآية مجيبة على سؤالهم هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني جماعة منهم لم يعينوا غير أسيد بن حضير وعباد بن بشر أما هؤلاء فإنما قالوا ما قالوا كما يظهر من سياق الحديث بعد نزول الآية كأنهم لما رأوا أن اليهود قد ساءهم مخالفة المسلمين لهم في جواز اتیان الحائض ماعدا النكاح أراد من النبي صلى الله عليه وسلم مبالغة في مخالفة اليهود حسب ظنهما، أراد إباحة ذلك بإطلاق فلذا تغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من مخالفة للحكم الإلهي الذي قد نزل (قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض).

فلا يصح بناء على ما سبق أن يجعل أسيد بن حضير وعباد بن بشر هما السبب في نزول الآية أو هما السائلين اللذين نزلت الآية مجيبة على سؤالهما. ولا شك أن الاختصار الشديد كان سببا في وقوع هذا اللبس.

(١) رواه مسلم ٢٤٦/١، وأبو داود ٥٩/١، والترمذي ٢٨٢/٤، وقال حديث حسن صحيح، والنسائي ١٢٥/١، ١٣٥، وابن ماجه ٢٢٢/١ وغيرهم.

مثالا آخراً عند تفسيره لقوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم و أن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم}{(١)}.

يقول ابن جزى(سببها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذروهم الله من طاعتهم في ذلك) (٢)هكذا أورد ابن جزى هذا السبب.

والذي في جامع الترمذي بسند صحيح إلى عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية {يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم} قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله {يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم}{(٣)}

وفي رواية ابن أبي حاتم، فأنزل الله هذه الآية (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) وهي تنمة الآية السابقة إلا أنها بالمناسبة الصق. ويتضح من هذا السياق، أن سبب نزول الآية ليس هو التحذير من طاعة الأزواج والأولاد كما يفهم من كلام ابن جزى وأن كان لفظ الآية يتناول ذلك، بل نزلت لترشد أولئك المتأخرين في هجرتهم من الصحابة رضوان الله عليهم حينما هموا بعقاب الأزواج والأولاد لأنهم كانوا السبب في تأخيرهم عن الهجرة والتفقه في الدين

(١) سورة التغابن الآية ١٤.

(٢) التسهيل ١٢٤/٤.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٩٢/٥ وقال حديث حسن صحيح.

نزلت الآية لترشدهم إلى الصفح والعفو والمغفرة عن أزواجهم، وأولادهم، ثم لتحذرهم في مستقبل الأيام من طاعتهم في معصيته الله أو الالتئام بهم عن ذكر الله وطاعته. ويوضح ذلك أن التثبيط قد وقع، والتأخر عن الهجرة قد حصل. وعقاب الأزواج والأولاد هو الذي هم به أولئك المتأخرون في هجرتهم فندبوا إلى الصفح عما مضى، وأمروا بالحدز فيما سيأتي.

وهذا المعنى لا يفيد كلام ابن جزى السابق، وسياقه المقتضب، وهذا ما جعلنا نعرض له هنا ونوضحه.

ونود أن نشير إلى أن ابن جزى قد ذكر من أسباب النزول الصحيح سندها الكثير الكثير وقد يكون سبب النزول الصحيح عنده أداة من أدوات الترجيح ولا نحتاج هنا إلى ذكر أمثلة على ذلك لأسباب النزول الصحيحة المبنوثة في تفسيره فهذا هو الأصل في تفسيره ولكن أردنا أن نشير إلى سلبية يقع فيها دائما عندما يراعي الاختصار والاقتضاب.

### موقفه من الأسماء والصفات:

لقد ذكر القرآن أسماء عديدة للباري عز وجل، وصفات كثيرة له سبحانه وأسماء الله كلها حسنى وصفاته كمال إذ هو سبحانه له الكمال المطلق المنزه عن العيوب والنقائص، وهو سبحانه وتعالى لا يشبهه أحدا من خلقه في أسمائه وصفاته كما لا يشبهه أحد من خلقه {ليس كمثل شيء وهو السميع البصير} (١)

(١) سورة الشورى الآية ١١.

وقد اختلفت مواقف الناس وتباينت اتجاهاتهم نحو أسماء الله وصفاته. حسب اختلاف مشاربهم وتعدد مناهجهم، وظهرت هذه الاتجاهات على سطح التفسيرات التي كتبوها.

والذي يعنينا هنا هو تحديد موقف ابن جزري من أسماء الله وصفاته وتحديد المدرسة التي يمكن أن يصنف فيها أمي مدرسة الوقوف عند النص وعدم الخوض فيه مع التسليم به أم هي مدرسة الاجتهاد في تأويل النص وحمله على بعض المحامل أو الوجوه، أو بعبارة أخرى هل يميل ابن جزري إلى رأي السلف المثبتين مع التنزيه، أم إلى رأي الخلف النافين بقصد التنزيه أيضا. لا نريد أن نتعجل في إصدار الحكم لكن من خلال نصوصه وكلامه نستطيع إن شاء الله أن نتبين موقفه وإن نحكم عليه فيما بعد بالصواب أو عدمه فتعال معي نطالع تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل لنقف على ما أردنا ، ففي تفسيره لقوله تعالى {هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم} (١)

يقول ابن جزري (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه، وقيل الغيب الآخرة، والشهادة الدنيا والعموم احسن، (القدوس) مشتق من التقديس، وهو التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وغيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح. (السلام) في معناه قولان أحدهما الذي سلم عباده من الجور والآخر: السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة، وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام.

(١) سورة الحشر الآية ٢٢ - ٢٤.

(المؤمن) فيه قولان أحدهما أنه من الأمن أي الذي أمن عباده. والآخر أنه من الإيمان أي المصدق لعباده في إيمانهم أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق نفسه في أقواله.

(المهيمن) في معناه ثلاثة أقوال: الرقيب والشهيد والأمين.

(الجبار) في معناه قولان: أحدهما أنه من الإيجابار بمعنى القهر، والآخر أنه من الجبر أي يجبر عباده برحمته والأول أظهر.

(المتكبر) أي الذي له التكبر حقاً (البارئ) أي الخالق يقال برأ الله الخلق أي خلقهم ولكن الباري والفاطر يراد بهما الذي بدأ الخلق واخترعه.

(المصور) أي خالق الصور (له الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) (١) يميل ابن جزى في تفسير بعض معاني الأسماء الحسنى إلى التأويل خاصة في تفسير بعض الأسماء التي تتضمن حسب فهم البعض معاني بشرية لا يليق أن تنسب إلى الباري عز وجل، ألا بحسب مقتضياتها.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: {الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح} (٢) يقول ابن جزى:

(النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار ومجازاً على المعاني التي تدرك بالقلوب والله ليس كمثل شيء فتأويل الآية: الله ذو نور السموات والأرض، ووصف نفسه بأنه نور كما نقول: زيد كرم

(١) التسهيل ١١١/٤ والحديث متفق عليه انظر صحيح البخاري ١٢٤/٤ وصحيح مسلم

٢٠٦٣/٤.

(٢) سورة النور الآية ٣٥.



إذا أردت المبالغة في أنه كريم (١) فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار فمعنى نور السماوات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، و أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء. ومن هذا المعنى قراءة علي بن أبي طالب (الله نور السماوات والأرض) بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو أي جعل فيهما النور (٢)

ففي هذا المثال نرى أن ابن جزري يميل إلى تأويل اسم الله (النور) بالمنور أو الهادي، وهذا أعني التتوير والهداية إنما هو فعله كما يقول ابن القيم (٣) وإلا فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى.

لو فسرت الجملة (الله نور السماوات والأرض) يقول ابن مسعود رضي الله عنه (ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السماوات والأرض من نور وجهه) (٤) لكان الصق بالتفسير لأن هذا القول من ابن مسعود قد يعطى حكم الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه فيما يبدو من الأمور التي لا اجتهاد فيها والله أعلم.

(١) هذا التأويل قاله الزمخشري في الكشاف ٦٧/٣ ثم تبعه عليه جمهرة من المفسرين كالفخر

الرازي ٢٢٤/٢٣، والبيضاوي ٤٦٩، النسفي ١٤٤/٣ وأبو حيان ٤٥٤/٦-٤٥٥.

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في تفسيره ٤٥٥/٦ وعزاها لعدد من الصحابة منهم علي رضي

الله عنه وهي تناسب المعنى القائل الله نور السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم، كما قال

تعالى (أنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب )

(٣) انظر التفسير القيم لابن القيم ٣٧٢.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره انظر تفسير القرآن العظيم ٦١/٦ وذكره ابن تيمية في تفسيره

دقائق التفسير ٤٧٧/٤ الطبعة الثالثة.

غير أن ابن جزى استمد تفسيره في هذا أيضا من تفاسير الصحابة فعلي رضي الله عنه قرأ (نور السماوات والأرض) وهي قراءة تفسيرية وابن عباس روى عنه بأصح الطرق التفسيرية إليه أنه قال (في نور السماوات والأرض) هادي أهل السماوات والأرض ولا تنافي بين قراءة علي وتفسير ابن عباس، وقول ابن مسعود فانه سبحانه وتعالى نور السماوات والأرض بهذه الاعتبارات كلها أعني أنه النور ونوره سبحانه ليس كشيء من الأنوار وهو المنور للسماوات والأرض والهادي لأهلها، ومن فيها، وقد جاء في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول (اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن). (١)

وقد تعرض ابن جزى في تفسيره أيضا لمسألة تتعلق بالأسماء الحسنى لله تعالى وهذه المسألة هي : هل أسماء الله عز وجل توقيفية لا دخل للاجتهاد فيها فلا زيادة ولا نقصان عما جاء به الكتاب العزيز والسنة المطهرة أم أن المسألة اجتهادية فيمكن أن نسمى الله بأي اسم يتضمن المدح ولا تتعلق به شبهة وإن لم يرد بذكره آية أو حديث.

تعرض ابن جزى في تفسيره لهذه المسألة فذكر القولين فيها ونسبهما إلى عالمين مشهورين بعلم الكلام، ولم يبد رأيه فيها.

يقول ابن جزى في تفسيره لقوله تعالى: {وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} (٢) فادعوه بها أي سموه بأسمائه وهذا إباحة لا طلاق الأسماء

(١) رواه البخاري ١٩٦/١ ومسلم في صحيحه ٥٣٢/١.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

على الله تعالى، فأما ما ورد فيها في القرآن والحديث فيجوز إطلاقه على الله إجماعاً، وأما ما لم يرد فيه مدح لا تتعلق به شبهة فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره. ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث. (١)

هذا وفي مقدمة كتابه (قوانين الأحكام) عقد ابن جزى باباً في أسماء الله تعالى الحسنى وقرر فيه أن الله تعالى أسماء زائدة على التسعة والتسعين التي وردت في حديث الترمذي منها ما ورد في القرآن والحديث ومنها ما هي أسماء مشتقة من أفعاله. وقسم أسماء الله وصفاته على الجملة إلى ثلاثة أقسام:

ما يرجع إلى الذات، وما يرجع إلى صفات الذات، وما يرجع إلى صفات الفعل. وقسمها على التفصيل بالنظر إلى معانيها إلى عشرة أقسام.

الأول اسم يدل على الذات وهو قولنا (الله) وقد قيل أنه اسم الله الأعظم.

الثاني أسماء تدل على الوجدانية كاسمه الواحد والحمد والوتر.

الثالث أسماء تدل على الحياة كالحي والأول والآخر.

الرابع أسماء تدل على اختراع المخلوقات وذلك أخص صفات الربوبية كالخالق والبارئ والمصور والفاطر.

الخامس: أسماء تدل على القدرة كالقدير والمنقم والقهار.

السادس: أسماء تدل على الإرادة كالمريد والفعال لما يريد والقابض والباسط.

(١) التسهيل ٥٥/٢.

السابع: أسماء تدل على الإدراك كالعليم والسميع والبصير.

الثامن: أسماء تدل على العظمة والجلال كالعظيم والكبير والعلي .

التاسع: أسماء تدل على الملك كالملك والمالك والغني.

العاشر: أسماء تدل على الرحمة كالرحمن والرحيم والتواب والوهاب.

هذا وقد ذكرت هذه الفقرة عن ابن جزري بالرغم من أنها لم ترد في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) ولكن ذكرتها تكميلاً للفائدة من جهة واستكمالاً لبيان موقف ابن جزري من أسماء الله الحسنى بصفة عامة.

### موقف ابن جزري من آيات الصفات:

لم يحصر ابن جزري صفات الباري عز وجل القائمة به في صفات المعاني السبع التي جرى المتكلمون على إثباتها للباري وتأويل ما سواها، بل أثبت هذه السبع وغيرها في تفسيره وهذه هي أدلة ذلك عند أثباته صفة التعجب لله تعالى يقول في تفسيره للآية (بل عجبنا ويسخرون) (١) بعد أن فسر الآية على قراءة الجمهور من القراء (عجبنا) بفتح التاء وقرئ (عجبنا) بضم التاء. وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجب مستحيل على الله فتأولوه بمعنى أنه جعلهم على حال يتعجب منها الناس وقيل تقديره قال يا محمد عجبنا وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله صلى الله عليه وسلم (يعجب ربك من شاب ليس له صبوة) (٢) وهو صفة فعل لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفي سببه، والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب، بل هو بمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله (٣)

(١) سورة الصافات الآية ١٢.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٤/١٥١.

(٣) التسهيل ٣/١٦٩.

وقال نحو هذا القول الذي يؤكد اعتقاده في إثبات صفة التعجب قال في مسألة إثبات صفة الحياء لله تعالى في تفسيره لقوله تعالى: {إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها} (١) يقول ابن جزري تأول قوم إن معناه لا يترك، لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله لأنه عندهم إنكسار يمنع من الوقوع في أمر. وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم ( إن الله حيي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أين يردهما صفرا) (٢) - (٣)

### مسألة الاستواء:

وعند تفسيره لقوله تعالى: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش} (٤) يقول ابن جزري استوى على العرش حيث وقع حمله على ظاهره منهم ابن أبي زيد وغيره وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله (ثم استوى إلى السماء) ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش، وتأولها الأشعرية إن معنى استوى بالملك والقدرة. والحق الإيمان به من غير تكييف، فإن السلامة في التسليم والله در مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك قال (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) (٥)

(١) سورة البقرة الآية ٢٦.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٣٨/٥ والترمذي في جامعه ٢١٧/٥.

(٣) التسهيل ٤٢/١.

(٤) سورة الأعراف الآية ٥٤.

(٥) انظر الاتقان للسيوطي ١٤/٣.

وقد روى قول مالك عن أبي حنيفة وجعفر الصادق والحسن البصري،  
ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء، بل امسكوا عنه  
ولذلك قال مالك : السؤال عنه بدعة). (١)

وهكذا نجد في تفسير ابن جزى تفصيله لصفة الوجه واليد وما جاء  
في القبضة واليمين وإثبات النظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة وأنه  
خالق أفعال العباد وغير ذلك مما لايسع المقام لذكره.

---

(١) التسهيل ٣٤/٢.

## الباب الأول

### الفصل السادس

# (أبو حيان)

(٦٥٤-٧٤٥هـ)

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول/ ترجمة أبي حيان

المبحث الثاني/ أبو حيان ومنهجه في التفسير

## المبحث الأول

### ترجمة أبي حيان الأندلسي

(٦٥٤ - ٧٤٥هـ)

**اسمه ونسبه:** محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان  
الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الحياتي (١).

**ولادته:** ولد سنة أربع وخمسين وستمئة (٦٥٤هـ) في أواخر  
شوال.

**نشأته وطلبه للعلم:** نشأ أبو حيان بقرطبة وقرأ القرآن على  
الخطيب عبد الحق بن علي أفرادا وجمعا ثم على الخطيب أبي جعفر  
بن الطباع ثم علي الحافظ أبي علي ابن أبي الأحوص ثم قدم  
الإسكندرية فقرأ القراءات على عبد النصير بن علي المريوطي  
وبمصر على أبي طاهر إسماعيل بن عبد الله المليجي خاتمة أصحاب  
أبي الجود ولازم بها الشيخ بهاء الدين ابن النحاس فسمع عليه كثيرا  
من كتب الأدب.

**شيوخه:** ومن عوالي أشياخه علي ما كتب بخطه هم:

١- أبو علي بن أبي الأحوص.

٢- محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع

٣- الوجيه بن البرهان

(١) الدرر الكامنة ٧٠/٥-٧٦ ترجمته ٤٦٩٣، الأعلام ١٥٢/٧، معجم المؤلفين ١٣٠/١٢،

شذرات الذهب ١٤٥/٦، نكتب الهميان ٢٨٠ بغية الوعاة ١٢١، فوات الوفيات ٢٨٢/٢،

فهرس الفهارس ١٠٨/١ النجوم الزاهرة ١١١/١٠، طبقات السبكي ٣١/٦، غاية النهاية

٢٨٥/٢، خزائن الكتب القديمة في العراق ١٣٥. نيل السائر في طبقات المفسرين ١٧٩-



- ٤- القطب القسطلاني.
- ٥- ابن الأنماطي.
- ٦- العز الحرائي.
- ٧- أبو محمد بن هارون .
- ٨- محمد بن عبد الله بن البن.
- ٩- ابن خطيب المزة.
- ١٠- غازي الحلوي.
- ١١- مؤنسة بنت العادل.
- ١٢- شامية بنت البكري.
- ١٣- الخطيب أبي جعفر بن الطباع.
- ١٤- عبد النصير بن علي المويوطي.
- ١٥- أبي طاهر إسماعيل بن عبد الله المليجي.
- ١٦- بهاء الدين بن النحاس.
- ١٧- عبد الوهاب بن الفرات.
- ١٨- عبد الله بن أحمد بن فارس.

قال وعدة من أخذت عنه أربعمائة وخمسون شخصا وأما من أجزني فكثير جدا.

**تلامذته:** بلغ أبو حيان منزلة عظيمة في العلوم والفنون والتصانيف فاقبل عليه طلاب العلم يتلمذون على يديه ليس هذا فحسب بل قرأ عليه الأئمة الكبار ومن الذين أخذوا عنه العلم.

١- عبد الرحيم بن الحسن الأموي الأسنوي (١) ت ٧٧٢هـ.

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٢/٤٦٣.

- ٢- خليل بن عبد الله صلاح الدين الصفدي (١) ت ٧٦٤هـ.
- ٣- عبد العزيز بن محمد بن جماعة (٢)
- ٤- علي بن تقي الدين السبكي (٣)
- ٥- علي بن عيسى الزواوي (٤) ت ٧٦٩هـ.
- ٦- علي بن محمد بن عبد العزيز الثعلبي الشافعي (٥)
- ٧- محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي (٦)
- ٨- محمد بن أرغون ناصر الدين (٧).
- ٩- محمد بن أحمد الدمشقي شمس الدين اللبان (٨)
- ١٠- عبد الرحمن بن عمر الربيعي الخلال (٩) ت ٧٣٩هـ.
- ١١- عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله المقدسي (١٠)

**تصانيفه ومؤلفاته:** كان لأبي حيان اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم وخصوصا المغاربة وله التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت في حياته وأقرأ الناس قديما وحديثا حتى الحق الصغار والكبار وصارت تلامذته أئمة

(١) نفس المصدر ١٧٦/٢.

(٢) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٤٨٩/٢.

(٣) نفس المصدر ١٣٤/٣.

(٤) نفس المصدر ١٦٦/٣.

(٥) نفس المصدر ١٨١/٣.

(٦) نفس المصدر ٢٨٦/٣.

(٧) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٤٦٩/٣.

(٨) نفس المصدر ٤٣٠/٣.

(٩) نفس المصدر ٤٤٦/٢-٤٤٧.

(١٠) نفس المصدر ٤٣٠/٢.

وأشياخا في حياته أما شعره فكثير بحيث يوصف بالإجادة وضدها  
ومن مصنفاته:

- ١- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم.
- ٢- اتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب.
- ٣- الأسفار الملخص من كتاب الصغار.
- ٤- شرح التسهيل.
- ٥- التذکر.
- ٦- الموفور.
- ٧- التذکیر.
- ٨- المبدع.
- ٩- التقريب.
- ١٠- التدريب.
- ١١- غاية الإحسان.
- ١٢- النکتب الحسان.
- ١٣- الشذا في مسألة كذا.
- ١٤- اللمحة.
- ١٥- الشذرة.
- ١٦- الارتضاء.
- ١٧- عقد اللالي.
- ١٨- نکت الأملی.
- ١٩- النافع.
- ٢٠- المورد.
- ٢١- غاية المطلوب.

- ٢٢- الوهاج في اختصار المنهاج.  
 ٢٣- القبر الجلي.  
 ٢٤- الأنور الأجلى في اختصار المحلى.  
 ٢٥- الحلل الحالية.  
 ٢٦- الإعلام بأركان الإسلام.  
 ٢٧- نثر الزهر في نظم الزهر.  
 ٢٨- القطر الحبي.  
 ٢٩- الفهرست.  
 ٣٠- نوافث السحر.  
 ٣١- تحفة القوس في نحاة الأندلس.  
 ٣٢- الأبيات الوافية في القافية.  
 ٣٣- الادراك للسان الأترك.  
 ٣٤- زهو الملك في نحو الترك.  
 ٣٥- الأفعال في لسان الترك.  
 ٣٦- منطق الخرس بلسان الفرس.  
 ٣٧- نور الغبش في لسان الحبش.  
 ٣٨- المحبور في لسان الجمهور.  
 ٣٩- مسلك الرشيد.  
 ٤٠- منهج السالك.  
 ٤١- نهاية الأعراب.  
 ٤٢- خلاصة التبيان.
- وبعضها لم يكمل. ومن شعره:

إن الدراهم والنساء كلاهما  
ينزعن ذا اللب المتين عن التقى  
لا تأمنن عليهما إنسانا  
فيرى إساءة فعله إحسانا.  
وله:

راضي حبيبي عارضي قد بدا  
وظن قوم أن قلبي سـلا  
يا حسنة من عارض رائض  
والأصل لا يعتمد بالعارض  
وله القصيدة المطولة التي مدح بها الشافعي أولها:

هو العلم لا كالعلم شيء يراوده  
لقد فاز باغية وانجح قاصده

ونظم قصيدة على وزن الشاطبية في القراءات بغير رموز وهي  
أخصر وأكثر فوائد ولكن ما رزقت حظ الشاطبية.

### مكانته العلمية وأخلاقه:

قال الصفدي لم أراه قط إلا يسمع أو يشغل أن يكتب أو ينظر في كتاب  
ولم أراه على غير ذلك وكان له إقبال على أذكىاء الطلبة يعظمهم وينوه  
بقدرهم وكان كثير النظم من الأشعار والموشحات وكان ثبًا فيما ينقله  
عارفاً باللغة أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما خدم هذا  
الفن أكثر عمره حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الأرض فيهما  
غيره. وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك رغبهم فيها  
وشرح لهم غامضها.

قال الكمال جعفر في ترجمته شيخ الدهر وعالمه ومحبي الفن الأدبي  
بعد ما درست معالمه ومجري اللسان العربي فلا يقاربه أحد فيه ولا  
يقاومه وذكر أنه لازمه من سنة ثمانى عشرة إلى أن مات وذكر جملة  
كثيرة من شيوخه. وأنه بحث في المحرر للرافعي على العلم العراقي  
وحفظ المنهاج واختصره واختصر المحلى لابن حزم وذكر تصانيفه.

وكان كثير الخشوع يبكي عند قراءة القرآن وعند الأبيات الغزلية. وكان ظاهري المذهب فلما قدم القاهرة ورأى مذهب الظاهر مهجورا فيها تمذهب للشافعي وقرأ على العلم العراقي في المحرر وفي المنهاج ثم درس المنهاج فحفظه إلا يسيرا منه. وكان عريا من الفلسفة بريئا من الاعتزال والتجسيم متمسكا بطريقة السلف وكان يعظم ابن تيمية ومدحه بقصدية ثم انحرف عنه وذكره في تفسيره الصغير بكل سوء ونسبه إلى التجسيم فقليل إن سبب ذلك أنه بحث معه في العربية فأساء ابن تيمية على سيبويه فساء ذلك أباحيان وانحرف عنه، وقيل بل وقف له على كتاب العرش فاعتقد أنه مجسم. وأكثر من سماع الحديث حتى بلغت عدة شيوخه أربعمائة وأجاز له جمع جم وقد جمعهم في كتاب (البيان في شيوخ أبي حيان) فبلغوا الفا وخمسةائة، وتصانيفه تزيد على الخمسين. قال الذهبي في المعجم المختص أبو حيان ذو فنون حجة العرب وعالم الديار المصرية. وقال الأسنوي كان إمام زمانه في علم النحو إماما في اللغة عارفا بالقراءات والحديث شاعرا مجيدا صادق اللهجة كثير الاتقان والاستحضار شافعيًا لكنه يميل إلى الظاهر ويصرح به أحيانا وتولى تدريس التفسير بالمنصورية وكذلك بالجمع الطولوني ثم أضيف إليه مشيخة الحديث بها أيضا وهو من كبار علماء التفسير في عصره فباشر هذه الوظائف كلها حتى مات، و أمضى أكثر عمره على الأقرء والتصنيف.

**وفاته:**

توفي أبو حيان رحمه الله تعالى رحمة واسعة في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة (٧٤٥هـ) وكان قد أضر قبل موته بقليل. وصلى عليه بجامع دمشق صلاة الغائب وقد دفن في مقبرة الصوفية.

## المبحث الثاني

### أبو حيان ومنهجه في التفسير

يعتبر تفسير أبو حيان المسمى (البحر المحيط) هو المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لإلفاظ القرآن الكريم، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز. والمؤلف إذ يتكلم عن هذه الناحية فهو أهل لذلك غير أنه قد أكثر من مسائل النحو في كتابه، مع توسعة في مسائل الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير.

هذا وإن أباحيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحي التي لها اتصال بالتفسير، فنراه يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات، وذكر أسباب النزول، والناسخ والمسنوخ، والقراءات الواردة مع توجيهها، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن، ولا يهمل الأحكام الفقهية عند ما يمر بآيات الأحكام، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك، كل هذا على طريقة وضعها لنفسه، ومشى عليها في كتابه، ونبهنا عليها في مقدمته، وذلك حيث يقول:

( وترتيبى في هذا الكتاب أنى أبتدى أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكوت في ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ثم اشرع في تفسير الآية



ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها متكلما على جليها وخفيها بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها مبديا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان مجتهدا أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق ولا في جملة تقدم الكلام عليها ولا في أية فسرت بل أنكر في كثير منها الحوالة على المواضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية. وأن عرض تكرير فبمزيد فائدة ناقلا أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني مجملا على الدلائل التي في كتب الفقه وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريبا أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس، بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظهر اللفظ مرجحا لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه منكبا في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة. ثم اختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها ممن علم البيان والبديع ملخصا ثم اتبع آخر الآيات بكلام منشور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما اختاره من تلك المعاني ملخصا جملها في أحسن تخليص وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير وصار ذلك

أ نموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن. وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء تعالى وربما الممت بشي من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمداول اللفظ وتجنب كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرصين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذين افتروه على الله وعلى علي كرم الله وجهه وعلى نريته ويسمونه علم التأويل وقد وقفت على تفسير لبعض رؤسهم وهو تفسير عجيب يذكر فيه أقاويل السلف مزدرياً عليهم وذاكراً أنه ما جهل مقالاتهم ثم يفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل ويزعم أن ذلك هو المراد من هذه الآية وهذه الطائفة لا يلتفت إليها وقد رد أئمة المسلمين عليهم أقاويلهم وذلك مقرر في علم أصول الدين (١) ويشير أبو حيان في تفسيره إلى ما قاله القشيري في قوله تعالى {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه} (٢) يقول فيه إشارة إلى الظلم من خرب أوطان المعرفة بالمنى والعلاقات وهي قلوب العارفين وأوطان العبادة بالشهوات وهي نفوس العباد وأوطان المحبة بالخطوط والمسكنات وهي ارواح الواجدين وأوطان المشاهدات بالانتفات إلى القربات وهي أسرار الموحدين. لهم في الدنيا خزي ذل الحجاب وفي الآخرة عذاب لا قناعهم بالدرجات انتهى قول القشيري وبعضه ملخص وهذا التفسير عجيب ينبو عنه لفظ القرآن وكذا أكثر ما يقوله هؤلاء

القوم (٣)

(١) انظر البحر المحيط ١ / ٤-٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١١٤.

(٣) البحر المحيط ١ / ٣٦٠.

هذا وإن أبا حيان رحمه الله تعالى كان ظاهري المذهب، ثم رجع عنه وتبع الشافعي على مذهبه، وكان عريا في الفلسفة، بريئا من الاعتزال والتجسيم، متمسكا بطريقة السلف. وكان ينقل في تفسيره كثيرا من تفسير الزمخشري، و تفسير ابن عطية، خصوصا ما كان من مسائل النحو ووجوه الإعراب كما أنه يتعقبها كثيرا بالرد والتفنيد قالاه في مسائل النحو على الخصوص، ولكثرة هذا التعقيب منه على كلام الزمخشري وابن عطية تجد تلميذه تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم المتوفى سنة ٧٤٩هـ يختصر هذا التفسير في كتاب سماه ( الدر اللقيط من البحر المحيط) يكاد يقتصر فيه على مباحثه مع ابن عطية والزمخشري ورده عليهما(١) وهذا المختصر مطبوع على هامش تفسيره البحر المحيط.

### اعتراضاته على الزمخشري:

كذلك نجد الشيخ يحيى الشاوي المغربي يفرد مؤلفا عنوانه (بين أبي حيان والزمخشري) يجمع فيه اعتراضات أبي حيان على الزمخشري وهو مخطوط في مجلد كبير بالمكتبة الأزهرية.

وكثيرا ما يحمل أبو حيان على الزمخشري حملات ساخرة قاسية من أجل آرائه الاعتزالية. فمثلا نرى تعليقه عليه عند تفسيره لقوله تعالى {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}(٢) بعد أن يسرد تفسيره للآية الكريمة يقول قال الزمخشري وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم العدل والتوحيد ولا ينفرك عنه كثر أعدائه فإن العرانيين تلقاها محسدة انتهى كلامه وأهل العدل والتوحيدي الذين أشار إليهم هم

(١) انظر كشف الظنون ١٤٥/٢.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

المعتزلة سموا أنفسهم بذلك. وهذا الزمخشري لغوه في محبة مذهبه يكاد إن يدخله في كل ما يتكلم به وإن لم يكن مكانه ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أنه فضل بعض الأنبياء على بعض وأن منهم من كلمه وفسر بموسى عليه السلام وأنه رفع بعضهم درجات وفسر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونص على عيسى عليه السلام وتفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التابع وكانت اليهود والنصارى قد أحدثوا بعد نبيهم بدعا في أديانهم وعقائدهم ونسبوا الله تعالى إلى ما لا يجوز عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة فكان منهم العرب وكانوا قد اتخذوا من دون الله آلهة وأشركوا فصار جميع الناس المبعوث إليهم صلى الله عليه وسلم على غير استقامة في شرائعهم وعقائدهم وذكر تعالى أن الكافرين هم الظالمون وهم الواضعون الشرع غير مواضعه أتى بهذه الآية العظيمة الدالة على إفراد الله بالوحدانية والمتضمنة صفاته العلاء من الحياة والاستبداد بالملك واستحالة كونه محلا للحوادث وملكه لما في السموات والأرض وامتناع الشفاعة عنده إلا بإذنه وسعة علمه وعدم إحاطة أحد بشيء من علمه إلا بارادته وباهر ما خلق من الكرسي العظيم الاتساع ووصفه بالمبالغة في العلو والعظمة إلى سائر ما تضمنته من أسمائه الحسنی وصفاته العلاء نبههم بها على العقيدة الصحيحة التي هي محض التوحيد وعلى طرح ما سواها (١)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: { قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وأنا لصادقون } (٢) يقول أبوحيان بعد

(١) انظر البحر المحيط ٢/٢٧٦-٢٧٧.

(٢) سورة النمل الآية ٤٩.

تفسيره للآية وقال الزمخشري فإن قلت كيف يكونون صادقون وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخير على خلاف المخير عنه قلت كأنهم اعتقدوا إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين فإنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهييه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يروا لأنفسهم أن يكونوا كاذبين حتى سؤوا الصدق في أنفسهم حيلة يتصفون بها عن الكذب انتهى والعجب من هذا الرجل كيف يتحيل هذه الحيل من جعل أخبارهم وأنا لصادقون أخبارا بالصدق وهو يعلم أنهم كذبوا صالحا وعقروا الناقة التي كانت من أعظم الآيات وأقدموا على قتل نبي وأهله ولا يجوز عليهم الكذب وهو يتلو في كتاب الله كذبهم على أنبيائهم ونص الله ذلك وكذبهم على من لا تخفى عليه خافية يوم تبلى السرائر وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقول الله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم وإنما هذا منه تحريف لكلام الله تعالى حتى ينصر مذهبه في قوله إن الكذب قبيح عند الكفرة ويتحيل لهم هذا التحيل حتى يجعلهم صادقين في أخبارهم وهذا الرجل وإن كان أوتي من علم القرآن أوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة وكنت قريبا من تسطير هذه الأحرف قد نظمت قصيدا في شغل الإنسان نفسه بكتاب الله واستطردت إلى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيئا من محاسنه ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه ورأيت إثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا ويتنبه على ما تضمنه من القبائح فقلت بعد ذكر ما مدحته به.

ولكنه فيه مجال لناقــــــــــــــــــــد  
 فيثبت موضوع الأحاديث جاهلا  
 ويشتم أعلام الأئمة ضلة  
 ويسهب في المعنى الوجيز دلالة  
 يقول فيها الله ما ليس قائلها  
 ويخطئ في تركيبه لكلامه  
 وينسب أبداء المعاني لنفسه  
 ويخطيء في فهم القرآن لأنه  
 وكم بين من يؤتى البيان سليقة  
 ويحتال للألفاظ حتى يديرها  
 فيا خسره شيئا تخرق صيته  
 لئن لم تداركه من الله رحمة

وزلات سوء قد أخذن المخانقا  
 ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا  
 ولا سيما أن أولجوه المضائقا  
 بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا  
 وكان محبا في الخطابة وامقا  
 فليس لما قد ركبوه موافقا  
 ليوهم أغمارا وأن كان سارقا  
 يجوز إعرابا أبى أن يطابقا  
 وآخر عاناه فما هو لاحقا  
 لمذهب سوء فيه أصبح مارقا  
 مغارب تخريق الصبا ومشاركا  
 لسوف يرى للكافرين مرافقا(١)

وأحسب أن القارئ لا يفوته أن يدرك ما في الوصف من قسوة على  
 الزمخشري، وما فيه من اتهامه بقله بضاعته في البيان والعربية، مع  
 أنه سلطان هذه الطريقة في التفسير غير مدافع.

هذا وإن أباحيان يعتمد في أكثر نقول كتابه هذا كما يقول على كتاب  
 (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير) من جمع شيوخه، الصالح،  
 القدوة، الأديب، جمال الدين أبي عبد الله، محمد بن سليمان بن حسن  
 بن حسين المقدسي، المعروف بابن النقيب رحمه الله.

إذ هو أكبر كتاب صنف في علم التفسير، يبلغ في العدد مائة سفر أو  
 يكاد ورغم اعتماد أبو حيان على هذا التفسير إلا أننا نجد يصفه

(١) البحر المحيط ٧/٨٤ - ٨٥.

بكثره التكرير وقلة التحرير، كما تجده لا يرضى عما أولع به مؤلفه من كثرة النقول عن غلاة الصوفية فيضرب عنه صفحا، ولنرجع إلى ما قاله: (ولسهل التستري كلام في المشرقين والمغربيين شبيهه بكلام الباطنية المحرفين مدلول كلام الله ضربنا عن ذكره صفحا وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين ينسبون للصوفية لأننا لا نستحل نقل شيء منه وقد أولغ صاحب كتاب التحرير والتحبير بحسب ما قاله هؤلاء الغلاة في كل آية آية ويسمى ذلك الحقائق وأرباب القلوب وما ادعوا فهمه في القرآن فاغلوا فيه لم يفهمه عربي قط ولا إرادة الله تعالى بتلك الألفاظ نعوذ بالله من ذلك) (١)

### عنايته بالنحو والإعراب:

ونهاية القول، فإن أبا حيان قد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها وبرع وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير وإليك نماذج من تفسيره:

(بسم الله الرحمن الرحيم) ياء الجر تأتي لمعان للالصاق والاستعانة والقسم والسبب والحال والظرفية والنقل. والالصاق حقيقة مسحت برأسي ومجازا مررت مررت بزيد والاستعانة ذبحت بالسكين والسبب فبظلم من الذين هادوا حرمنا والقسم بالله لقد قام، والحال جاء زيد بثيابه والظرفية زيد بالبصرة والنقل قمت بزيد وتأتي زائدة للتوكيد شربن بماء البحر والبدل فليت لي بهم قوما أي بدلهم والمقابلة اشتريت الفرس بالف والمجازة تشقق السماء بالغمام أي عن الغمام والاستعلاء من أن تأمنه بقنطار وكنى بعضهم عن الحال بالمصاحبه وزاد فيها كونها للتعليل وكنى عن الاستعانة بالسبب وعن الحال

(١) البحر المحيط ١٩١/٨.

بمعنى مع بموافقة معنى اللام. ويقال اسم بكسر همزة الوصل وضمها  
وسم بكسر السين وضمها وسمى كهدي والبصري يقول مادته سين  
وميم وواو والكوفي يقول واو وسين وميم والأرجح الأول والاستدلال  
في كتب النحو أل للعهد في شخص أو جنس وللحضور وللمح الصفة  
وللغلبة وموصولة فللعهد في شخص جاء الغلام وفي جنس اسقني  
الماء وللحضور خرجت فإذا الأسد وللمح الحارث وللغلبة الدبران  
وزائدة لازمة وغير لازمة فاللازمة كالآن وغير اللازمة باعدام  
العمر من أسيرها وهل هي مركبة من حرفين أم هي حرف واحد وإذا  
كانت من حرفين فهل الهمزة زائدة أم لا مذاهب. والله علم لا يطلق  
إلا على المعبود بحق مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وقيل مشتق  
ومادته قيل لام وياء وهاء من لاه يليه ارتفع قيل ولذلك سميت الشمس  
الاهة بكسر الهمزة وفتحها وقيل لام وواو وهاء من لاه يلوها  
احتجب أو استتار ووزنه إذ ذاك فعل أو فعل وقيل الالف زائدة ومادته  
همزة ولام من أله أي فزع قاله ابن إسحاق أو إله تحير قاله أبو عمر  
واله عبد قاله النضر أو إله سكن قال المبرد وعلى هذه الأقاويل  
فحذفت الهمزة اعتبارا كما قيل في ناس أصله أناس أو حذفت للنقل  
ولزم مع الإدغام وكلا القولين شاذ وقيل مادته واو ولام وهاء من وله  
أي طرب وابدلت الهمزة فيه من الواو نحو أشاح قاله الخليل والقناد  
وهو ضعيف للزوم البدل وقولهم في الجمع آلهة وتكون فعلا بمعنى  
مفعول كالكتاب يراد به المكتوب وأل في الله إذا قلنا أصله الآلاه قالوا  
للغلبة إذ الإله ينطلق على المعبود بحق وباطل والله لا ينطلق إلا على  
المعبود بالحق فصار كالنجم للثريا. وأورد عليه بأنه ليس كالنجم لأنه  
بعد الحذف والنقل أو الإدغام لم يطلق على كل آله ثم غلب على



المعبود بحق ووزنه على أن أصله فعال فحذفت همزته عال وإذا قلنا بالأقويل السابقة فال فيه زائدة لازمة وشذ حذفها في قولهم لاه أبوك شذوذ حذف الالف في أقبل سيل أقبل جاء من عند الله وزعم بعضهم أن أل في الله من نفس الكلمة ووصلت الهمزة لكثرة الاستعمال وهو اختيار أبي بكر بن العربي والسهيلي وهو خطأ لأن وزنه إذ ذاك يكون فعالا وامتناع تنوينه لا موجب له فدل على أن أل حرف داخل على الكلمة سقط لأجلها التنوين وينفرد هذا الاسم بأحكام ذكرت في علم النحو ومن غريب ما قيل أن أصله لاها بالسريانية معرب.

قال أبو يزيد البلخي هو أعجمي فإن اليهود والنصارى يقولون لاها وأخذت العرب هذه اللفظة وغيرها فقالوا (الله) . ومن غريب ما قيل في الله أنه صفة وليس اسم ذات لأن اسم الذات يعرف به المسمى والله تعالى لا يدرك حسا ولا بديهة ولا تعرف ذاته باسمه بل إنما يعرف بصفاته فجعله اسما للذات لا فائدة في ذلك وكان العلم قائما مقام الإشارة وهي ممتعة في حق الله تعالى وحذفت الالف الأخيرة من الله لئلا يشك بخط اللاه اسم الفاعل من لها يلهو وقيل طرحت تخفيفا وقيل هي لغة فاستعملت في الخط. (الرحمن) فعلان من الرحمة وأصل بنائه من اللازم من المبالغة وشذ من المتعدي وال فيه للغلبة كهي في الصعق فهو وصف لم يستعمل في غير الله كما لم يستعمل اسمه في غيره وسمعنا مناقبه قالوا رحمن الدنيا والآخرة ووصف غير الله به من تعنت الملحدون وإذا قلت الله رحمن ففي صرفه قولان ليسند أحدهما إلى أصل عام وهو أن أصل الاسم الصرف والآخر إلى أصل خاص وهو أن أصل فعلان المنع لغلبته فيه. ومن غريب ما قيل فيه إنه أعجمي بالخاء المعجمة مقرب بالخاء قاله ثعلب.

(الرحيم) فاعيل محول من فاعل للمبالغة وهو أحد الأمثلة الخمسة وهي فعال وفعول ومفعال وفعيل وفعل وزاد بعضهم فعيلًا فيها نحو سكير ولها باب معقود في النحو قيل وجاء رحيم بمعنى مرحوم. قال علي وابن عباس وعلي بن الحسين وقتادة وأبو العالية وعطاء وابن جبير ومحمد بن يحيى بن حبان وجعفر الصادق الفاتحة مكية ويؤيده ولقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والحجر مكية بإجماع وفي حديث أبي أنها السبع المثاني والسبع الطوال أنزلت بعد الحجر بمدد ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ أنه كانت في الإسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين. وقال أبو هريرة وعطاء ابن يسار ومجاهد وسواد بن زياد والزهري وعبد الله بن عبيد بن عمير هي مدنية وقيل إنها مكية مدنية. الباء في بسم الله للاستعانة نحو كتبت بالقلم وموضعها نصب أي بدأت وهو قول الكوفيين وكذا كل فاعل بدئ في فعله بالتسمية كان مضمرا إلا بدأ وقدره الزمخشري فعلا غير بدأت وجعله متأخرا قال تقديره بسم الله اقرأ أو اتلوا إذ الذي يجيء بعد التسمية مقروء والتقديم على العامل عنده يوجب الاختصاص وليس كما زعم قال سيبويه وقد تكلم على ضربت زيدا ما نصه وإذا قدمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك يعني تأخيره عربيا جيدا وذلك قولك زيدا ضربت والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء مثله في ضرب زيد عمر أو ضرب زيدا عمر وانتهى وقيل موضع اسم رفع التقدير ابتدائي ثابت أو مستقر باسم الله وهو قول البصريين وأي التقديرين أرجح يرجح الأول لأن الأصل في العمل للفعل أو الثاني لبقاء أحد جزأي الإسناد. والاسم هو اللفظ الدال بالوضع على موجود في العيان إن كان محسوسا وفي الأذهان إن كان

معقولا من غير تعرض بينيته للزمان ومدلوله هو المسمى ولذلك قال  
سيبويه فالكل اسم وفعل وحرف والتسمية جعل ذلك اللفظ دليلا على  
ذلك المعنى فقد اتضحت المباينة بين الاسم والمسمى والتسمية فإذا  
أسندت حكما إلى اسم فتارة يكون إسناده إليه حقيقة نحو زيد اسم ابنك  
وتارة لا يصح الإسناد إليه إلا مجازا وهو أن تطلق الاسم وتريد به  
مدلوله وهو المسمى نحو قوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك  
وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها انتم وآباءكم والعجب من  
اختلاف الناس هل الاسم هو عين المسمى أو غيره وقد صنف في ذلك  
الغزالي وابن السيد والسهيلي وغيرهم. وذكروا احتجاج كل من  
القولين وأطالوا في ذلك وقد تأول السهيلي رحمه الله قوله تعالى سبح  
اسم ربك بأنه أقحم الاسم تنبيها على أن المعنى سبح ربك واذكر ربك  
بقلبك ولسانك حتى لا يخلو الذكر والتسبيح من اللفظ باللسان لأن  
الذكر بالقلب متعلقة المسمى المدلول عليه بالاسم والذكر باللسان  
متعلقة اللفظ وقوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء فإنها أسماء  
كاذبة غير واقعة على حقيقة فكأنهم لم يعبدوا إلا الأسماء التي  
اخترعوها وهذا من المجاز البديع وحذفت الالف من بسم هنا في الخط  
تخفيفا لكثرة الاستعمال فلو كتبت باسم القاهر أو باسم القادر. فقال  
الكسائي والأخفش تحذف الالف. وقال الفراء لا تحذف إلا مع بسم الله  
الرحمن الرحيم لأن الاستعمال إنما كثر فيه فإما في غيره من أسماء  
الله تعالى فلا خلاف في ثبوت الالف. والرحمن صفة الله عند الجماعة  
وذهب الأعلام وغيره إلى أنه بدل وزعم أن الرحمن علم وأن كان  
مشتقا من الرحمة لكنه ليس بمنزلة الرحيم ولا الراحم بل هو مثل  
الدبران وإن كان مشتقا من دبر صيغ للعلمية فجاء على بناء لا يكون

في النعوت قال ويدل على علميته ووروده غير تابع لاسم قبله قال تعالى الرحمن على العرش استوى، الرحمن علم القرآن، وإذا ثبتت العلمية امتنع النعت فتعين البدل. قال أبو زيد السهيلي البدل فيه عندي ممتنع وكذلك عطف البيان لأن الاسم الأول لا يفتقر إلى تبين لأنه أعرف الإعلام كلها وابينها ألا تراهم قالوا وما الرحمن ولم يقولوا وما الله فهو وصف يراد به الثناء وإن كان يجري مجرى الإعلام، الرحمن الرحيم قيل دلالتهما واحد نحو ندمان ونديم. وقيل معناهما مختلف فالرحمن أكثر مبالغة، وكان القياس الترقى كما تقول عالم نحري وشجاع باسل لكن أردف الرحمن الذي يتناول جلائل النعم وأصولها بالرحيم ليكون كالتتمة والرديف ليتناول مادي منها ولطف واختاره الزمخشري. وقيل الرحيم أكثر مبالغة والذي يظهر أن جهة المبالغة مختلفة فلذلك جمع بينهما فلا يكون من باب التوكيد فمبالغة فعلان مثل غضبان وسكران من حيث الإمتلاء والغلبة ومبالغة فعيل من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة ولذلك لا يتعدى فعلان ويتعدى فعيل تقول زيد رحيم المساكين كما تعدى فاعلا قالوا زيد حفيظ علمك وعلم غيرك حكاه ابن سيده عن العرب ومن رأى أنها بمعنى واحد ولم يذهب إلى توكيد أحدهما بالآخر احتاج أنه يخص كل واحد بشيء وإن كان أصل الموضوع عنده واحدا ليخرج بذلك عن التأكيد فقال مجاهد رحمن الدنيا ورحيم الآخرة. وروى ابن مسعود وابن سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة وإذا صح هذا التفسير وجب المصير إليه وقال القرطبي رحمن الآخرة ورحيم الدنيا وقال الضحاك لأهل السماء والأرض وقال عكرمة رحمة واحدة وبمائة رحمة وقال المزني بنعمة الدنيا

والدين وقال العزيزي الرحمن بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس  
والنعم العامة الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللفظ بهم وقال  
المحاسبي برحمة والنفوس ورحمة القلوب وقال يحيى بن معاذ  
لمصالح المعاد والمعاش وقال الصادق خاص اللفظ بصيغة عامة في  
الرزق وعام اللفظ بصيغة خاصة في مغفرة المؤمن وقال ثعلب  
الرحمن أمدح والرحيم الطف وقيل الرحمن المنعم بما لا يتصور  
جنسه من العباد والرحيم المنعم بما يتصور جنسه من العباد وقال  
أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به  
الله والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين كما قال تعالى وكان بالمؤمنين  
رحيماً. ووصف الله تعالى بالرحمة مجاز عن إنعامه على عباده ألا  
ترى أن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم إحسانه فتكون  
الرحمة إذا ذاك صفة فعل. وقال قوم هي ارادة الخير لمن أراد الله  
تعالى به ذلك فتكون على هذا صفة ذات وينبغي عل هذا الخلاف  
خلاف آخر وهو أن صفات الله تعالى الذاتية والفعلية أهي قديمة أم  
صفات الذات قديمة وصفات الفعل محدثة قولان. وأما الرحمة التي  
من العباد فقيل هي رقة تحدث في القلب وقيل هي قصد الخير أو دفع  
الشر لأن الإنسان قد يدفع الشر عن لا يرق عليه ويوصل الخير إلى  
من لا يرق عليه (١) ونترك التعليق للقارئ ليلاحظ شدة اعتناؤه  
بالنحو والإعراب وإسهابه المفرط في ذلك.

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة  
والنبيين أرباباً} (٢) قرأ الحرميان والنحويان والأعشى والبرجمي برفع

(١) انظر البحر المحيط ١/١٤ - ١٧.

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٠.

الراء على القطع ويختلس أبو عمرو الحركة على أصله والفاعل ضمير مستكن في يأمر عائذ على الله قال سيبويه والزجاج وقال ابن جريج عائذ على بشر الموصوف بما سبق وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى على هذه القراءة أنه لا يقع من بشر موصوف بما وصف به أن يجعل نفسه ربا فيعبد ولا هو أيضا يأمر باتخاذ غيره من ملائكة وأنبياء أربابا فاتنفي أن يدعو لنفسه ولغيره وإن كان الضمير عائذا على الله فيكون اخبار من الله أنه لم يأمر بذلك فانتنفى أمر الله بذلك وأمر أنبيائه وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة ولا يأمركم بنصب الراء وخرجه أبو علي وغيره على أن يكون المعنى دلالة أن يأمركم فقدروا أن مضمرة بعد لا وتكون لا مؤكدة معنى النفي السابق كما تقول ما كان من زيد اتيان ولا قيام وأنت تريد انتفاء كل واحد منهما عن زيد فلا للتوكيد في النفي السابق وصار المعنى ما كان من زيد اتيان ولا منه قيام. وقال الطبري قوله ولا يأمركم بالنصب معطوف على قوله ثم يقول. قال ابن عطية وهذا خطأ ولا يلتزم به المعنى انتهى كلامه ولم يبين جهة الخطأ ولا عدم التتمام المعنى به ووجه الخطأ أنه إذا كان معطوفا على ثم يقول وكانت لا لتأسيس النفي فلا يمكن إلا أن يقدر العامل قبل لا وهو أن فينسبك من أن والفعل المنفي مصدر منتف فيصير المعنى ما كان لبشر موصوف بما وصف به انتفاء امره باتخاذ الملائكة والنبیین أربابا وإذا لم يكن له الانتفاء كان له الثبوت فصار أمرا باتخاذهم أربابا وهو خطأ فإذا جعلت لا لتأكيد النفي السابق كان النفي منسحبا على المصدرين المقدر ثبوتهما فينتفي قوله كونوا عبادا لي وأمره باتخاذ الملائكة والنبیین أربابا ويوضح هذا المعنى وضع غير موضع لا فإذا قلت ما لزيد فقه

ولا نحو كانت لا لتأكيد النفي وانتفى عنه الوصفان ولعو جعلت لا لتأسيس النفي كانت بمعنى غير فيصير المعنى انتفاء الفقه عنه وثبوت النحو له إذ لو قلت ما لزيد فقه وغير نحو كان في ذلك إثبات النحو له كأنك قلت ماله غير نحو ألا ترى إنك إذا قلت جئت بلا زاد كان المعنى جئت بغير زاد وإذا قلت ما جئت بغير زاد معناه أنك جئت بزاد لأن لاهنا لتأسيس النفي فإطلاق ابن عطية الخطأ وعدم القيام المعنى إنما يكون على أحد التقديرين من لا وهي أن يكون لتأسيس النفي وأن يكون من عطف المنفي بلا على المثبت الداخل عليه النفي نحو ما أريد أن تجهل وأن لا تتعلم تريد ما أريد أن لا تتعلم وأجاز الزمخشري أن تكون لا لتأسيس النفي فذكر أولاً كونها زائدة لتأكيد معنى النفى<sup>٢</sup> ثم قال والثاني أن يجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزيز والمسيح فلما قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء قال والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم انتهى كلام الزمخشري (١)

واكتفى بهذا القدر من الأمثلة مشيراً على أن هذه الآيات لا على سبيل الحصر بل الأمثلة كثيرة ومتعددة لا يتسع المقام لذكرها ونستطيع أن نقول عند تفسيره لكل آية إنما هي مثال واضح يشير على عنايته بالنحو الإعراب.

(١) انظر البحر المحيط ٥٠٧/٢.

## إشارته إلى النواحي البلاغية في القرآن:

يقول أبوحيان في البحر المحيط (وفي البسمة من ضروب البلاغة نوعان أحدهما الحذف وهو ما يتعلق به الباء في بسم وقد مر ذكره والحذف قيل لتخفيف اللفظ كقولهم بالرفاء والبنين باليمن والبركة فقلت إلى الطعام وقوله تعالى في تسع آيات أي أعرست وهلموا واذهب قال أبو القاسم السهيلي وليس كما زعموا إذا لو كان كذلك كان إظهاره وإضماره في كل ما يحذف تخفيفاً ولكن في حذفه فائدة وذلك أنه موطن ينبغي أن لا يقدم فيه سوى ذكر الله تعالى فلو ذكر الفعل وهو لا يستغن عن فاعله لم يكن ذكر الله مقديماً وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى كما تقول في الصلاة الله أكبر ومعناه من كل شيء ولكن يحذف ليكون اللفظ في اللسان مطابقاً لمقصود القلب وهو أن لا يكون في القلب ذكر إلا الله عز وجل ومن الحذف أيضاً حذف الألف في بسم الله وفي الرحمن في الخط وذلك لكثرة الاستعمال. (النوع الثاني) التكرار في الوصف ويكون إما لتعظيم الموصوف أو للتأكيد ليتقرر في النفس قد تعرض المفسرون في كتبهم لحكم التسمية في الصلاة وذكروا اختلاف العلماء في ذلك وأطالوا التفاريع في ذلك وكذلك فعلوا في غير ما أية وموضوع هذا كتب الفقه وكذلك تكلم بعضهم على التعوذ وعلى حكمه وليس من القرآن بإجماع ونحن في كتابنا هذا لا نتعرض لحكم شرعي إلا إذا كان لفظ القرآن يدل على ذلك الحكم أو يمكن استنباطه منه بوجه من وجوه الاستنباطات.

واختلف في وصل الرحيم بالحمد فقرأ قوم من الكوفيين بسكون الميم ويقفون عليها ويبتدئون بهمزة مقطوعة والجمهور على جر الميم ووصل الألف من الحمد وحكى الكسائي عن بعض العرب أنه يقرأ



الرحيم الحمد بفتح الميم وصللة الألف كأنك سكنت الميم وقطعت الالف  
ثم القيت حركتها على الميم وحذفت ولم تر وهذه قراءة عن أحد). (١)  
**موقفه من القراءات:**

يتطرق أبو حيان إلى القراءات بصورة مفصلة وحتى يتناول الشاذة  
منها ولكنه قد يعرض على بعض منها ويتجاوزها فقد تتبعت أثره في  
التفسير لبعض الآيات فوجدته لم يذكر من شأن القراءات شيئاً ولكنها  
على نسبة قليلة جداً قياساً إلى ما ذكره منها . وهذه أمثلة على تناوله  
للقراءات وبضمنها الشاذة منها. فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى:

(مالك يوم الدين) (٢) قرأ مالك على وزن فاعل بالخفض عاصم  
والكسائي وخلف في اختياره ويعقوب وهي قراءة العشرة إلا طلحة  
والزبير وقراءة كثير من الصحابة منهم أبي وابن مسعود ومعاذ وابن  
عباس والتابعين منهم قتادة والأعمش وقرأ (ملك) على وزن فعل  
بالخفض باقي السبعة وزيد وأبو الدرداء وابن عمر والمسور وكثير  
من الصحابة والتابعين وقرأ ملك على وزن سهل أبو هريرة وعاصم  
الحجدرى ورواها الجعفي وعبد الوارث عن ابن عمرو وهي لغة بكر  
بن وائل وقرأ (ملكي) بإشباع كسرة الكاف أحمد بن صالح عن ورش  
عن نافع وقرأ ملك على وزن عجل أبو عثمان الهندي والشعبي  
وعطية ونسبها ابن عطية إلى أبي حياة. وقال صاحب اللوامح قرأ  
أنس بن مالك وأبو نوفل عمر بن مسلم بن أبي عدي ملك يوم الدين  
بنصب الكاف من غير الف وجاء كذلك عن أبي حياة انتهى وقرأ  
كذلك إلا أنه رفع الكاف سعد بن أبي وقاص وعائشة ومورق العجلي

(١) انظر البحر المحيط ١/ ١٧ - ١٨.

(٢) سورة الفاتحة الآية ٤.

وقرأ (ملك) فعلا ماضيا أبوحياة وأبو حنيفة وجبير بن مطعم وأبو  
عاصم عبيد بن عمير الليثي وأبو المحشر عاصم بن ميمون الحجري  
فينصبون اليوم. وذكر ابن عطية أن هذه قراءة يحيى بن معمر الحسن  
وعلي بن أبي طالب وقرأ مالك بنصب الكاف الأعمش وابن السميع  
وعثمان بن أبي سليمان وعبد الملك قاضي الهند. وذكر ابن عطية أنها  
قراءة عمر بن عبد العزيز وأبي صالح السمان وأبي عبد الملك  
الشامي وروى ابن أبي عاصم عن اليمان ملكا بالنصب والتوين وقرأ  
مالك برفع الكاف والتوين عون العقيلي ورويت عن خلف بن هشام  
وأبي عبيد وأبي حاتم وبنصب اليوم وقرأ مالك يوم بالرفع والإضافة  
أبو هريرة وأبو حياة وعمر بن عبد العزيز بخلاف عنه ونسبها  
صاحب اللوامح إلى أبي روح عون بن أبي شداد العقيلي ساكن  
البصرة وقرأ (ملك) على وزن فعيل أبي وأبو هريرة وأبو رجاء  
الطاردي وقرأ مالك بالإمالة البليغة يحيى بن يعمر وأيوب السختياني  
وبين بين قتيبة بن مهران عن الكسائي وجهل النقل أعني في قراءة  
الإمالة أبو علي الفارسي فقال لم يمل أحد من القراء الف ملك وذلك  
جائز إلا أنه لا يقرأ بما يجوز إلا أن يأتي بذلك أثر مستفيض وذكر  
أيضا أنه قرئ في الشاذ (ملك) بالالف والتشديد للام وكسر الكاف  
فهذه ثلاثة عشرة قراءة بعضها راجع إلى الملك وبعضها إلى الملك  
قال اللغويون وهما راجعان إلى الملك (١)

مثال آخر من نفس السورة عند تفسيره لكلمة (الصراط) الطريق  
واصلة بالسین من السرط وهو اللقم ومنه سمي الطريق لقما وبالسین  
على الأصل قرأ قبل ورويس وإبدال سینہ صادا هي الفصحى وهي

(١) انظر البحر المحیط ٢٠/١.

لغة قريش وبها قرأ الجمهور وبها كتبت في الإمام. وزايا لغة رواها الأصمعي عن أبي عمرو وإشمامها زايا لغة قيس به قرأ حمزة بخلاف وتفصيل عن رواته وقال أبو علي وروي عن ابن عمر والسين والصاد والمضارعة بين الزاي والصاد ورواه عنه العريان عن ابن سفيان وروى الأصمعي عن ابن عمر وأنه قرأها بزاي خالصة قال بعض اللغويين ما حكاه الأصمعي في هذه القراءة خطأ منه إنما سمع أبا عمرو يقرأوها بالمضارعة فتوهمها زايا ولم يكن الأصمعي نحويًا فيؤمن على هذا وحكى هذا الكلام أبو علي عن أبي بكر بن مجاهد وقال أبو جعفر الطوسي في تفسيره وهو إمام من أئمة الإمامية الصراط بالصاد لغة قريش وهي اللغة الجيدة وعامة العرب يجعلونها سينا والزاي لغة لعذرة وكعب وبني القين وقال أبو بكر بن مجاهد وهذه القراءة تشير إلى أن قراءة من قرأ بين الزاي والصاد تكلف حرف بين حرفين وذلك صعب على اللسان وليس بحرف ينبني عليه الكلام ولا هو من حروف المعجم ولست أذفع أنه من كلام فصحاء العرب إلا أن الصاد أفصح. (١)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} (٢) الباء للسبب وما الظاهر أنها مصدرية وتعلمون متعد لواحد على قراءة الحرمين وأبي عمرو إذ قرؤا بالتخفيف مضارع علم فأما قراءة باقي السبعة بضم التاء وفتح العين وتشديد اللام المسكورة فيتعدى إلى اثنين إذ هي منقولة بالتضعيف من المتعدية إلى واحد وأول المفعولين محذوف تقديره تعلمون الناس الكتاب وتكلموا في

(١) انظر البحر المحيط ١ / ٢٥.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٩.

ترجيح أحد القراءتين على الأخرى وقد تقدم إنني لا أرى شيئاً من هذه التراجيح لأنها منقولة متواترة قرآناً فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى . وقرأ مجاهد والحسن تعلمون بفتح التاء والعين واللام المشددة وهو مضارع حذفته منه التاء التقدير تتعلمون وقد تقدم الخلاف في المحذوف منهما . وقرأ أبو حنيفة تدرسون بكسر الراء وروى عنه تدرسون بضم التاء وفتح الدال وكسر الراء المشددة أي تدرسون غيركم العلم يحتمل أن يكون التضعيف للتكثير لا للتعدية . وقرئ تدرسون من أدرس بمعنى درس نحو أكرم وكرم وأنزل ونزل). (١)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى {ولقد اضل منكم جبلاً كثيراً} (٢) وقرأ نافع وعاصم جبلاً بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وهي قراءة أبي حنيفة وسهيل وأبي جعفر وشيبة وأبي رجاء والحسن بخلاف عنه . وقرئاً العربيان والهديل بن شرحبيل بضم الجيم وإسكان الباء وباقى السبعة بضمها وتخفيف اللام والحسن بن أبي أسحاق الزهري وابن هرف وعبد الله بن عبيد بن عمير وحفص بن حميد بضميتين وتشديد اللام والأشهب العقيلي واليماني وحماد بن مسلمة عند عاصم بكسر الجيم وسكون الباء والأعمش جبلاً بكسرتين وتخفيف اللام وقرئ جبلاً بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام جمع جبلة نحو فطرة وفطر فهذه سبع لغات قرئ بها . وقرأ علي بن أبي طالب وبعض الخراسانيين جبلاً بكسر الجيم بعدها ياء). (٣)

(١) انظر البحر المحيط ٢ / ٥٠٦ .

(٢) سورة يس الآية ٦٢ .

(٣) انظر البحر المحيط ٧ / ٣٤٣ - ٣٤٤ .

مثال أخير عند تفسيره لقوله تعالى {يا حسرة على العباد} (١) وقرأ أبو الزناد وعبد الله بن ذكوان المدني وابن هرمز وابن جندب يا حسرة على العباد بسكون الهاء في الحالين حمل فيه الوصل على الوقف ووقفوا على الهاء مبالغة في التحسر لما في الهاء من التأهه كالتأوه ثم وصلوا على تلك الحال قاله صاحب اللوامح. وقال ابن خالويه يا حسرة على العباد بغير تنوين قال ابن عباس انتهى ووجه أنه اجتزأ بالفتحة عن الالف التي هي بدل من ياء المتكلم في النداء كما اجتزأ بالكسرة عن الياء فيه وقد قرئ يا حسرتا بالالف أي يا حسرتي ويكون من الله على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم وفرط إنكاره وعجيبه منه والظاهر أن العباد هم مكذبوا الرسل تحسرت عليهم الملائكة قاله الضحاك. (٢)

### موقفه من القضايا الفقهية:

وكان أبو حيان لا يهمل الأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام مع ذكره لما جاء عن السلف فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم} (٣)

مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنه تعالى لما نهى عن جعل الله معرضا للإيمان كان ذلك حتما لترك الأيمان وهم يشق عليهم ذلك لأن العادة جرت لهم بالإيمان فذكر أن ما كان منها لغوا فهو لا يؤاخذ به لأنه مما لا يعضد به حقيقة اليمين وإنما هو شيء يجري على اللسان عند المحاورة من غير قصد و هذا أحسن ما فسر به اللغو لأنه تعالى

(١) سورة يس الآية ٣٠.

(٢) انظر البحر المحيط ٧/٣٣٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٥.

جعل مقابلة ما كسبه القلب وهو ماله فيه اعتماد وقصر واختلفت أقوال المفسرين في تفسير لغو اليمين فقال أبو هريرة وابن عباس والحسن وعطاء والشعبي وابن جبير ومجاهد وقتادة ومقاتل والسدي عنه أشياخه ومالك في أشهر قولييه وأبو حنيفة هو الحلف على غلبة الظن فيكشف الغيب خلاف ذلك وقالت عائشة وابن عباس أيضا وطاووس والشعبي ومجاهد وأبو صالح والشافعي هو ما يجري على اللسان في درج الكلام والأستعجال لا والله وبلى والله من غير قصد لليمين وهو أحد قولي مالك وقال سعيد ابن جبير وابن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن وابنا الزبير عبد الله وعروة هو الحلف على فعل المعصية إلا أن ابن جبير قال لا يفعل ويكفر وباقيهم قالوا لا يفعل ولا كفارة عليه وقال ابن عباس أيضا وعلى وطاووس هو الحلف في حال الغضب وقال النخعي هو الحلف على شيء ينسأه وقال ابن عباس أيضا والضحاك وهو ما تجب فيه الكفارة إذا كفرت سقطت ولا يؤاخذ الله بتكفيرها والرجوع إلى الذي هو خير وقال مكحول وابن جبير أيضا وجماعة هو أن يحرم على نفسه ما أحل الله كقوله مالي علي حرام أن فعلت كذا والحلال على حرام وقال بهذا القول مالك إلا في الزوجة فالزم فيها التحريم إلا أن يخرجها الحالف بقلبه وقال زيد ابن أسلم وابنه هو دعاء الرجل على نفسه أعمى الله بصره اذهب الله ماله هو يهودي هو مشرك هو لغية أن فعل كذا وقال مجاهد هو حلف المتبايعين يقول أحدهما والله لا ابيعك بكذا ويقول الآخر والله ما اشتريه إلا بكذا وقال مسروق هو ما لا يلزمه الوفاء به. وروي عنه وعن الشعبي أنه الحلف على المعصية وقيل هو يمين المكره حكاه ابن عبد البر وهذه الأقوال يحتملها لفظ اللغو إلا أن الأظهر هو ما فسرناه

أولا لأنه قابله كسب القلب وهو تعمده للشيء فجميع الأحوال غيره  
ينطلق عليها أنها كسب القلب لأن للقلب قصدا إليها ونفى الوحدة يدل  
على أنه لا اثم ولا كفارة فيضعف قول من قال إنها تختص بالاثم  
ويفسر اللغو باليمين المكفرة وسئل الحسن عن اللغو والمسببية ذات  
الزوج فوثب الفرزدق وقال أما سمعت ما قلت:

ولست بمأخوذ بشيء تقوله إذا لم تعمد عاقدات العرائم (١)  
مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {والمطلقات يتربصن بأنفسهن  
ثلاثة قروء} (٢)

واختلف في المراد هنا فقال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن  
مسعود وأبو موسى وابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة  
وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي والربيع وأبو حنيفة وأصحابه  
وغيرهم من فقهاء الكوفة هو الحيض وقال زيد بن ثابت وعبادة بن  
الصامت وأبو الدرداء وعائشة وابن عمرو وابن عباس والزهري  
وأبان بن عثمان وسليمان بن يسار والأوزاعي والثوري والحسن بن  
صالح ومالك والشافعي وغيرهم من فقهاء الحجاز هو الطهر. وقال  
أحمد كنت أقول القرء الطهر وأنا الآن أذهب إلى أنه الحيض وروي  
عن الشافعي أن القرء الانتقال من الطهر إلى الحيض ولا يرى  
الانتقال من الحيض إلى الطهر قرءا وقد تقدم قول آخر أنه الخروج  
من طهر إلى حيض أو من حيض إلى طهر ولذكر ترجيح كل قائل ما  
ذهب إليه مكان غير هذا وظاهر قوله ثلاثة قروء إن العدة تنقضي  
بثلاثة القروء ومن قال إن القرء الحيض يقول إذا طلقت في الطهر لم

(١) انظر البحر المحيط ٢ / ١٧٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

توطأ فيه استقبلت حيضة ثم حيضة ثم حيضة ثم تغتسل فبالغسل تنقضي العدة. وروي عن علي وابن مسعود وابي موسى وغيرهم من الصحابة إن زوجها أحق بردها ما لم تغتسل حتى قال شريك لو فرطت في الغسل فلم تغتسل عشرين سنة كان زوجها أحق بالرجعة والذي يظهر من الآية أن الغسل لا دخول له في انقضاء العدة. وروي عن زيد وابن عمرو وعائشة إذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها ولا تحل لأزواج حتى تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك أن هؤلاء يقولون بان القرء هو الطهر فإذا طلقت في الطهر لم تمس فيه اعتدت بما بقي منه ولو ساعة ثم استقبلت طهرا ثانيا بعد حيضة ثم ثالثا بعد حيضة ثانية فإذا رأت الدم من الحيضة الثالثة حلت للأزواج وخرجت من العدة بأول نقطة تراها وبه قال مالك والشافعي وأحمد وداود وقال أشهب لا تنقطع العصمة والميراث إلا يتحقق أنه دم حيض لاحتمال أن يكون دفعة دم من غير الحيض وكل من قال أن القرء الأطهار يعتد بالطهر الذي طلقت فيه وشذ ابن شهاب فقال تعتد بثلاثة أقراء سوى بقية ذلك الطهر ولا تنقضي العدة حتى تدخل في الحيضة الرابعة لأن الله تعالى قال ثلاثة قروء ولو طلقت في الحيض انقضت عدتها بالشروع في الحيضة الرابعة وقال ابو حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الرابعة وقال إذا طهرت لأكثر الحيض انقضت عدتها قبل الغسل أو لأوله فلا تنقضي حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضي عليها وقت الصلاة وظاهر عموم المطلقات دخول الزوجة الأمة في الاعتداد بثلاثة قروء وبه قال داود وجماعة أهل الظاهر وعبد الرحمن بن كيسان الأصم وروي عن ابن سيرين



أنه قال ما أرى عدة الأمة إلا كعدة الحرة إلا مضت سنة في ذلك فالسنة أحق أن تتبع وقال الجمهور عدتها قرآن). (١)

مثال آخر في الآية التي بعدها عند تفسيره لقوله تعالى: {وبعولتهن أحق بردهن في ذلك} (٢) فقال سعيد والحسن وابن سيرين بن عطاء وطاووس والزهري والثوري وابن أبي ليلى وأبو حنيفة إذا جامعها فقد راجعها ويشهد وقال الليث وطائفة من أصحاب مالك أن وطأه مراجعة على كل حال نواها أو لم ينوها وقال مالك إن وطئها في عدة يريد الرجعة وجهل أن يشهد فهي رجعة وينبغي للمرأة أن تمنعه الوطئ حتى يشهد وبه قال إسحاق فإن وطئ ولم ينو الرجعة فقال مالك يراجع في عدة ولا يطأ حتى يسبرئها من مائه الفاسد. وقال بن القاسم فإن انقضت عدتها لم ينكحها هو ولا غيره في مدة بقية الاستبراء فإن فعل فسخ نكاحه ولا يتابد تحريمها عليه لأن الماء ماؤه وقال الشافعي إذا جامعها فليس برجعة نوى بذلك الرجعة أم لا ولها مهر مثلها وقال مالك لا شيء عليه قال أبو عمر ولا أعلم أحدا أوجب عليه مهر المثل غير الشافعي . قال الشافعي ولا تصح الرجعة إلا بالقول وبه قال جابر بن زيد و أبو قلابة وأبو ثور قال الباجي في المنتقى ولا خلاف في صحة الارتجاع بالقول ولو قيل أو باشر اثم عند مالك وليس برجعة والسنة أن يشهد قبل ذلك وقال أبو حنيفة والثوري أن لمسها بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة فهو رجعة ينبغي أن يشهد في قول مالك والشافعي وإسحاق وأبي عبيد وأبي ثور، وهل يجوز له أن يسافر بها قبل ارتجاعها منعه مالك والشافعي وأبو حنيفة

(١) انظر بحر المحيط ٢ / ١٨٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

واصحابه وعن الحسن بن زياد أن له ان يسافر بها قبل الرجعة وهل له أن يدخل عليها ويرى شيئاً من محاسنها وتزين له وتتشوق أجاز ذلك أبو حنيفة. وقال مالك لا يدخل عليها إلا بإذن ولا ينظر إليها إلا وعليها ثيابها ولا ينظر إلى شعرها ولا بأس أن يؤاكلها إذا كان معها غيرها ولا يبيت معها في بيت قال ابن القاسم ثم رجع مالك عن ذلك فقال لا يدخل عليها ولا يرى شعرها وقال سعيد يستأذن عليها إذا دخل ويسلم أو يشعرها بالتحم والتحنح وتلبس ما شاعت من الثياب والحلي فإن لم يكن لها إلا بيت واحد فليجعل بينهما سترا وقال الشافعي هي محرمة تحريم المبتوتة حتى تراجع بالكلام كما تقدم وأجمعوا على أن المطلق إذا قال بعد انقضاء العدة لإمرأته كنت راجعتك في العدة وأنكرت أن القول قولها مع يمينها وفيه خلاف لأبي حنيفة فلو كانت الزوجة أمه والزوج أدعى الرجعة في العدة بعد انقضائها فالقول قول الزوجة الأمة وأن كذبها مولاها هذا قول أبي حنيفة والشافعي وأبي ثور وقال أبو يوسف ومحمد القول قول المولى وهو أحق بها. (١)

وفي تفسيره لقوله تعالى: { والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً } (٢) ولم يشترط في هذه الآية في وجوبه إلا الإستطاعة وذكروا أن شروطه العقل والبلوغ والحرية والإسلام والاستطاعة وظاهر قوله والله على الناس وجوبه على العبد وهو مخاطب به وقال بذلك داود وقال الجمهور ليس مخاطباً به لأنه غير مستطيع إذ السيد يمنعه عن العبادة لحقوقه قالوا وكذلك الصغير فلو حج العبد في حال رقه والصبي قبل بلوغه ثم عتق وبلغ فعليهما حجة الإسلام وظاهره

(١) انظر البحر المحيط ٢ / ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٧.

الاكتفاء بحجة واحدة وعليه انعقد إجماع الجمهور خلافا لبعض أهل الظاهر إذ قال يجب في كل خمسة أعوام مرة والحديث الصحيح يرد عليه والظاهر أن شرطه القدرة على الوصول إليه بأي طريق قدر عليه من مشي وتكفف وركوب بحر وإيجار نفسه للخدمة الرجال والنساء في ذلك سواء والمشروط مطلق الاستطاعة وليست في الآية من المجملات فتحتاج إلى تفسير ولم تتعرض الآية لوجوب الحج على الفور ولا على التراخي بل الظاهر أنه يجب في وقت حصول الاستطاعة والقولان عن الحنفية والمالكية. وقال أبو عمر بن عبد البر ويدل على التراخي إجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج إذا أخره العام الواجب عليه في وقته بخلاف من فوت صلاة حتى خرج وقتها فقضاها وأجمعوا على أنه لا يقال لمن حج بعد أعوام من وقت استطاعته أنت قاضي وكل من قال بالتراخي لا يجد في ذلك حد إلا ما روي عن سحنون أنه إذا زاد على السنين وهو قادر وترك فسق (١)

وهكذا الأمثلة كثيرة وطويلة لا يتسع المقام لذكر المزيد منها ونكتفي بما قدمنا منها.

### موقفه من القصص والإسرائيليات:

ولقد تتبعت تفسير أبي حيان لما اشتهرت فيه بعض الآيات من الإسرائيليات فوجدته يتعفف ويتنزه عنه ذكرها ويضرب صفحا عنها عما تذكره القصص الإسرائيلية فمثلا يقول ذكر المفسرون قصص الله أعلم بصحتها خلافا لما ذكره كثير من المفسرين أمثال الخازن

(١) انظر البحر المحيط ٣ / ١١.

والنفسى وغيرهم والذين هم موضوع بحثنا فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: { وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون } (١) يقول وجاء لفظ الهدية مبهما وقد ذكروا (٢) في تعيينها أقوالا مضطربة ومتعارضة وذكروا من حيلها ومن حال سليمان حين وصلت إليه الهدية وكلامه مع رسلها ما الله أعلم به. (٣)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: { يا ايها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل شيء } (٤) يقول أبو حيان وأورد المفسرون (٥) مما ذكروا أن سليمان عليه السلام أخبر عن كثير من الطير بأنواع من الكلام تقديس لله تعالى وعظمت وعبر، ما الله أعلم بصحته. (٦)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: { وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون } (٧) يقول روي ان معسكرة كان مائة فرسخ في مائة، خمسة وعشرون للجن ومثلها للإنس ومثلها للطير ومثلها للوحش والفرسخ بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإيريسم وفرسخا في فرسخ ومنبره في وسطه من ذهب فيصعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة تقصد الأنبياء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها

(١) سورة النمل الآية ٣٥.

(٢) انظر تفسير النفسى المسمى بمدارك الترتيل وحقائق التأويل ٣ / ٢١١.

(٣) انظر البحر المحيط ٧ / ٧٣.

(٤) سورة النمل الآية ١٦.

(٥) انظر تفسير النفسى ٣ / ٢٠٤-٢٠٥.

(٦) انظر البحر المحيط ٧ / ٥٩.

(٧) سورة النمل الآية ١٧.

حتى لا تقع عليه الشمس وترتفع ريح الصبا البساط فتفسير به مسيرة شهر وتفصيل هذه الأشياء يحتاج إلى صحة نقل وكان ملكه عظيماً ملأ الأرض وانقاد له أهل المعمورة منها وتقدم لنا أنه ملك الأرض بأسرها أربعة، مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران بختنصر ونمرود. وحشر الجنود يقتضي سفراً وفسر الجنود أنهم الجن والإنس والطير وذكر المفسرون الوحش (١)

ففرى في هذا المثال يسوق الوصف بكامله لا كما في الأمثلة التي سبقت حيث كان يضرب عنها صفحا ويشير إلى المفسرين ذكروا بذلك قصة مطولة الله أعلم بصحتها، أما في هذا المثال ذكر الوصف بكامله ومن خلاله أشار بعبارة (وتفصيل هذه الأشياء يحتاج إلى صحة نقل).

أما عند تفسيره لقوله تعالى: { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. } (٢)

نترك الحديث لأبي حيان في البحر المحيط حيث يقول لما أتى تعالى على داود عليه السلام بما أتى ذكر قصته هذه ليعلم أن مثل قصته لا يقدح في الثناء عليه والتعظيم لقدره وأن تضمنت استغفاره ربه وليس في الاستغفار ما يشعر بارتكاب أمر يستغفر منه وما زال الاستغفار شعار الأنبياء المشهود لهم بالعصمة ومجئ مثل هذا الاستغفار إنما يكون لغرابة ما يجئ معه من القصص كقوله وهل أتاك حديث موسى

(١) انظر البحر المحيط ٧ / ٦٠.

(٢) سورة ص الآية ٢١ - ٢٢.

فيتهايأ المخاطب بهذا الاستفهام لما يأتي بعده ويصغي لذلك وذكر  
المفسرون في هذه القصة أشياء لا تتاسب مناصب الأنبياء ضربنا عن  
ذكرها صفحا وتكلمنا على ألفاظ الآية والنبا الخبر فالخبر أصله  
مصدر فاذلك تصلح للمفرد والمذكر وفروعها وهنا جاء للجمع ولذلك  
قال إذ تسوروا إذ دخلوا والظاهر أنهم كانوا جماعة فذلك أتى بضمير  
الجمع فإن كان المتحاكمان اثنين فيكون قد جاء معهم غيرهم على  
جهة المعاوضة أو المؤانسة ولا خلاف أنهم كانوا ملائكة كذا قال  
بعضهم وقيل كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأم والأول أشهر وقيل  
الخصم هنا اثنان وتجاوز في العبارة فأخبر عنهما أخبار ما زاد على  
اثنين لأن معنى الجمع في التثنية وقيل معنى خصمان فريقان فيكون  
تسوروا ودخلوا عائدا على الخصم الذي هو جمع الفريقين ويدل على  
أن خصمان بمعنى فريقان قراءة من قرء بغى بعضهم على بعض  
وقال تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم بمعنى فأما إن هذا أخي  
وما روي أنه بعث إليه ملكان فالمعنى أن التحاكم كان بين اثنين ولا  
يمنتع أن يصحبهما غيرهما وأطلق على الجميع خصم وعلى الفريقين  
خصمان لأن من جاء مع متخاصم لمعاوضة فهو في سورة خصم ولا  
يبعد أن تطلق عليه التسمية والعامل في الظرف وهو إذ أتاك قاله  
الحوفي ورد بأن اتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا  
في عهده لا في عهد داود. وقال ابن عطية وأبو البقاء العامل فيه نبا  
ورد بما رد به ما قبله أن النبا الواقع في عهد داود عليه السلام لا  
يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أردت بالنبا القصة  
في نفسها لم يكن ناصبا وقيل العامل فيه محذوف تقديره وهل أتاك  
تخاصم الخصم قال الزمخشري ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من

معنى الفعل وإذ دخلوا بدل من إذ الأولى وقيل ينتصب بتسوروا. وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما فتسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان . قال ابن عباس جزء زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره. ويوما لجميع بني إسرائيل فيعظهم ويبيحهم فجاءه في غير القضاء ففرغ منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه فخاف أن يؤذوه وقيل كان ذلك ليلاً ويحتمل أن يكون فرغه من أجل أن أهل مملكته قد استهانوه حتى ترك بعضهم الاستئذان فيكون فرغه على فساد السيرة لا من الداخلين. وقال أبو الأحوص فرغ منهم لأنهما دخلا عليه وكل منهما أخذ برأس صاحبه وقيل فرغ منهم لما رأى من تسورهم على موضع مرتفع جدا لا يمكن أن يرتقي إليه بعد أشهر مع أعوان وكثرة عدد وقيل أنهما قالوا لم نتوصل إليك إلا بتسور لمنع الحجاب وخفنا تفاقم الأمر بيننا فقبل داود عذرهم ولما أدركوا منه الفرغ قالوا لا تخف أي لسنا ممن جاء إلا لأجل التحاكم. خصمان يحتمل أن يكون هذا موصولا بقولهما لا تخف بادرا بأخبار ما جاء إليه ويحتمل أن يكون سألهم ما أمركم فقالوا خصمان أي نحن خصمان بغى أي جار بعضنا على بعض. أن هذا أخي هو قول المدعي منهما وأخي عطف بيان عن ابن عطية وبدل أو خبر لأن عند الزمخشري والإخوة هنا مستعارة إذ هما ملكان لكنهما لما ظهرا في صورة إنسانين تكلمتا بالإخوة ومجازها أنها أخوة في الدين والإيمان أو على الصحبة والمرافقة أو على معنى الشركة والخلطة لقوله وإن كثيرا من الخطباء وكل واحدة من هذه الأخوات

تقتضي منع الاعتداء ويندب إلى العدل وقيل وكنى بالنعجة عن  
الزوجة فقال اكفلنيها أي ردها في كفالتي. وقال ابن كيسان اجعلها  
كفلي أي نصيبي وقال ابن عباس اعطنيها وعنه وعن ابن مسعود  
تحول لي عنها وعن أبي العالية ضمها إلي حتى اكفلها. وعزني في  
الخطاب قال الضحاك أن تكلم كان أفصح مني وأن حارب كان ابطش  
مني وقال ابن عطية كان أوجه مني وأقوى فإذا خاطبته كان كلامه  
أقوى من كلامي وقوته أعظم من قوتي. وقال الزمخشري جاعني  
محجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أورده به وأورد بالخطاب مخاطبة  
المحاج المجادل أو أراد خطيب المرأة وخطبها وهو مخاطبني خطابا  
أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقيل غلبني بسلطانه  
لأنه لما سأله لم يستطع خلافه. والظاهر أبقاء لفظ النعجة على حقيقتها  
من كونها أنثى ألسان ولا يكنى بها عن المرأة ولا ضرورة تدعو إلى  
ذلك لأن ذلك الأخبار كان صادرا من الملائكة على سبيل التصوير  
للمسئلة والفرض لها مرة غير تلبس بشيء منها فمثلوا بقصة رجل له  
نعجة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة  
خليطه وأراد انتزاعها منه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ  
مراده ويدل على ذلك قوله وإن كثيرا من الخطاء وهذا التصوير  
والتمثيل أبلغ في المقصود وأدل على المراد. قال لقد ظلمك بسؤال  
نعجتك إلى نعاجه ليس هذا ابتداء من داود عليه السلام أثر فراغ لفظ  
المدعي ولا فتيا بظاهر كلامه قبل ظهور ما يجب فقيل ذلك على  
تقدير أي لئن كان ما تقول لقد ظلمك وقيل ثم محذوف أي فاقر  
المدعى عليه فقال لقد ظلمك ولكنه لم يحك في القرآن اعتراف المدعى  
عليه لأنه معلوم من الشرائع كلها إذ لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة



المدعى عليه فأما ما قال الحلبي من أنه رأى في المدعى مخايل الضعف والهزيمة فحمل أمره على أنه مظلوم كما تقول فدعاه ذلك إلى أن لا يسأل المدعى عليه فاستعجل بقوله لقد ظلمك فقوله ضعيف لا يعول عليه. وروي أن داود عليه السلام لما سمع كلام الشاكي قال للآخر ما تقول فأقر فقال له لئن لم ترجع إلى الحق لأكسرن الذي فيه عيناك وقال للثاني لقد ظلمكم فتبسما عند ذلك و ذهباً ولم يرهما لحينه ورأى أنهما ذهباً نحو السماء بمرأى منه وإن كثيراً من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض هذا من كلام داود يدل على أن زمانه كان فيه الظلم والاعتداء كثيراً والخطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط قصد داود بهذا الكلام الموعظة الحسنة والترغيب في إيثار عادة الخطاء الصالحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم وأن يسلى المظلوم عن ما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخطاء أسوة. وعلم داود وأيقن أنا ابتليناه بمحاكمة الخصمين وأنكر ابن عطية مجئ الظن بمعنى اليقين. فاستغفر ربه وخر راکعاً وأناب راکعاً حال والخروج الهوي إلى الأرض فأما أنه عبر بالركوع عن السجود وأما أنه ذكر أول أحوال الخروج رأى راکعاً ليسجد. وقال الحسن لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع.

والذي يذهب إليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم وأنه فزع منهم ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه فلما اتضح له أنهم جاؤا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قص الله تعالى وأن داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة انقاز من الله له أن يغتالوه فلم يقع ما

كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن حيث اخلف ولم يكن يقع مذنوبه  
 وخر ساجدا أو رجع إلى الله تعالى فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار  
 بقوله فغفرنا له ذلك ولم يتقدم سوى قوله وظن داود أنما فتناه ويعلم  
 قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن  
 وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك  
 بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم فما  
 حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده تعالى وما حكى القصص  
 مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر:

(ونؤثر حكم العقل في كل شبهة إذا أثر الأخبار جلاس قصاص) (١)

وفي هذا المثال خير دليل على عدم تناول أبو حيان للقصص  
 الإسرائيلية وشدة تحفظه من ذكر تفاصيلها لعدم ورود الدليل فيها وما  
 تحمله من خرافات لا تصدق ولا تعقل وعدم التأدب مع الأنبياء  
 ورميهم بأنواع الفسوق وكان أبو حيان كثيراً ما يقول (ضربنا عن  
 ذكرها صفحا) و(طرحناه) و(أن ذكر قصصها يحتاج إلى صحة نقل)  
 وعبارة (ما الله أعلم به) ، (ما الله أعلم بصحته).

(١) انظر البحر المحيط ٧/٣٩١-٣٩٣.

كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن حيث اخلف ولم يكن يقع مظنونته  
 وخر ساجدا أو رجع إلى الله تعالى فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار  
 بقوله فغفرنا له ذلك ولم يتقدم سوى قوله وظن داود أنما فتناه ويعلم  
 قطعا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن  
 وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك  
 بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم فما  
 حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده تعالى وما حكى القصص  
 مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر:

(ونؤثر حكم العقل في كل شبهة إذا أثر الأخبار جلاس قصاص)(١)

وفي هذا المثال خير دليل على عدم تناول أبو حيان للقصص  
 الإسرائيلية وشدة تحفظه من ذكر تفاصيلها لعدم ورود الدليل فيها وما  
 تحمله من خرافات لا تصدق ولا تعقل وعدم التأدب مع الأنبياء  
 ورميهم بأنواع الفسوق وكان أبو حيان كثيرا ما يقول (ضربنا عن  
 ذكرها صفحا) و(طرحناه) و(أن ذكر قصصها يحتاج إلى صحة نقل)  
 وعبارة (ما الله أعلم به) ، (ما الله أعلم بصحته).

(١) انظر البحر المحيط ٧/٣٩١-٣٩٣.

## الباب الأول

### الفصل السابع

# ((ابن قيم الجوزية))

(٦٩١-٧٥١هـ)

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول/ ترجمة ابن قيم

المبحث الثاني/ ابن قيم ومنهجه في التفسير

## المبحث الأول

### ترجمة ابن القيم (١)

(٦٩١ - ٧٥١هـ)

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي المعروف بابن القيم إمام المدرسة الجوزية الحنبلية. ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة وكان عالما فقيها، أصوليا، مفسرا، نحويا وكان جريئ اللسان، واسع القلم والبيان، عالما بالخلاف ومذاهب السلف. أم بالمدرسة الجوزية بدمشق ودرس بالصدرية مدة طويلة. وتصدر للاشتغال ونشر العلم ليلا ونهارا. وكان معجبا برأيه. جريئا على أمور غلب عليه حب شيخه ان تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك ويدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها. وكان زاهدا عابدا متهجدا قانتا إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى حتى تشرق شمس النهار. حج مرات كثيرة وجاور بمكة. امتاز بحسن الخلق وكثرة التودد لا يحسد ولا يحقد.

### شيوخه وتلامذته:

سمع من الشهاب النابلسي، القاضي تقي الدين سليمان وابن بكر بن عبدالدائم، وابن الشيرازي وإسماعيل بن مكتوم وغيرهم. وأخذ العربية على أبي الفتح، والمجد التونسي. والفقنه على المجد الحراني، والأصول على الصفي الهندي ولما عاد من مصر سنة اثنتى عشرة

(١) انظر ترجمته في بداية كتابه الفروسية الذي عرف به وترجم للمؤلف وصححه السيد عزت

القطار الحسيني. وفي مختصر زاد المعاد، والدرر الكامنة ٢١/٤ ترجمة ٣٥٨٦، الأعلام ٥٦/٦

معجم المؤلفين ١٠٦/٩.

وسبعمائة تتلمذ على ابن تيمية فأخذ عنه معظم علمه ولازمه حتى مات . أخذ عنه الحافظ زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب مؤلف ذيل طبقات الحنابلة، والشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي المعروف بالجنة صاحب مختصر طبقات الحنابلة لأبي يعلى وأخذ عنه ولداه الحافظ إبراهيم، وعبد الله وغيرهم.

### حياته وسيرته:

كان جرى الجنان واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وكان له حظ عند الأمراء المصريين واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهيئ وطيف به على جمل مضروبا بالدرة فلما مات ابن تيمية أفرج عنه وامتحان مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه. قال الذهبي : حبس مرة لإنكاره شد الرجال لزيارة قبر الخليل، ثم تصدر للأشغال ونشر العلم ولكنه معجب برأيه جرى على الأمور، وكانت مدة ملازمته لأبن تيمية منذ أن عاد من مصر سنة ٧١٢هـ إلى أن مات وقال ابن كثير كان ملازما للاشتغال ليلا ونهارا كثير الصلاة والتلاوة، وحسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد. ثم قال: لا أعرف من زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه وكان يطيل الصلاة جدا ويمد ركوعها وسجودها. وكان يقول بالصبر والفقر تنال الإمامة في الدين، وكان يقول لا بد للسالك من همة تسييره وترقيه وعلم يبصره ويهديه.

## مؤلفاته:

وكان مغربي يجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلًا سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم، وله من التصانيف الهدى وأعلام الموقعين وبدائع الفوائد وطريق السعادتين، وشرح منازل السائرين والقضاء والقدر وجلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ومصائد الشيطان ومفتاح دار السعادة، والروح، وحادي الأرواح، ورفع اليدين، والصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة، وتصانيف أخرى. وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف، وهو طويل النفس فيها يتعانى الإيضاح جهده فيسهب جدا ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك، وله في ذلك ملكة قوية ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها من نظمه قصيدة تبلغ ستة آلاف بيت سماها الكافية في الانتصار للفرقة الناجية، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وأمثال القرآن، وبدائع الفوائد، والتبيان في أقسام القرآن، وشفاء العليل، وتفسير سورة الفاتحة، وتفسير المعوذتين، وتهذيب مختصر سنن أبي داود، وزاد المسافر إلى منازل السعداء، وشرح الأسماء الحسنى والطرق الحكيمة.

وهو القائل:

فليس على من نال من عرضه إثم	بني أبي بكر كثير ذنوبه
يعلم علما وهو ليس له علم	بني أبي بكر غدا متصدرا
جهول بأمر الله أنى له العلم	بني أبي بكر جهول بنفسه
إلى جنة المأوى وليس له عزم	بني أبي بكر يروم ترقيا

وليس لهم في العلم باع ولا التقى ولا الزهد والدنيا لديهم هي السهم  
بني أبي بكر غدا متمنيا وصال المعالي والذنوب له هم

وقال ابن كثير عنه: وهو طويل النفس في مصنفاته يتعاني الإيضاح  
جهده فيسهب جدا وله في ذلك ملكة قوية، وكان كثير العبادة لا أعرف  
في زماننا من أهل العلم من هو أكثر عبادة منه.

وقال الحافظ بن ناصر الدين: الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أحد  
المحققين علم المصنفين، نادرة المفسرين له التصانيف الأنيفة والتأليف  
التي في علوم الشريعة والحقيقة.

### محنته ووفاته:

ولما كان هو على عقيدة شيخه ابن تيمية مناصرا آراءه فقد كان من  
الطبيعي أن يناله ما نال شيخه من المحن فحبس معه في المرة  
الأخيرة بقلعة دمشق منفردا عنه بعد أن أهين وطيف به على جمل  
مضروبا بالدرة ولم يفرج عنه إلا بعد موت شيخه، وحبس مرة أخرى  
لإنكاره شد الرحال لزيارة قبر الخليل عليه السلام وجرت له بسبب  
فتواه بمسألة الطلاق أمور مع ابن السبكي وغيره شرحها وطلبه  
السبكي مرة بسبب فتواه بجواز المسابقة بغيز محلل فأنكر عليه ذلك  
الأمر إلى أن رجع عما كان يفتي به من ذلك وجرت له محن أخرى  
مع القضاة، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه، وكان يقول  
الشعر وله نظم كثير.

توفي وقت عشاء الاخرة ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة إحدى  
وخمسين وسبعمائة وصلى عليه من الغد بالجامع الأموي عقب الظهر  
ثم بجامع الجراح بالباب الصغير. وكانت جنازته حافلة جدا ودفن



بمقبرة الباب الصغير عند والديه رحمهم الله وغفر لهم. فرحم الله شيخنا ابن القيم رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته وأجزل له العطاء. ويقول صاحب نيل السائرين<sup>(١)</sup> أثنى عليه الأئمة كالحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة وابن رجب في نيل طبقات الحنابلة والسيوطي في بغية الوعاة والحافظ بن ناصر الدين في الرد الوافر والنواب صديق حسن خان في أبجد العلوم والسيد نعمان آلوسي في جلاء العينين وابن العماد في شذرات الذهب والشيخ عبد القادر في منادمة الإطلال وخير الدين الزركلي في الإعلام وابن كثير وغيرهم).

<sup>(١)</sup> انظر نيل السائرين في طبقات المفسرين ص ١٨٦-١٨٨.

## المبحث الثاني

### ابن القيم ومنهجه في التفسير

مما يجدر ذكره أن ابن القيم لم يؤلف كتابا في التفسير في حدود علمي واطلاعي وإنما جمع تفسيره المسمى بالتفسير القيم العلامة المحقق الشيخ محمد أويس الندوي فقد قام بجهدا مشكورا حيث قرأ المطبوع من مؤلفات الإمام الحافظ شمس الدين ابن القيم ثم استخرج منها مجموعة في التفسير هي وإن كانت لم تستوعب تفسير القرآن كله، ولكنها تعتبر نموذجا صالحا، يستطيع من تدبرها حق التدبر إن ينتفع بها ويحذو حذوها، ويسهل عليه فهم القرآن كله من خلالها أن شاء الله تعالى. ومن خلال قراءتي لهذا الكتاب استطعت أن أحدد منهج ابن القيم وطريقته في تفسير القرآن الكريم. فنجد تفسيره من أقرب التفاسير للمأثور حيث إنه يذكر دائما أقوال الصحابة والتابعين ويعتمد الحديث الصحيح وينبذ التفسير بالرأى المذموم. كما أنه يكثر في مسائل العقيدة ويفند آراء المخالفين بأدلة كثيرة مقنعة ويرد على أهل البدع والأهواء وأهل الملل والنحل ويرد على أهل الزندقة والمجوس والفلاسفة كما أنه يناقش آراء الفقهاء والعلماء ويفصل فيها.

### التفسير بالمأثور:

يعد تفسير ابن القيم من أقرب التفاسير بالمأثور حيث أنه يذكر دائما أقوال الصحابة والتابعين ويعتمد الحديث الصحيح. ويذكر دائما عبارة حينما تختلف الآراء في مسألة يقول (وعبارات السلف على هذا تدور) وهاك أمثلة على ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: { ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون } (١) يقول ابن القيم: قال قتادة: كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو إسرائيل فاقتزعوا عليها بسهامهم، أيها يكفلها، ففرع زكريا، وكان زوج اختها، فضمها إليه، ونحوه عن مجاهد.

وقال ابن عباس: لما وضعت مريم في المسجد اقترع عليها أهل المصلى، وهم يكتبون الوحي فاقتزعوا بأقلامهم أيهم يكفلها وهذا متفق عليه بين أهل التفسير (٢)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى { وكان الكافر على ربه ظهيرا } (٣) هذا من اللفظ خطاب القرآن، وأشرف معانيه وأن المؤمن دائما مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو ربه. وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه. فهو مع الله على عدوه الداخل فيه والخارج عنه، يحاربهم ويعاديهم ويبغضهم له سبحانه، كما يكون خواص الملك معه على حرب أعدائه، والبعيدون منه فارغون من ذلك غير مهتمين به. والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه.

وعبارات السلف على هذا تدور. ذكر ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال: عونا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك وقال ليث ومجاهد: يظاهر الشيطان على معصية الله، يعينه عليها وقال زيد بن سلم: ظهيرا أي مواليا. والمعنى: يوالي عدوه على

(١) سورة آل عمران الآية ٤٤.

(٢) التفسير القيم صفحة ٢١٣.

(٣) سورة الفرقان الآية ٥٥.

معصيته والشرك به فيكون مع عدوه معينا له على مساخط ربه.  
فالمعصية الخاصة التي للمؤمن مع ربه والهه قد صارت لهذا الكافر  
والفاجر مع الشيطان، ومع نفسه وهواه وملذاته (١)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {وثيابك فطهر} (٢) قال قتادة  
ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب، فكفى عن النفس بالثوب، وهذا قول  
إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري والمحققين من أهل التفسير. قال  
ابن عباس: لا تلبسها على معصية ولا قدر، ثم قال: أما سمعت قول  
غيلان بن سلمة التقي:

وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدره اتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء: طاهر الثياب،  
وتقول للفاجر والغادر: دنس الثياب. وقال أبي بن كعب: لا تلبسها  
على الغدر والظلم والإثم، ولكن البسها وأنت بر طاهر. وقال  
الضحاك: عملك فاصلح وقال السدي يقال للرجل إذا كان صالحا إنه  
لطاهر الثياب، وإذا كان فاجرا إنه لخبيث الثياب. وقال سعيد بن  
جبير: وقلبك وبيتك فطهر، وقال الحسن والقرطبي: وخلقك فحسن.  
وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا  
تجوز الصلاة معها، لأن المشركين كانوا لا يتطهرون، ولا يطهرون  
ثيابهم. وقال طاوس: وثيابك فقصر، لأن تقصير الثياب طهرة لها.

والقول الأول: أصح الأقوال ولا ريب أن تطهيرها من النجاسات  
وتقصيرها من جملة التطهير المأمور به، إذ به تمام إصلاح الأعمال

(١) التفسير القيم صفحة ٣٩٢.

(٢) سورة المدثر الآية ٤.

والأخلاق. لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن، ولذلك أمر القائم بين يدي الله عز وجل بإزالتها والبعد عنها (١)  
 مثال عند تفسيره لقوله تعالى: { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون } (٢)

يقول ابن القيم وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقول: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون، ويقولون نعم. هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: فيؤمر به فيذبح. قال ثم يقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون). (٣)

وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، فيقول: يا أهل الجنة، لا موت، ويا أهل النار، لا موت. كل خالد فيما هو فيه) وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أتى بالموت، حتى يجعل بين النار والجنة، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة، لا موت. ويا أهل النار لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحاً. ويزداد أهل النار حزناً) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول

(١) التفسير القيم صفحة ٥٠٢-٥٠٣.

(٢) سورة مريم الآية ٣٩.

(٣) متفق عليه.

الله صلى الله عليه وسلم قال ( إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار أتى بالموت ملبياً، فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين. ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة. فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه، هو الموت الذي وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت). (١)

وهذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاناة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً. وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم، فضلاً عن أن يذبح.

وهذا لا يصح فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً يثاب بها صاحبها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها. وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً. ومن الأجسام أجساماً. فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى، ولا يستلزم جمعا بين النقيضين، ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، ومن التأويل الباطل الذي لا يوجب عقل ولا نقل، وسببه: قلة الفهم لمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه، فظن هذا القائل: أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح. وظن غلط آخر: أن العرض يعدم ويزول، ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله سبحانه ينشئ من

(١) رواه النسائي والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الأعراض أجساما ويجعلها مادة لها، كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال (تجئ البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان.. الحديث) فهذه هي القراءة التي ينشئ منها الله غمامتين. وكذلك قوله في الحديث الآخر (ما تذكرون من جلال الله: من تسبيحه وتحميده وتهليله؟ يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرون بصاحبهن) (١) وكذلك قوله في عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها المقبور (فيقول : من أنت؟ فيقول: أنا عمك الصالح، وأنا عمك السيئ). وهذه حقيقة لا خيال، ولكن الله سبحانه أنشأ للمؤمن من عمله صورة حسنة وللفاجر من عمله صورة قبيحة.

وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم؟ انشأ الله سبحانه لهم منه نورا يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول، وأن لم يرد به النص، فورود النص به من باب تطابق العقل والسمع.

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال (إن المؤمن إذا خرج من قبره صور الله له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة، فيقول له: من أنت؟ فوالله إنني لأراك امرأ صدق، فيقول: أنا عمك، فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة، وأما الكافر فإذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة، وبشارة سيئة، فيقول: من أنت؟ فوالله إنني لأراك امرأ سوء، فيقول له: أنا عمك، فينطلق به حتى يدخله النار) وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج: يمثل له عمله في صورة حسنة، وريح طيبة، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك، فيجعل له نورا بين يديه، حتى يدخله

(١) ذكره أحمد.

الجنة، فذلك قوله (يهديهم ربهم بإيمانهم) (١) والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة، فيلازم صاحبه ويليه، حتى يقذفه في النار. وقال ابن المبارك: حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى، وما نحن بمعذبين) (٢) قال أعلموا أن كل نعيم بعده الموت: أنه يقطعه، فقالوا: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى، وما نحن بمعذبين قيل: لا، قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم. وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت، فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام، فهناهم في جوار الله طول المقام، ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته (٣) مثال أخير عند تفسيره لقوله تعالى: {الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد} (٤)

قال ابن عباس رضي الله عنهما (ما تغيض الأرحام) من التسعة أشهر (وما تزداد) ما تزيد فيها، ووافقه على هذا أصحابه، كمجاهد وسعيد بن جبير. وقال مجاهد أيضا: إذا حاضت المرأة على ولدها كان نقصانا من الولد، وما تزداد، قال: إذا زادت على تسعة أشهر كان ذلك تماما لما نقص من ولدها، وقال أيضا: ما رأت الحامل من الدم في حملها فهو نقصان من الولد، والزيادة ما زاد على تسعة أشهر، وهو تمام النقصان.

(١) سورة يونس الآية ٩.

(٢) سورة الصافات الآية ٥٨، ٥٩.

(٣) التفسير القيم ٣٥٣-٣٥٥.

(٤) سورة الرعد الآية ٨.



وقال الحسن: ما تغيض الأرحام: ما كان من سقط، وما تزداد: تلد المرأة لعشرة أشهر.

وقال عكرمة: ما تغيض الأرحام: الحيض بعد الحمل، فكل يوم رأت فيه الدم حاملا ازدادته في الأيام طاهرا، فما حاضت يوما إلا ازدادت في الحمل. وقال قتادة: الغيض: السقط، وما تزداد: فوق التسعة أشهر وقال سعيد بن جبير: إذا رأت المرأة الدم على الحمل فهو الغيض للولد، فهو نقصان في غذاء الولد، وزيادة في الحمل. (تغيض وتزداد) فعلان متعديان مفعولهما محذوف، وهو العائد إلى (ما) الموصولة، والغيض: النقصان. ومنه (وغيض الماء) (١) وضده الزيادة.

والتحقيق في معنى الآية: أنه يعلم مدة الحمل، ما يعرض فيها من الزيادة والنقصان، فهو العالم بذلك دونكم، كما هو العالم بما تحمل كل أنثى: هل هو ذكر أو أنثى؟ وهذا أحد أنواع الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم (مفاتيح الغيب خمس لا يعملهن إلا الله: لا يعلم ما في الأرحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله) فهو سبحانه المنفرد بعلم ما في الرحم، وعلم مدة إقامته فيه، وما يزيد في بدنه، وما ينقص. وما عدا هذا القول فهو من توابعه ولوازمه كالسقط والتمام، ورؤية الدم وانقطاعه. والمقصود ذكر مدة إقامة الحمل في البطن، وما يتصل بها من زيادة ونقصان (٢)

(١) سورة هود الآية ٤٤.

(٢) التفسير القيم ٣٢٠-٣٢١.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة للتفسير بالمأثور ولمن أراد الزيادة يمكنه الرجوع إلى التفسير نفسه ففيه الكثير من ذلك. (١)

### الإكثار في مسائل العقيدة:

إن الإمام ابن القيم يكثر من إيراد مسائل العقيدة في تفسيره وتكاد تجد ذلك جليا على كتابه حيث أن تفسيره يتصف بهذه الصفة الظاهرة وتفنيده لآيات الأسماء والصفات وردة على من خالفه في ذلك، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم} (٢)

يقول ابن القيم ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم. توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، هاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد والترمذي. أحدهما: حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال (سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو، ويقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. فقال: والذي نفسي بيده، لقد سألت الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى) قال الترمذي: حديث صحيح. فهذا توسل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية. وثبوت صفاته المدلول

(١) انظر التفسير القيم على سبيل المثال لا الحصر صفحة ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٩٣، ٥٠٥، ٥٠٨.

٤٤٠ وغيرها كثير.

(٢) سورة الفاتحة الآية ٦.

عليها باسم (الصمد) وهو كما قال ابن عباس (العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته) وفي رواية عنه (هو السيد الذي قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد) وقال أبو وائل (هو السيد الذي انتهى سؤدده) وقال سعيد بن جبير (هو) الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأعماله) وبنفس التمثيل والتشبيه عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة والتوسل بالإيمان بذلك، والشهادة به هو الاسم الأعظم.

والثاني: حديث أنس (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال: لقد سأل الله باسمه الأعظم) فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته.

وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما التوسل بالحمد والثناء عليه، وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده. ثم جاء سؤال أهم المطالب، وأنجح الرغائب، وهو الهداية، بعد الوسيلتين. فالداعي به حقيق بالإجابة.

ونظير هذا: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يدعو به إذا قام يصلي من الليل من حديث ابن عباس (١) (اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت. فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما

(١) رواه البخاري في صحيحه

أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت) فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له ثم سأله المغفرة (١)

ثم يستطرد ابن القيم على ما تشتمل سورة الفاتحة من معاني التوحيد فيقول: فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي انفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد. ونوع في الإرادة والقصد. ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي. لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية. فهذه ثلاثة أنواع، فأما توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال. والتنزيه عن العيوب والنقائص. وقد دل على هذا شيان: مجمل ومفصل. أما المجمل: فإثبات الحمد له سبحانه. وأما المفصل: فذكر صفة الإلهية والربوبية، والرحمة والملك. وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات. فأما تضمن الحمد لذلك: فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه الخضوع له، فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له. وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها. ولهذا كان الحمد كله لله حمدا لا يحصى سواه، لكمال صفاته وكثرتها ولأجل هذا لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه، لما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه. ولهذا ذم الله تعالى آلهة الكفار، وعابها بسلب، أو صاف الكمال عنها، فعابها

(١) التفسير القيم ٢٣، ٢٤.

بانها لا تسمع ولا تبصر، ولا تتكلم ولا تهدي، ولا تنفع ولا تضر.  
وهذه صفة إله الجهمية، التي عاب بها الأصنام، نسبوها إليه، تعالى  
الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

فقال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام في حاجته لأبيه {يا  
أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا} (١)  
فلو كان إله إبراهيم بهذه الصفة والمثابة لقال له أزر: وأنت إلهك بهذه  
المثابة، فكيف تتكر علي لكن كان مع شركه أعرف بالله من الجهمية  
وكذلك كفار قريش كانوا مع شركهم مقرين بصفات الصانع سبحانه  
وعلوه على خلقه، وقال تعالى {واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم  
عجلا جسدا له خوار. ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه  
وكانوا ظالمين} (٢) فلو كان إله الخلق سبحانه كذلك لم يكن في هذا  
إنكار عليهم، واستدلال على بطلان الإلهية بذلك.

فإن قيل: فإله تعالى لا يكلم عباده. قيل: بلى، قد كلمهم، فمنهم من  
كلمه الله من وراء حجاب، منه إليه بلا واسطة، كموسى، ومنهم من  
كلمه الله على لسان رسوله الملكي. وهم الأنبياء. وكلم الله سائر الناس  
على السنة رسله. فأنزل عليهم كلامه الذي بلغته رسله عنه. وقالوا  
لهم: هذا كلام الله الذي تكلم به وأمرنا بتبليغه إليكم. ومن هنا قال  
السلف: من أنكر كون الله متكلماً فقد أنكر رسالة الرسل كلهم، لأن  
حقيقتها تبليغ كلامه الذي تكلم به إلى عباده، فإذا انتفى كلامه انتفت  
الرسالة وقال تعالى عن السامري (فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار  
فقالوا هذا إلهكم وإله موسى، فنسي، أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا

(١) سورة مريم الآية ٤٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٨.

ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) (١) ورجع القول: هو التكلم والتكليم. وقال تعالى (ضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم) (٢) فجعل نفي صفات الكلام موجبا لبطلان الإلهية. وهذا أمر معقول بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية: أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلها، ولا مدبرا، ولا ربا، بل هو مذموم معيب ناقص، ليس له الحمد، لا في الأولى، ولا في الآخرة. وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال، ونعوت الجلال، التي لأجلها استحق الحمد. ولهذا سمي السلف كتبهم التي صنفوها في السنة وإثبات صفات الرب وعلوه على خلقه، وكلامه وتكليمه: توحيدا. لأن نفي ذلك وإنكاره والكفر به إنكار للصانع، وجد له، وإنما توحيدة: إثبات صفات كماله، وتنزيهه عن الشبيه والنقائص. فجعل المعطلة جحد الصفات وتعطيل الصانع عنها توحيدا، وجعلوا إثباتها لله تشبيها وتجيما وتركيبا. فسموا الباطل باسم الحق، ترغيبا فيه، وزخرفا ينفقونه به. وسموا الحق باسم الباطل تنفيرا عنه، والناس أكثرهم مع ظاهر السكة، ليس لهم نقد النقاد(من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) (٣) والمحمود لا يحمد على العدم والسكوت البتة، إلا إذا كانت سلب

(١) سورة طه الآية ٨٨-٨٩.

(٢) سورة النحل الآية ٧٦.

(٣) سورة الكهف الآية ١٧.

عيوب ونقائص تتضمن إثبات أضعافها من الكمالات الثبوتية، وإلا فالسلب المحض لا حمد فيه ولا مدح ولا كمال (١)

### رده على أهل البدع والأهواء والنحل:

ويرد ابن القيم في تفسيره على أهل البدع والأهواء والنحل مفسرا الآية {غير المغضوب عليهم} يقول وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه (الضالين) وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه. مشيرا إلى أن هذه الآية تتضمن الرد على جميع أهل البدع بأوضح البيان وأحسن الطرق ثم يذكر فصلين في الرقية بالفاتحة وتأثيرها مستشهدا بحديث أبي سعيد وبعض تحليلات نفسية وبتجاربه ثم يقول فصل في اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل، والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة (٢)

ويقول سمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى الدليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها. وإذا بطل قول هؤلاء بطل قول أهل الإلحاد: القائلين (بوحدة الوجود) وأنه ما ثم وجود قديم خالق ووجود حادث مخلوق، بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله، وهو حقيقة، وجود هذا العالم فليس عند القوم رب وعبد، ولا مالك

(١) التفسير القيم ٢٤ - ٢٦.

(٢) انظر التفسير القيم صفحة ٤٩.

ومملوك، ولا راحم ومرحوم، ولا عابد ومعبود (١) ولا مستعين  
 ومستعان به، ولا هاد ولا مهدي ولا منعم ولا منعم عليه، ولا غضبان  
 ومغضوب عليه، بل الرب هو نفس العبد وحقيقته، والمالك هو عين  
 المملوك، والراحم هو عين المرحوم، والعابد هو نفس المعبود. وإنما  
 التغيرات أمر اعتباري بحسب مظاهر الذات وتجلياتها. فتظهر تارة في  
 صورة معبود، كما ظهرت في صورة فرعون، وفي صورة عبد، كما  
 ظهرت في صورة العبيد، وفي صورة هاد، كما في صورة الأنبياء  
 والرسل والعلماء والكل من عين واحد، بل هو العين الواحدة، فحقيقة  
 العابد ووجوده أو إنيته هي حقيقة المعبود ووجوده وإنيته.

والفاتحة من أولها إلى آخرها تبين بطلان قول هؤلاء الملاحدة  
 وضلالهم (٢) نوع ينفي بما ينته لخلقهم، ويقولون: لا مباين ولا  
 محايث، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه  
 ولا عن يساره، ولا خلفه ولا أمامه، ولا فيه ولا بائن عنه.

فتضمنت الفاتحة للرد على هؤلاء من وجهين:

إثبات ربوبيته تعالى للعالم. فإن الربوبية المحضة تقتضي مباينة  
 الرب للعالم بالذات، كما باينهم بالربوبية، وبالصفات والأفعال، فمن لم  
 يثبت ربا مباينا للعالم فما أثبت ربا فإنه إذا نفى المباينة لزمه أحد  
 أمرين، لزوما لا انفكاك له عنه البتة: إما أن يكون هو نفس هذا

(١) قال ابن العربي الحاتمي:

العبد رب والرب عبد  
 يا ليت شعري أن يكلف؟  
 إن قلت عبد فذاك رب  
 أو قلت رب أن يكلف؟

(٢) التفسير القيم صفحة ٥١.



العالم، وحينئذ يصح قوله. فإن العالم لا يباين ذاته ونفسه، ومن ههنا دخل أهل الوحدة، وكانوا معطلة أولاً، واتحادية ثانياً.

وأما أن يقول: ما ثم رب يكون مبايناً ولا محايداً، ولا داخلاً ولا خارجاً، كما قالته الدهرية المعطلة للصانع (١). وإلى آخر ما يفصل فيه ابن القيم في تفسيره ثم يسرسل في تفصيله فيقول:

ثم المثبتون للخالق تعالى نوعان: أهل التوحيد، وأهل إشراك. وأهل الإشراك نوعان: أحدهما أهل الإشراك به في ربوبيته وإلهيته، كالمجوس ومن ضاهاهم من القدرية، فإنهم يثبتون مع الله خالقاً آخر، وإن لم يقولوا: إنه مكافئ له، والقدرية المجوسية تثبت مع الله خالقين للأفعال. ليس أفعالهم مقدورة لله، ولا مخلوقة لهم، وهي صادرة بغير مشيئته ولا قدرة له عليها، ولا هو الذي جعل أربابها فاعلين لها، بل هم الذين جعلوا أنفسهم شائين مرادين فاعلين. فربوبية العالم الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوال هؤلاء كلهم لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال.

وحقيقة قول القدرية المجوسية: أنه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان، ولا تناولتها ربوبيته وكيف تتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه؟ مع أن في عموم حمده ما يقتضي حمده على طاعات خلقه، إذ هو المعين عليها والموفق لها، وهو الذي شاءها منهم، كما قال في غير موضع من كتابه (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) فهو المحمود عليها في الحقيقة. وعندهم: أنهم هم المحمودون عليها، ولهم الحمد

(١) نفس المصدر صفحة ٥٢.

على فعلها، وليس لله حمد على نفس فاعليتها عندهم، ولا على ثوابه  
وجزائه عليها (١)

### رده على أهل الزندقة والمجوس والفلاسفة:

يقول ابن القيم عند تفسير لقوله تعالى: {شهد الله أنه لا إله إلا هو} (٢)  
ولا يقوم بهذه الشهادة على وجهها من جميع الطوائف. إلا أهل السنة،  
وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها.

فالفلاسفة أشد الناس إنكاراً لها، وجحوداً لمضمونها من أولها إلى  
آخرها وطوائف الاتحادية: هم أبعد خلق الله منها من كل وجه.  
وطائفة الجهمية: تنكر حقيقتها من وجوه. منها إن الإله هو الذي تالله  
القلوب محبة له واشتياقاً إليه، وإنابة. وعندهم إن الله لا يحب ولا  
يحب.

ومنها أن الشهادة كلامه وخبره عما شهد به وهو عندهم لا يقول ولا  
يتكلم ولا يشهد ولا يخبرز ومنها أنها تضمنت مباينته لخلقه بذاته  
وصفاته وعند فرعونهم أنه لا يبين الخلق ولا يحايتهم، وليس فوق  
العرش إله يعبد، ولا رب يصلى له ويسجد وعند حلوليتهم: أنه حال  
في كل مكان بذاته، حتى في الأمكنة التي يستحي من ذكرها فهؤلاء  
الجهمية، وأولئك نفاتهم.

ومنها أن قيامه بالقسط في أفعاله وأقواله وعندهم أنه لم يقم به فعل،  
ولا قول البتة، وأن قوله مخلوق من بعض المخلوقات، وفعله هو  
المفعول المنفصل فأما أن يكون له فعل يكون به فاعلاً حقيقة فلا.  
ومنها: أن القسط عندهم لا حقيقة له، بل كل ممكن فهو قسط. وليس

(١) التفسير القيم صفحة ٥٣.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨.

في مقدوره ما يكون ظلما ولا قسطا، بل الظلم عندهم هو المحال الممتنع لذاته. والقسط هو الممكن، فنزه نفسه سبحانه على قولهم عن المحال الممتنع لذاته، الذي لا يدخل تحت القدرة. ومنها: أن العزة هي القوة والقدرة. وعندهم: لا يقوم به صفة. ومنها: أن الحكمة هي الغاية التي يفعل لأجلها، وتكون هي المطلوبة بالفعل، ويكون وجودها أولى من عدمها. وهذا عندهم ممتنع في حقه سبحانه وتعالى. فلا يفعل لحكمة، ولا غاية لفعله ولا أمره. ومآثم إلا محض المشيئة المجردة عن الحكمة والتعليل. ومنها: أن الإله: هو الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی. وهو الذي يفعل بقدرته، ومشیئته وحكمته. وهو الموصوف بالصفات والأفعال، المسمى بالأسماء التي قامت به حقائقها ومعانيها. وهذا لا يثبت على الحقيقة إلا أتباع الرسل، وهم أهل العدل والتوحيد على الحقيقة.

فالجهمية والمعتزلة: تزعم أن ذاته لا تحب ووجهه لا يراد، ولا يلتذ بالنظر إليه، ولا تشاق القلوب إليه، فهم في الحقيقة منكرون لإلهيته. والقدرية: تنكر دخول أفعال الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوان تحت قدرته ومشیئته وخلقه. فهم منكرون في الحقيقة لكمال عزته وملكه.

الجبرية: تنكر حكمته، وأن يكون له في أفعاله وأوامره غاية يفعل ويأمر لأجلها فهم منكرون في الحقيقة لحكمته وحمده.

وأتباع ابن سينا والنصير الطوسي وفروضهما: ينكرون أن يكون بهم ماهية غير الوجود المطلق، وأن يكون له وصف ثبوتي زائد على ماهية الوجود فهم في الحقيقة منكرون لذات ربنا وصفاته وأفعاله، ولا يتحاشون من ذلك.

والاتحادية: أدهى وأمر. فإنهم رفعوا القواعد من الأصل، وقالوا: ماثم وجود خالق ووجود مخلوق، بل الخلق المشبه هو عين الحق المنزه، كل ذلك من عين واحدة، بل هو العين الواحدة.

فهذه الشهادة العظيمة: كل هؤلاء هم بها غير قائمين. وهي متضمنة لإبطال ما هم عليه ورده، كما تضمنت إبطال ما عليه المشركون ورده. وهي مبطللة لقول طائفتي الشرك والتعطيل. ولا يقوم بهذه الشهادة إلا أهل التوحيد والإثبات الذين يثبتون لله ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفون مماثلة المخلوقات، ويعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً (١).

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {يبيغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم} (٢) بعد أن يفسر ابن القيم ما قاله قتادة وابن إسحاق فيقول فإن قيل: أنبغاثهم إلى طاعته طاعة له، فكيف يكرهها؟ وإذا كان سبحانه يكرهها فهو يحب ضده لا محالة، إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر فيكون قعودهم محبوباً له، فكيف يعاقبهم عليه.

قيل: هذا سؤال له شأن، وهو من أكبر الأسئلة في هذا الباب، وأجوبة الطوائف على حسب أصولهم.

فالجبرية: تجيب عنه بأن أفعاله لا تعلل بالحكم والمصالح. وكل ممكن فهو جائز عليه، ويجوز أن يعذبهم على فعل ما يحبه ويرضاه وترك ما يبغضه ويسخطه والجميع بالنسبة إليه سواء.

وهذه الفرقة قد سدت على نفسها باب الحكمة والتعليل.

(١) التفسير القيم ١٨٥-١٨٧.

(٢) سورة التوبة الآية ٤٧.

والقدرية: تجيب عنه على أصولها بأنه سبحانه لم يثبطهم حقيقة ولم يمنعهم، بل هم منعوا أنفسهم، وثبطوها عن الخروج، وفعلوا ما لا يريد. ولما كان في خروجهم المفسدة التي ذكرها الله سبحانه ألقى في نفوسهم كراهة الخروج مع رسوله. قالوا: وجعل سبحانه إلقاء كراهة الإنبيات في قلوبهم كراهة مشيئته من غير أن يكره هو سبحانه أنبيعائهم، فإنه أمرهم به.

قالوا: وكيف يأمرهم بما يكرهه. ولا يخفى على من نور الله بصيرته فساد هذين الجوابين وبعدهما من دلالة القرآن.

أما الجواب الصحيح فنتركه لمن أراد التوسع والإطلاع (١) وهناك أمثلة وشواهد كثيرة في تفسير ابن القيم حيث يرد على جميع أهل الزندقة والفلاسفة والجبرية والقدرية والمعطلة وغيرهم ولكن لا مجال لذكرها في بحثنا هذا حيث لا يتسع المقام لإيرادها ونكتفي بهذا القدر.

### مناقشاته لآراء العلماء:

يورد ابن القيم من خلال تفسيره للآيات آراء العلماء ويفندها ويناقش بعضها مع البعض ثم يرجح الصحيح منها ونورد أمثلة على ذلك في رده على الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: {ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض} (٢) يقول ابن القيم وقال الزمخشري: المعنى: ولو لزم آياتنا لرفعناه بها، فذكر المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه، كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها. قال: ألا ترى إلى قوله (ولكنه أخلد) فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله. فوجب أن يكون: ولو شئنا ف في معنى ما هو فعله، ولو كان الكلام على ظاهره

(١) التفسير القيم ٢٩٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٦.

لوجب أن يقال ولو شئنا لرفعناه، ولكننا لم نشأن. يقول ابن القيم: فهذا من الزمخشري شنشنة نعرفها من قدري ناف للمشيئة العامة، مبعـد للنجعة في جعل كلام الله معتزليا قدريا. فأين قوله (ولو شئنا) من قوله: ولو لزمها، ثم إذا كان اللزوم لها موقوفا على مشيئة الله وهو الحق بطل أصله.

وقوله: إن مشيئة الله تابعة للزوم الآيات من أفسد الكلام وأبطله، بل لزومه لآياته تابع لمشيئة الله، فمشيئة الله سبحانه متبوعة لا تابعة. وسبب لا مسبب، وموجب مقتضى لا مقتضى فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده (١)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى {قلنا اهبطوا منها جميعا} (٢) يقول ابن القيم قد ظن الزمخشري أن قوله (اهبطوا منها جميعا) خطاب لآدم وحواء خاصة، وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما نزياتهما. قال: والدليل عليه قوله تعالى {قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو} (٣) قال: ويدل على ذلك قوله {فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم، ومعنى قوله {بعضكم لبعض عدو} ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضا.

وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية. فإن العداوة التي ذكرها الله تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما، كما قال تعالى {إن

(١) التفسير القيم صفحة ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٨.

(٣) سورة طه الآية ١٢٣.

الشیطان لكم عدو فاتخذوه عدوا<sup>(١)</sup> وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشیطان والإنسان، وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو. وأما آدم وزوجه فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها له ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة.

فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته والعداوة بين الشیطان والإنسان. وقد تقدم ذكر آدم وزوجه وإبليس، وهم ثلاثة، فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور، مع منافرتهم لطريق الكلام دون جميعه مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه. فلم يصنع الزمخشري شيئاً<sup>(٢)</sup>

وعند تفسيره لقوله تعالى: {وقالوا قلوبنا غلف، بل لعنهم الله بكفرهم<sup>(٣)</sup>} يقول ابن القيم وقد اختلف في معنى قولهم {قلوبنا غلف} فقالت طائفة: المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم. فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به أو لا تحتاج إليك وعلى هذا فيكون {غلف} جمع غلاف. والصحيح قول أكثر المفسرين إن المعنى قلوبنا لا تفقهه، ولا تفهم ما تقول. وعلى هذا فهو جمع أغلف، كأحمر وحمر. قال أبو عبيدة: كل شيء في غلاف فهو أغلف، كما يقال: سيف أغلف، وقوس أغلف، ورجل أغلف، غير مختون. وقال ابن عباس وقتادة على قلوبنا غشاوة، فهي في أوعية، فلا تعي ولا تفقه ما تقول.

وهذا هو الصواب في معنى الآية لتكرر نظائره في القرآن. كقولهم {قلوبنا في أكنة<sup>(٤)</sup>} وقوله تعالى: {كانت أعينهم في غطاء عن

(١) سورة فاطر الآية ٦.

(٢) التفسير القيم صفحة ١٣٤-١٣٥.

(٣) سورة البقرة الآية ٨٨.

(٤) سورة فصلت الآية ٥.

ذكرى}{(١) ونظائر ذلك وأما قول من قال: هي أوعية للحكمة، فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة. وليس له في القرآن نظير يحمل عليه، ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة، فأين وجدتم في الاستعمال قول قائل: قلبي غلاف، وقلوب المؤمنين العالمين غلف، أي أوعية للعلم(٢)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {فتمنوا الموت إن كنتم صادقين}(٣) يقول ابن القيم هذه الآية فيها للناس كلام معروف.

قالوا إنها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، أعجز بها اليهود، ودعاهم إلى تمني الموت، وأخبر أنهم لا يتمنونه أبداً، وهذا علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، إذ لا يمكن الإطلاع على بواطنهم إلا بأخبار عالم الغيب، ولن ينطق الله ألسنتهم بتمنيه أبداً.

وقالت طائفة: لما أدعت اليهود أن لهم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس، وأنهم أبناؤه وأحباؤه وأهل كرامته. كذبهم الله في دعواهم، وقال: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، لتصلوا إلى الجنة دار النعيم، فإن الحبيب يتمنى لقاء حبيبه. ثم أخبر سبحانه أنهم لا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم من الأوزار والذنوب الحائلة بينهم وبين ما قالوه. فقال(ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين).

وقالت طائفة، منهم محمد بن إسحاق وغيره: هذه من جنس آية المباهلة، وأنهم لما عاندوا، ودفعوا الهدى عياناً، وكتموا الحق دعاهم إلى أمر يحكم بينهم وبينه. وهو أن يدعوا بالموت على الكاذب

(١) سورة الكهف الآية ١٠١.

(٢) التفسير القيم صفحة ١٣٦-١٣٧.

(٣) سورة البقرة الآية ٩٤.



المفتري، والتمنى: سؤال ودعاء، فتمنوا الموت: أي سلوه، وادعوا به على المبطل الكاذب المفتري.

يقول ابن القيم وعلى هذا: فليس المراد تمنوه لأنفسكم خاصة، كما قاله أصحاب القولين الأولين بل ادعوا بالموت وتمنوه للمبطل. وهذا أبلغ في إقامة الحجة، وبرهان الصدق، وأسلم من أن يعارضوا بقولهم: فتمنوه أنتم أيضا إن كنتم محقين في دعواكم أنكم أهل الجنة، لتقدموا على ثواب الله وكرامته، وكانوا أحرص شئ على معارضته. فلو فهموها منه ما ذكره أولئك لعارضوه بمثله. وايضا فأنا نشاهد كثيرا منهم يتمنى الموت لفقره وبلائه وشدة حاله، ويدعو به، وهذا بخلاف تمنيه والدعاء به على الفرقة الكاذبة، فإن هذا لا يكون أبدا، ولا وقع من أحد منهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم البتة. وذلك لعلمهم بصحة نبوته وصدقته، وكفرهم به حسدا وبغيا، فلا يتمنونه أبدا، لعلمهم أنهم هم الكاذبون. وهذا القول هو الذي نختاره. والله أعلم بما أراد من كتابه. (١)

### رده على أبو إسماعيل محمد الهروي:

عند تفسيره لقوله تعالى: {ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى} (٢) يقول كأن الشيخ \_ يعني الهروي \_ فهم من الآية: إن الذي دنى فتدلى فكان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى هو الله عز وجل. وهذا وإن كان قد قاله جماعة من المفسرين فالصحيح إن ذلك هو جبريل عليه السلام. فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى

(١) التفسير القيم صفحة ١٣٨-١٣٩.

(٢) سورة النجم الآية ٨.

قوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) (١) هكذا فسرہ النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح. قالت عائشة رضي الله عنها (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال: ذاك جبريل، لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين) ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه:

أحدها: أنه قال (علمه شديد القوى) وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير فقال: {إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين} (٢)

الثاني: أنه قال (ذو مرة) أي حسن الخلق، وهو الكريم في سورة التكوير.

الثالث: أنه قال (فاستوى وهو بالأفق الأعلى) وهو ناحية السماء العليا. وهذا استواء جبريل بالأفق. وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه.

الرابع: أنه قال (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) فهذا دنو جبريل وتدليه إلى الأرض، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم فوق السماوات. فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى. فالدنو والتدلي في الحديث غير الدنو والتدلي في الآية. وإن اتفقا في اللفظ.

الخامس: أنه قال (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) والمرئسي عند السدرة هو جبريل قطعاً. وبهذا فسرہ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعائشة (ذاك جبريل).

(١) سورة النجم الآية ١٣/١٤.

(٢) سورة التكوير الآية ١٩-٢٠.

السادس: أن معنى الضمير في قوله (ولقد رآه) وقوله (ثم دنى فتدلى) وقوله (فاستوى) وقوله (وهو بالأفق الأعلى) واحدة. فلا يجوز أن يخالف بين المفسر والمفسر من غير دليل.

السابع: أنه سبحانه ذكر في هذه السورة الرسولين الكريمين: الملكي، والبشري. ونزه البشري عن الضلال والغواية، والملكي عن أن يكون شيطانا قبيحا ضعيفا، بل هو قوي كريم حسن الخلق. وهذا نظير المذكور في سورة التكوير سواء.

الثامن: أنه أخبر هناك: أنه رآه بالأفق المبين، وههنا: أنه رآه بالأفق الأعلى. وهو واحد وصف بصفتين، فهو مبين وأعلى، فإن الشئ كلما علا بان وظهر.

التاسع: أنه قال (نومرة) والمره: الخلق الحسن المحكم. فأخبر عن حسن خلق الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ساق الخبر كله عنه نسقا واحدا.

العاشر: أنه لو كان خبرا عن الرب تعالى لكان القرآن قد دل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه سبحانه مرتين: مرة بالأفق، ومرة عند السدرة. ومعلوم أن الأمر لو كان كذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم (أنى أراه) وقد سأله: هل رأيت ربك قال (نور، أنى أراه) فكيف يخبر القرآن أنه رآه مرتين، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنى أراه) وهذا أبلغ من قوله (لم أراه) لأنه مع النفي يقتضي الأخبار عن عدم الرؤية فقط. وهذا يتضمن النفي وطرقا من الإنكار على السائل، كما إذا قال لرجل: هل كان كيت وكيت؟ فيقول كيف يكون ذلك.

الحادي عشر: أنه لم يتقدم للرب جل جلاله ذكر يعود الضمير عليه في قوله (ثم دنى فتدلى) والذي يعود الضمير عليه لا يصلح له، وإنما هو لعبده.

الثاني عشر: أنه كيف يعود الضمير إلى ما لم يذكر، ويترك عودة إلى المذكور، مع كونه أولى به.

الثالث عشر: أنه قد تقدم ذكر (صاحبكم) وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، ثم ذكر بعده شديد القوى. ذا المرة، وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، والخير كله عن هذين المفسرين، وهما الرسول الملكي، والرسول البشري .

الرابع عشر: أنه سبحانه أخبر أن هذا الذي دنى فتدلى: كان بالأفق الأعلى وهو أفق السماء، بل هو تحتها، قد دنى من الأرض، فتدلى من رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم، ودنو الرب تعالى وتدليبه على ما في حديث شريك: كان من فوق العرش، لا إلى الأرض.

الخامس عشر: أنهم لم يماروه صلوات الله وسلامه عليه على رؤية ربه، ولا أخبرهم بها لتقع مما رأتهم له عليها. وإنما ما روه على رؤية ما أخبرهم من الآيات التي أراه الله إياها. ولو أخبرهم برؤية الرب تعالى لكانت مما رأتهم له عليها أعظم من مما رأتهم على رؤية المخلوقات .

السادس عشر: أنه سبحانه قرر صحة ما رآه. وأن مما رأتهم له على ذلك باطلة بقوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان المرئي هو الرب سبحانه وتعالى والممارسة على ذلك منهم: لكان تقرير تلك الرؤية أولى، والمقام إليها أحوج والله أعلم (١).

(١) التفسير القيم ٤٥٢-٤٥٤.

ففرى ابن القيم قد رد على الهروي بمناقشة مطولة تضمنت ستة عشر نقطة أو دليل. ويخطئ أبو إسحاق عند تفسيره لكلمة (ران) ويقول (أخطأ أبو إسحاق) (١). وما إلى ذلك من المناقشات والأمثلة الكثيرة والمطولة في تفسيره التي يرد فيها على الكثير من العلماء لا مجال لذكرها الآن.

### عنايته باللغة:

نرى الإمام ابن القيم يعتني باللغة كثيرا فلا تكاد تمر كلمة إلا وبين معناها باللغة بصورة مفصلة ويستشهد بشواهد شعرية مما قالته العرب وهاك أمثلة على ذلك فمثلا:

عند تفسيره لقوله تعالى: {ختم الله على قلوبهم} (٢)

يقول (الختم) قال الأزهرى: أصله التغطية، وختم البذر في الأرض، إذا غطاه قال أبو إسحاق: معنى (ختم) وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق منه، فلا يدخله شيء، كما قال تعالى {أم على قلوب أفعالها} (٣) وكذلك وقوله {أولئك الذين طبع الله على قلوبهم} (٤) قلت (الختم) والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق (٥).

(١) نفس المصدر صفحة ٥٠٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٧.

(٣) سورة محمد الآية ٢٤.

(٤) سورة محمد الآية ١٦.

(٥) التفسير القيم صفحة ١١٣.

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: {ولهم فيها أزواج مطهرة} (١) يقول ابن القيم (الأزواج) جمع زوج والمرأة زوج الرجل وهو زوجها. هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله {أسكن أنت وزوجك الجنة} (٢) ومن العرب من يقول: زوجة، وهو نادر، ولا يكادون يقولونه. وقال تعالى في حق زكريا (وأصلحنا له زوجة) (٣) ومن الثاني: قول ابن عباس في عائشة رضي الله عنها (أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة).  
وقال الفرزدق:

وإن الذي يبغى ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الثرى يستبينها (٤)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم} (٥) يقول (الخبث) في أصل اللغة: المكان المنخفض من الأرض، وبه فسر ابن عباس وقتادة لفظ (المخبتين) وقالوا هم المتواضعون. وقال مجاهد: المخبت: المطمئن إلى الله عز وجل. قال والخبث المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعون. وقال إبراهيم النخعي: المصلون المخلصون، وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا أظلموا لم

(١) سورة البقرة الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٥.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٠.

(٤) التفسير القيم ١٢٩، ١٣١.

(٥) سورة هود الآية ٢٣.

ينتصروا (١) وعند تفسيره لقوله تعالى: {فهي إلى الأذقان فهم  
مقمحون} (٢)

يقول وقوله (فهم مقمحون) قال الفراء والزجاج : المقمح: هو الغاض  
بصره بعد رفع رأسه. ومعنى الأقمح في اللغة رفع الرأس وعض  
البصر. يقال أقمح البعير رأسه، وقمح، وقال الأصمعي: بعير قامح إذا  
رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب. قال الأزهري: لما غلت أيديهم  
إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤسهم صعدا كالإبل الرافعة  
رؤسها انتهى. (٣)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {كذلك وزوجناهم بحور عين} (٤)  
يقول (والحور) جمع حوراء. وهي المرأة الشابة الحسنة، الجميلة،  
البيضاء شديدة سواد العين، وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار  
فيها الطرف، وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف، من رقة  
الجلد، وصفاء اللون، وقال الحسن:

الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين. واختلف في اشتقاق  
هذه اللفظة. فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب: البيض. وكذلك  
قال قتادة: والحور البيض. وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه وقال  
مجاهد: الحور العين: التي يحار فيهن الطرف، بادية مخ سوقهن من  
وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كالمرأة من رقة  
الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق. وليست اللفظة مشتقة من

(١) التفسير القيم صفحة ٣١٠.

(٢) سورة ياسين الآية ٨.

(٣) التفسير القيم صفحة ٤١١.

(٤) سورة الدخان الآية ٥٤.

الحيرة وأصل الحور: البياض، والتحوير التبييض. والصحيح: ان الحور مأخوذ من الحور في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها. فهو يتضمن الأمرين. وفي الصحاح للجوهري (الحور) شدة بياض العين في شدة سوادها، وامرأة حوراء بينة الحور. وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها، مثل أعين الظباء والبقر. وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء: حور العين. لأنهن شبهن بالضباء والبقر. وقال الأصمعي: ما أدري ما الحور في العين.

قلت: أي ابن القيم، خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة، ورد الحور إلى السواد، والناس غيره إنما رده إلى البياض، وإلى بياض في سواد. والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما، واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر. ويقال عين حوراء، إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد (١)

### اهتمامه بالنحو:

أما في النحو فنجد الإمام ابن القيم يسهب ويسترسل في النحو أقوال النحاة ويرد بعض الأحيان على الزمخشري في آرائه النحوية ويورد آراء سيبويه والبصريين والكوفيين ويشير إلى مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي كما أنه يستشهد بما قالته العرب وما قاله الشعراء في شعرهم.

ونورد أمثلة من تفسيره فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: {وأصابه الكبر} (٢) يقول فإن قيل: الواو في قوله تعالى (وأصابه الكبر) واو

(١) التفسير القيم صفحة ٤٣٥-٤٣٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٦.



الحال أم واو العطف؟ وإذا كانت للعطف فعلام عطف ما بعدها؟  
قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أنها واو الحال، اختاره الزمخشري، والمعنى أيود أحدكم أن تكون له جنة شأنها كذا وكذا في حال كبره وضعف ذريته. والثاني: أن تكون للعطف على المعنى، فإن فعل التمني وهو قوله: {أيود أحدكم} لطلب الماضي كثيرا. فكان المعنى: أيود لو كانت له جنة، من نخيل وأعناب وأصابه الكبر فجرى عليها ما ذكر (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين} (٢) يقول ابن القيم: وهنا تقديرات:

أحدها: أن تكون الواو عاطفة (من) على الكاف المجرورة، ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار على المذهب المختار. وشواهد كثيرة وشبه المنع منه واهية.

والثاني: أن تكون الواو واو المعية وتكون (من) في محل نصب عطفًا على الموضع. فإن (حسبك) في معنى كافيك، أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك، كما تقول العرب: حسبك وزيدا درهم قال الشاعر:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا      فحسبك والضحاك سيف مهند

وهذا أصح التقديرين:

وفيها تقدير ثالث: أن تكون (من) في موضع رفع بالإبتداء أي ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله ومنها تقدير رابع وهو خطأ من جهة المعنى وهو أن يكون (من) في موضع رفع عطفًا على اسم الله، ويكون المعنى حسبك الله وأتباعك. هذا وإن قال به بعض الناس فهو

(١) التفسير القيم صفحة ١٦٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٤.

خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه فإن الحسب والكفاية لله وحده،  
كالتوكل والتقوى والعبادة. قال الله تعالى: { وإن يريدوا أن يخدعون  
فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين } ففرق بين الحسب  
والتأييد فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى: { قل اللهم مالك الملك } (٢)

واختلف النحاة في الميم المشددة من آخر الاسم فقال سيبويه: زِيدت  
عوضاً من حرف النداء. ولذلك لا يجوز الجمع بينهما في اختيار  
الكلام، فلا يقال (يا اللهم) إلا فيما ندر، كقول الشاعر:

إني إذا ما حدث ألما      أقول يا اللهم يا ألهم

ويسمى ما كان من هذا الضرب عوضاً. إذ هو في غير محل  
المحذوف. فإن كان في محله سمي بدلاً، كالالف في (قام، باع) فإنها  
بدل من الواو والياء. ولا يجوز عنده أن يوصف هذا الاسم أيضاً. فلا  
يقال يا اللهم الرحيم ارحمني، ولا يبدل منه، والضمة التي على الهاء  
ضمة الاسم المنادى المفرد. وفتحت الميم لسكونها وسكون الميم التي  
قبلها. وهذا من خصائص هذا الاسم، كما اختص بالياء في القسم.  
وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف، و بقطع همزة وصله في  
النداء، وبتفخيم لأمه وجوبا غير مسبوق بحرف إطباق. وهذا ملخص  
مذهب الخليل وسيبويه. وقيل: الميم عوض عن جملة محذوفة،  
والتقدير: يا الله أمانا بخير، أي أقصدنا ثم حذف الجار والمجرور،  
وحذف المفعول. فبقي في التقدير: يا الله أم. ثم حذفت الهمزة، لكثرة  
دوران هذا الاسم في الدعاء على سنتهم، فبقي (يا اللهم) وهذا قول

(١) التفسير القيم صفحة ٢٩٢.

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٦.

الفراء. وصاحب هذا القول يجوز دخول (يا) عليه. ويحتج بقول الشاعر:

(يا اللهم ما أردد علينا سحا مسلما)

وبالبيت المتقدم وغيرهما. ورد البصريون هذا بوجه:

أحدها: أن هذه التقادير لا دليل عليها، ولا يقتضيها القياس، فلا يصار إليها بغير دليل.

الثاني: أن الأصل عدم الحذف، فتقدير هذه المحذوفات الكثيرة خلاف الأصل.

الثالث: أن الداعي بهذا قد يدعو بالشر على نفسه وعلى غيره. فلا يصح هذا التقدير فيه.

الرابع: أن الاستعمال الشائع الفصيح يدل على أن العرب لم تجمع بين (يا) و(اللهم) ولو كان أصله ما ذكره الفراء لم يمتنع الجمع، بل كان استعماله فصيحاً شائعاً. والأمر بخلافه.

الخامس: أنه لا يمتنع أن يقول الداعي: اللهم أماناً بخير. ولو كان التقدير كما ذكره لم يجز الجمع بينهما، لما فيه من الجمع بين العوض والمعوض عنه.

السادس: أن الداعي بهذا الاسم لا يخطر ذلك بباليه، وإنما تكون عنايته مجردة إلى المطلوب بعد ذكر الاسم.

السابع: أنه لو كان التقدير ذلك لكان (اللهم) جملة تامة، يحسن السكوت عليها لاشتمالها على الاسم المنادى. وفعل الطلب . وذلك باطل.

الثامن: أنه لو كان التقدير ما ذكره لكتب فعل الأمر وحده، ولم يوصل باسم المنادى، كما يقال: يا الله مه، يا زيد عه، يا عمرو فه، لأن

الفعل لا يوصل بالاسم الذي قبله حتى يجعل في الخط كلمة واحدة. هذا لا نظير له في الخط وفي الاتفاق على وصل الميم باسم الله دليل على أنها ليست بفعل مستقل.

التاسع: أنه لا يسوغ ولا يحسن في الدعاء أن يقول العبد: اللهم أمني بكذا بل هذا مستكره من اللفظ والمعنى. فإنه لا يقال: اقصدني بكذا إلا لمن كان يعرض له الغلط والنسيان، فيقول له: اقصدني وأما من كان لا يفعل إلا بإرادته، ولا يضل ولا ينسى. فلا يقال له: اقصد كذا.

العاشر: أنه يسوغ استعمال هذا اللفظ في موضع لا يكون بعده دعاء. كقوله صلى الله عليه وسلم (اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله وقوله (اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك، وملائكتك وجميع خلقك: أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك) وقوله تعالى: {قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء} (١) وقوله تعالى: قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون} (٢) وقول النبي صلى الله عليه وسلم في ركوعه وسجوده (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي). فهذا كله لا يسوغ فيه التقدير الذي ذكره. والله أعلم.

وقيل: زيدت الميم للتعظيم والتفخيم، كزيادتها في زرقم، لشديد الزرقة، وابنم في ابن، وهذا القول صحيح. لكن يحتاج إلى تنمة.

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦.

(٢) سورة الزمر الآية ٤٦.

وقائله لحظ معنى صحيحا، لا بد من بيانه، وهو أن الميم تدل على الجمع وتقتضيه، ومخرجها يقتضي ذلك. وهذا مطرد على أصل من أثبت المناسبة بين اللفظ والمعنى، كما هو مذهب أساطين العربية وعقد له أبو الفتح ابن جنى بابا في الخصائص. وذكره عن سيبويه، واستدل عليه بأنواع من تناسب اللفظ والمعنى (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {جنات عدن مفتحة لهم الأبواب} (٢) يقول ابن القيم وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة، فقال الكوفيون: التقدير مفتحة لهم أبوابها. والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة. فيقولون: مررت برجل حسن العين، أي عينه، ومنه قوله تعالى: {فإن الجحيم هي المأوى} أي مأواه. وقال بعض البصريين: التقدير مفتحة لهم الأبواب منها. فحذف الضمير وما اتصل به قال: وهذا التقدير في العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلا من الهاء والألف. لأن المعنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء، لأن الهاء والألف اسم، والألف واللام دخلتا للتعريف. فلا يبدل حرف من اسم، ولا ينوب عنه. قالوا: وأيضا لو كانت الألف واللام بدلا من الضمير لوجب أن يكون في (مفتحة) ضمير الجنات ويكون المعنى: مفتحة هي، ثم أبدل منها الأبواب ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب، لكون (مفتحة) قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر، لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد. فلما ارتفع (الأبواب) دل على أن (مفتحة) حال من ضمير و(الأبواب) مرتفعة به، وإذا كان في الصفة

(١) التفسير القيم صفحة ٢٠٢-٢٠٥.

(٢) سورة ص الآية ٥٠.

ضمير تعين نصب الثاني، كما تقول: مررت برجل حسن الوجه، ولو رفعت الوجه ونونت (حسنا) لم يجز. فالألف واللام إذا للتعريف ليس إلا فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو (جنات عدن) ولا ضمير في اللفظ. فهو محذوف، تقديره: الأبواب منها، وعندني أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين: فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف والسلام خلف و عوض عن الضمير تغني عنه. وإجماع العرب على قولهم: حسن الوجه، وحسن وجهه، شهد بذلك وقد قالوا: إن التتوين بدل من الألف واللام، بمعنى أنهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلا من التتوين والتتوين بدلا من الإضافة بمعنى التعاقب والتوارد. ولا يريدون بقولهم: هذا بدل من هذا: أن معنى البديل معنى المبدل منه، بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر. فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام في (الأبواب) أغنت عن الضمير أو قيل: ابوابها، وهذا صحيح، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له، لا مستقلة، فلما كان الضمير عائدا على الموصوف نفى توهم الاستغلال وكذلك لام التعريف فإن كلا من الضمير واللام يعين صاحبه، هذا يعين مفسره وهذا يعين ما دخل عليه. وقد قالوا في زيد نعم الرجل: أن الألف واللام أغنت عن الضمير. والله أعلم.

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعرابا اعترض عليه فيه. فقال (جنات عدن) معرفة لقوله (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) (١) وانتصابها على أنها عطف بيان (لحسن مآب) و(مفتحة) حال، والعامل فيها ما في (المتقين) من معنى الفعل وفي (مفتحة) ضمير الجنات، والأبواب بدل من الضمير، تقديره: مفتحة هي

(١) سورة مريم الآية ٦١.

الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال . هذا إعرابه. فاعترض عليه بأن (جنات عدن) ليس فيها ما يقتضي تعريفها. وأما قوله (التي وعد الرحمن عباده) فبدل لا صفة. وبأن جنات عدن لا يسهل أن يكون عطف بيان لحسن مآب، على قوله لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به. فإن القائل قائلان. أحدهما: أنه لا يكون إلا في المعارف، كقول البصريين. والثاني: أنه يكون في المعارف والنكرات، بشرط المطابقة، كقول الكوفيين، و أبي علي الفارسي، وقوله: إن في (مفتحة) ضمير الجنات. فالظاهر خلافه، فإن الأبواب ترتفع به ولا ضمير فيه.

وقوله: إن (الأبواب) بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره، أنه لا بد فيه من الضمير. وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظا به، وأن يكون مقدرًا. وههنا لم يلفظ به، فلا بد من تقدير، أي الأبواب منها، فإذا كان التقدير: مفتحة لهم هي الأبواب منها: كان فيه تكثير للأضمار وتقليله أولى (١)

وهناك أمثلة كثيرة على استطراده في النحو لا مجال لحصرها هنا ولكن يمكن للقارئ أن يرجع إلى أصل التفسير أن أراد الاستزاده منها (٢)

### موقفه من الفقه:

لم يتناول ابن القيم في تفسيره آيات الأحكام وإذا تناولها لم يطل بها، إلا من بعضها مثل آية الظهار (١) التي استرسل فيها كثيرا . لم يورد

(١) التفسير القيم صفحة ٤١٩-٤٢١.

(٢) انظر التفسير القيم صفحة ١٥٣، ٢٢٢، ٣٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، وهذه على سبيل المثال لا

آراء الفقهاء ولكنه يكتفي بقوله أما الفقهاء فيقولون كذا وكذا (٢) ولم يورد اسمائهم وآرائهم على انفراد ولم يناقش مقولاتهم كما كان يفعل في مناقشاته لآراء العلماء ورده عليهم وترجيحاته، وقد قسم بعض الآراء إلى فرق وسماها الفرقة الأولى والفرقة الثانية وهكذا (٣) فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: { للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة اشهر فإن فاؤا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم } (٤)

يقول ختم حكم الفيء، الذي هو الرجوع والعود إلى رضى الزوجة، والإحسان إليها: بأنه غفور رحيم، يعود على عبده بمغفرته ورحمته، إذا رجع إليه. والجزاء من جنس العمل، فكما رجع العبد إلى التي هي أحسن، رجع الله إليه بالمغفرة والرحمة (وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) فإن الطلاق لما كان لفظا يسمع، ومعنى يقصد، عقبه باسم (السميع) لما نطق به (العليم) بمضمونه (٥)

مثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: { ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا. ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله... } (٦)

(١) التفسير القيم صفحة ٤٨٧ - ٤٩١.

(٢) انظر نفس المصدر صفحة ٤٨٨.

(٣) انظر نفس المصدر صفحة ٥٩٤ - ٥٩٥.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٥) التفسير القيم صفحة ١٤٧.

(٦) سورة البقرة الآية ٢٣٥.



يقول ابن القيم لما ذكر سبحانه التعريف بخطبة المرأة الدال على أن المعرض في قلبه رغبة فيها ومحبة لها، وأن ذلك يحمله على الكلام الذي يتوصل به إلى نكاحها، رفع الجناح عن التعريض، وانطواء القلب على ما فيه من الميل والمحبة، ونفي مواعدتهن سرا. فقيل: هو النكاح، والمعنى: لا تصرحوا لهن بالتزويج، إلا أن تعرضوا تعريضا. وهو القول المعروف. وقيل: هو أن يتزوجها في عدتها سرا. فإذا انقضت العدة، أظهر العقد ويدل على هذا قوله (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) وهو انقضاء العدة. ومن رجع القول الأول قال: دلت الآية على إباحة التعريض بنفي الجناح، وتحريم التصريح بالنهي عن المواعدة سرا، وتحريم عقد النكاح قبل انقضاء العدة. فلو كان معنى مواعدة السر: هو إسرار العقد كان تكرارا (١).

### جملة ما ذكره عن فقهاء المذاهب:

ولم أقف على أكثر من سبعة مواضع من تفسيره ذكر بها الأئمة مالك وأحمد والشافعي وإبراهيم النخعي نوردها بما يلي:

عند تفسيره لقوله تعالى {أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم} (٢)

يقول ابن القيم: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أزواجهم:

أشباههم ونظراؤهم) وقال الإمام أحمد أيضا (٣)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا. كونوا قوامين بالقسط،

شهداء لله ولو على أنفسكم} (٤)

(١) التفسير القيم صفحة ١٤٨.

(٢) سورة الصافات الآية ٢٢.

(٣) التفسير القيم صفحة ١٣٢.

(٤) سورة النساء الآية ١٣٥.

يقول وهذا وأضعافه يدل على أن الشاهد عند الحاكم وغيره لا يشترط في قبول شهادته أن يتلفظ الشهادة، كما هو مذهب مالك وأهل المدينة، وظاهر كلام أحمد. ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط ذلك. (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا} (٢)

يقول ابن القيم: قال الشافعي: أن لا يكثر عيالكم. فدل على أن قلة العيال أدنى. قيل: قد قال الشافعي: ذلك، وخالف جمهور المفسرين من السلف والخلف، وقالوا: معنى الآية: ذلك أدنى أن لا تجوروا ولا تميلوا. وإن كان ما ذكره الشافعي لغة حكاة الفراء عن الكسائي قال: ومن الصحابة من يقول: عال يعول إذا كثر عياله. قال الكسائي: وهي لغة فصيحة سمعتها من العرب، لكن يتعين الأول لوجوه. وهنا يورد عشرة شروط مطولة لا مجال لذكرها الآن. (٣)

وعند تفسيره لقوله تعالى { ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل} (٤) يقول: وقال النخعي (هي معاني الأشياء وفهمها). وأما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة، كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة (٥).

(١) التفسير القيم صفحة ١٧٥-١٧٦.

(٢) سورة النساء الآية ٣.

(٣) التفسير القيم صفحة ٢١٩-٢٢١.

(٤) سورة آل عمران الآية ٤٨.

(٥) التفسير القيم صفحة ٢٢٧.

وعند تفسيره لقوله تعالى: { أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة  
وأولئك هم المهتدون } (١)

يقول ابن القيم أن الأكثرين لا يجوزون استعمال اللفظ المشترك في  
معنييه، لا بطريق الحقيقة، ولا بطريق المجاز، وما حكى عن الشافعي  
من تجويزه ذلك فليس بصحيح عنه، فإن لفظ المولى من الألفاظ  
المتواطئة فالشافعي وأحمد في ظاهر مذهبه يقولان بدخول نوعي  
الموالي في هذا اللفظ. وهو عنده عام متواطئ لا مشترك. وأما ما  
حكى عن الشافعي أنه قال في مفاوضة جرت له في قوله (أو لامستم  
النساء) قد قيل له: وقد يراد بالملامسة المجامعة. فقال: هي محمولة  
على الجنس باليد حقيقة وعلى الوقاع مجازاً فهذا لا يصح عن  
الشافعي، ولا هو من جنس المؤلف من كلامه (٢)

وعند تفسيره لقوله تعالى: { فمن شاء ذكره في صحف مكرمة،  
مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة كرام بررة } (٣)

يقول: قال مالك في موطنه: أحسن ما سمعت في تفسير قوله ( لا  
يمسه إلا المطهرون) أنها مثل هذه الآية في سورة عبس (٤)

وعند تفسيره لقوله تعالى: { أychسب الإنسان أن يترك سدى } (٥) يقول:  
قال الشافعي رضي الله عنه: أي هملاً لا يؤمر ولا ينهى (٦).

(١) سورة البقرة الآية ١٥٧.

(٢) التفسير القيم صفحة ٣٠١.

(٣) سورة عبس الآية ١٢-١٦.

(٤) التفسير القيم صفحة ٤٨٢.

(٥) سورة القيامة الآية ٣٦.

(٦) التفسير القيم صفحة ٥٠٤.

## موقف ابن القيم من القراءات:

لا يكثر ابن القيم من ذكر القراءات حيث لم أقف خلال قراءتي لتفسيره إلا على سبعة مواضع يمر عليها مرا سريعا ما خلا موضعين يفصل فيها تفصيلا مطولا وسنذكر الجميع إن شاء الله فيما يلي:

مثال عند تفسيره لقوله تعالى: {فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به} (١) يقول: روى ابن جرير أن ابن عباس قال: (قولوا آمنا بالله فإن آمنوا بالذي آمنتم به) قال عبد الجبار: ولا يجوز ترك القراءة المتواترة (٢) وعند تفسيره لقوله تعالى (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) (٣) يقول وفيها قراءتان: التثقيل والتخفيف، والصحيح: أنهما بمعنى واحد من (الذكر) وأبعد من قال: فيجعلها (ذكرا) لفظا ومعنى، فإنه سبحانه جعل ذلك علة للضلال، الذي هو ضد الذكر. فإذا ضلت أو نسيت ذكرتها الأخرى فذكرت (٤)

وعند تفسيره لقوله تعالى: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر} (٥) يقول ابن القيم: اختلف القراء في إعراب (غير) فقرأ رفعاً ونصباً وهما في السبعة، وقرأ بالجر في غير السبعة، وهي قراءة أبي حنيفة فأما قراءة النصب فعلى الاستثناء، لأن (غير) يعرب في الاستثناء إعراب الاسم الواقع بعد (إلا) وهو النصب، هذا هو

(١) سورة البقرة الآية ١٣٧.

(٢) التفسير القيم صفحة ١٣٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

(٤) التفسير القيم صفحة ١٥٣.

(٥) سورة النساء الآية ٩٥.

الكسائي ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون الشهادة واقعة على الجملتين، فهي واقعة على (إن الدين عند الله الإسلام) وهو المشهود به، ويكون فتح(أنه) من قوله(أنه لا إله إلا هو) على إسقاط حرف الجر، أي بأنه لا إله إلا هو. وهذا توجيه الفراء. وهو ضعيف جدا، فإن المعنى على خلافه، وأن المشهود به: هو نفس قوله(أنه لا إله إلا هو) فالمشهود به(إن) وما في حيزها والعناية إلى هذا صرفت، وبه حصلت، ولكن لهذا القول مع ضعفه وجه. وهو أن يكون المعنى: شهد الله بتوحيده: أن الدين عند الله الإسلام، والإسلام: هو توحيده سبحانه، فتضمنت الشهادة توحيده وتحقيق دينه: أنه الإسلام لا غيره، الوجه الثاني: أن تكون الشهادة واقعة على الجملتين معا، كلاهما مشهود به على تقدير حذف الواو وارانيتها. والتقدير: وأن الدين عنده الإسلام. فتكون جملة استغنى فيها عن حرف العطف بما تضمنت من ذكر المعطوف عليه، كما وقع الاستغناء عنها في قوله(سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) (١)

فيحسن ذكر الواو، وحذفها، كما حذف ههنا، وذكرت في قوله (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) (٢)

الوجه الثالث: وهو مذهب البصريين أن يجعل (أن) الثانية بدلا من الأولى، والتقدير شهد الله أن الدين عند الله الإسلام وقوله (أنه لا إله إلا هو) توطئة للثانية وتمهيد. ويكون هذا من البديل الذي الثاني فيه نفس الأول. فإن الدين الذي هو نفس الإسلام عند الله، هو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها ولك أن تجعله على هذا الوجه من باب بدل

(١) سورة الكهف الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٢.

الاشتغال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد، فإن قيل: فكان ينبغي على هذه القراءة أن يقول: إن الدين عند الله الإسلام. لأن المعنى: شهد الله أن الدين عنده الإسلام، فلم عدل إلى لفظ الظاهر؟ قيل: هذا يرجح قراءة الجمهور، وأنها أفصح وأحسن. ولكن يجوز إقامة الظاهر مقام المضمرة، وقد ورد في القرآن، وكلام العرب كثيرا (١)

أما المثال الأخير الذي أورده ابن القيم في تفسيره هو عند قوله تعالى {سلام على آل ياسين} (٢)

يقول: فهذه الآية فيها قراءتان، إحداهما: إياسين بوزن إسماعيل، وفيه وجهان: أحدهما: أنه اسم ثاني لنبي إياس والياسين كميكال وميكانيل والوجه الثاني أنه جمع فيه وجهان أحدهما أنه جمع إياس وأصله إياسين بيائين كعبرانيين خفت إحدى اليائين فقل إياسين. والمراد: أتباعه كما حكى سيبويه: الأشعرون مثله الأعجمون والثاني: أنه جمع إياس محذوف الياء والقراءة الثانية (سلام على آل ياسين) وفيه أوجه: أحدهما: أن ياسين (اسم لآبيه، فأضيف إليه الآل، كما يقال: آل إبراهيم. والثاني: أن (آل ياسين) هو إياس نفسه، فيكون (آل) مضافة إلى (ياسين) والمراد بالآل: ياسين نفسه، كما ذكر الأولون. والثالث: أنه على حذف ياء النسب، فيقال: ياسين وأصله: ياسين، كما تقوم. وآلهم أتباعهم على دينهم. والرابع: أن (ياسين) هو القرآن، وآله هم أهل القرآن. والخامس: أنه النبي صلى الله عليه وسلم وآله أقاربه، وأتباعه، كما سيأتي وهذه الأقوال كلها ضعيفة.

(١) التفسير القيم صفحة ٢٠٠-٢٠١.

(٢) سورة الصافات الآية ١٣٠.

والذي حمل قائلها عليها: استشكلهم إضافة آل إلى (ياسين) واسمه (الياس) و(الياسين) ورووها في المصحف مفصولة. وقد قرأها بعض القراء (الياسين) فقال طائفة منهم: له أسماء ياسين، والياسين. وإليس. وقالت طائفة: ياسين: اسم لغيره. ثم اختلفوا: فقال الكلبي (ياسين) محمد صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة: هو القرآن وهذا كله تعسف ظاهر لا حاجة إليه. والصواب والله أعلم في ذلك أن أصل الكلمة (آل ياسين) كآل إبراهيم، فحذفت الألف واللام من أوله لاجتماع الأملال، ودلالة الاسم على موضع المحذوف. وهذا كثير في كلامهم، إذا اجتمعت الأمثال كرهوا النطق بها كلها، فحذفوا منها ما لا لبس في حذفه، وإن كانوا لا يحذفونه في موضع لا تجتمع فيه الأمثال ولهذا يحذفون النون من إني وأني وكأني ولكني ولا يحذفونها من لتيني، ولما كانت اللام في (لعل) شبيهة بالنون حذفوا النون معها، ولا سيما عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له، فيقولون مرة: إلياسين، ومرة: إلياس. ومرة: ياسين، وربما قالوا: ياس، ويكون على إحدى القرائتين: قد وقع السلام عليه، وعلى القراءة الأخرى: على آله (١).

هذه سبعة أمثلة لتناول ابن القيم القراءات ولا يملك تفسيره غير التي ذكرناها. لذلك لجأنا إلى سردها بكاملها لقلتها. وبإجمال فإن تفسير ابن القيم خير معين لطالبي منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم والعودة بهم إلى المنبع الصافي لدين الله فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء وأفضل المثوبة على هذا العمل الصالح. وبعد الانتهاء من هذه الرسالة بخمسة سنوات تقريبا قدر الله لي أن انتقل من بلد لآخر فأجد تفسيري للإمام ابن قيم الجوزية قد جمعا له فالأول كان باسم (بدائع

(١) التفسير القيم ٤١٧ - ٤١٨.

التفسير) الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية جمعه ووثق نصوصه  
وخرج أحاديثه يسري السيد محمد من خمسة مجلدات دار ابن  
الجوزي المملكة العربية السعودية/ الدمام ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م أما  
الثاني فباسم ( الضوء المنير على التفسير) جمعه علي الحمد المحمد  
الصالحي من كتب الإمام المحدث المفسر الفقيه ابن قيم الجوزية طبعة  
مؤسسة النور للطباعة والتجليد السعودية/ الرياض بالتعاون مع مكتبة  
دار السلام من ستة مجلدات.



## الباب الأول

### الفصل الثامن

# ((الحافظ ابن كثير))

(٧٠٠ - ٧٧٤هـ)

ويتضمن بمحتين:

المبحث الأول/ ترجمة ابن كثير

المبحث الثاني/ ابن كثير ومنهجه في التفسير

## المبحث الأول

### ترجمة الحافظ ابن كثير

(٧٠٠-٧٧٤هـ)

#### اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع القيسي البصري الأصل نسبة لبصرى الشام الدمشقي الشافعي، الشيخ عماد الدين.

#### مولده:

ولد سنة سبعمئة أو بعدها ببسير، ومات أبوه سنة ٧٠٣هـ (١) ونشأ هو بدمشق وطلب العلم وسمع من الشيوخ وحفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل، والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو شاب وحفظ مختصر ابن الحاجب.

#### شيوخه:

ذكرت لنا المصادر أسماء ستة عشر شيخاً من شيوخه وهم: برهان الدين الغزاري، والكمال ابن القاضي شعبة، وقد تفقه عليهما، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزني، ولازمه وقرأ عليه (تهذيب الكمال) وأخذ عنه، وسمع عليه أكثر تصانيفه، وسمع ابن السويدي، والقاسم بن عساكر، وسمع من ابن الشحنة، وابن الزراد، وإسحاق الأمدي، وابن الرضي، وأجاز له من مصر الدبوسي والواني والخنتي وغيره، وأخذ الكثير عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية ففتن بحبه وكانت له خصوصية به، ومناضلة عنه، وأتباع له في كثير من آرائه، وكان

(١) شذرات الذهب ٢٣١/٦.

يفتي برأيه في مسألة الطلاق وامتحان بسببه، وأوذي، وقرأ الأصول على الأصفهاني، وسمع الحجار والطبقة.

### تلامذته:

لم تذكر لنا المصادر سوى واحد من تلامذته فقط هو (شهاب الدين ابن حجي) قال ابن العماد (١) (وتلامذته كثيرة، منهم ابن حجي، وقال فيه\_ أي في شيخه ابن كثير\_ احفظ من أدركناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وما أعرف أنني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه). لكننا نرجح أنه خلف كثيرا من التلاميذ بسبب اشتغاله بالتدريس في المدارس، وقال الحسيني: (٢) (ولي مشيخة أم الصالح والتنكزية بعد الذهبي). وقال السداودي: (٣) (وبعد موت السبكي ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية).

### أخلاقه ومكانته العلمية:

قال الحسيني: (٤) (وأفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل... وذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ وقال في المعجم المختص: (هو فقيه متقن، ومحدث محقق، ومفسر نقاد) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٥) (واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله وجمع التفسير، وكان كثير

(١) انظر نيل السائر في طبقات المفسرين صفحة ١٩٧.

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ صفحة ٥٨.

(٣) طبقات المفسرين ١/ ١١٢.

(٤) تذكرة الحفاظ صفحة ٥٨.

(٥) الدرر الكامنة ١/ ٣٩٩ ترجمة ٩٤٤.

الاستحضر حسن المفاكحة سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك في فنونهم، (وإنما هو من محدثي الفقهاء) وقد دفع السيوطي عن ابن كثير هذا الاتهام، فقال (١) (قلت: العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه، وعالله واختلاف طرقه، ورجاله جرحا وتعديلا، و أما العالي والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات، لا من الأصول المهمة).

وذكر الداودي فقال: (٢) (كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ...) وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجي (كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئا كثيرا من الفقه والتاريخ، قليل النسيان وكان فقيها جيد الفهم، صحيح الذهن، ويحفظ (التنبيه) إلى آخر وقت، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، وينظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه).

ويقول: وولي مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي، وبعد موت السبكي مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة، ثم أخذت منه) وذكر ابن العماد (٣) (وقال ابن حبيب فيه: إمام روي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، و أطرب الأسماع بالفتوى وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر

(١) ذيل تذكرة الحفاظ صفحة ٣٦٢.

(٢) طبقات المفسرين ١/١١٢.

(٣) شذرات الذهب ٦/٢٣١.

بالضبط، والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، وهو القائل:

تمر بنا الأيام تترى وإنما نساقي إلى الآجال والعين تنظر  
فلا عائد ذلك الشباب الذي مضى ولا زائل هذا المشيب المكدر

وقال الشوكاني: (١) وبرغ في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، وأفتى ودرس).

### مؤلفاته:

ألف الحافظ ابن كثير كتبا شتى في علوم القرآن، والحديث، والتوحيد، والفقه، والسيرة، والتراجم، والتاريخ.

قال الحسيني: (٢) (وله تصانيف مفيدة) وقال ابن حجر العسقلاني (٣) (سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته) وقد وصلنا من كتبه أسماء اثنين وعشرين كتابا، طبع منها ثمانية كتب فقط، وهي:

١- تفسير القرآن العظيم: والذي بينت من خلاله منهجه وطريقته في التفسير وذلك في الفصل الثاني من هذا الباب، وهو في أربعة مجلدات.

٢- فضائل القرآن وتاريخ جمعه وكتابته ولغاته: انفرد بذكره بروكلمان (٤)

(١) البدر الطالع ١/١٥٣.

(٢) تذكرة الحفاظ صفحة ٥٨.

(٣) الدرر الكامنة ١/ ٣٩٩ ترجمة ٩٤٤.

(٤) تاريخ الأدب العربي، الذيل ٢/٤٩.

- ٣- جامع المسانيد والسنن الهادي إلى أقوم سنن: جمع فيه بين مسند الإمام أحمد، والبخاري، وأبي يعلى، وابن أبي شيبه إلى الكتب الستة، ويسميه البعض (كتاب الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن). قال البغدادي (١) (في ثمانية أجزاء) ويوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.
- ٤- الأحكام الكبرى في الحديث: يقول ابن حجر: (٢) (شرح في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل) وقال الداودي: (٣) (شرح في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج).
- ٥- الأحكام الصغرى في الحديث: ويسميه ابن حجر (تخريج أحاديث أدلة التنبيه) ويسميه السيوطي (أدلة التنبيه) ويسميه الداودي (الأحكام على أبواب التنبيه).
- ٦- شرح صحيح البخاري: ذكره ابن حجر نفس المصدر السابق.
- ٧- مسند الشيخين: انفرد بذكره السيوطي (٤)
- ٨- تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي: ذكره ابن حجر نفس المصدر السابق.
- ٩- ترتيب مسند أحمد على الحروف: انفرد بذكره السيوطي في نفس المصدر السابق ذكره.

(١) هدية العارفين ١ / ٢١٥.

(٢) الدرر الكامنة ١ / ٣٩٩ ترجمة ٩٤٤.

(٣) طبقات المفسرين ١ / ١١٢.

(٤) ذيل تذكرة الحفاظ صفحة ٣٦١.

١٠- أحاديث التوحيد والرد على الشرك: انفرد بذكره (بروكلمان (١) وذكر أنه طبع مع كتاب (جامع البيان) في دهلي عام ١٢٩٧هـ.

١١- مختصر علوم الحديث لابن الصلاح: ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة، وذكره حاجي خليفة (٢)، وذكره بروكلمان، وقد طبع بتحقيق العلامة أحمد شاکر وسماه (الباعث الحثيث شرح مختصر علوم الحديث) وهو غير الباعث الحثيث التالي ذكره.

١٢- الباعث الحثيث على معرفة علوم الحديث: ذكره بهذا الاسم بروكلمان وأشار لوجود مخطوطتان في الهند، واحدة في أصاف والثانية في رامبور، وذكره السيوطي أيضا نفس المصدر السابق.

١٣- الاجتهاد في طلب الجهاد: ذكره حاجي خليفة (٣) وقال (رسالة كتبها للأمير منجك لما حاصر الفرنج قلعة إياس) وذكره البغدادي (٤) وذكره أنزكلي (٥) باسم (رسالة الجهاد) كما ذكره بروكلمان.

١٤- شرح التنبيه: انفرد بذكره الداودي (٦) فقال (وشرح قطعة كبيرة من التنبيه).

(١) ذيل تاريخ الأدب العربي ٤٩ / ٢ بالألمانية.

(٢) كشف الظنون صفحة ١١٦١.

(٣) كشف الظنون صفحة ١٠.

(٤) هدية العارفين ٢١٥/١.

(٥) الأعلام ٣٢٠/١.

(٦) طبقات المفسرين ١١٢/١.

١٥- البلغة والإقناع في حل شبهة مسألة السماع: انفرد بذكره حلجي خليفة (١) وهو يتعلّق بمسألة سماع الأغاني والموسيقى.

١٦- الفصول في اختصار سيرة الرسول: ذكره الداوي فقال: (وله سيرة صغيرة) وكذا قال ابن العماد (٢). ذكره البغدادي (٣) وهو مطبوع.

١٧- التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل: قال الحسيني (جمع بين كتاب التهذيب وكتاب الميزان وهو خمس مجلدات) وقال الداودي (واختصر تهذيب الكمال وأضاف إليه ما تأخر في الميزان سماه التكميل)، وسماه حاجي خليفة (التكملة في أسماء الثقات والضعفاء).

١٨- طبقات الفقهاء الشافعيين: قال ابن حجر (٤) (وعمل طبقات الشافعية) ويسميه حاجي خليفة (٥) (طبقات عماد الدين) ويسميه البغدادي في هدية العارفين (طبقات العلماء) ويسميه الزركلي (٦) (طبقات الفقهاء الشافعيين) ونص على وجود نسخة مخطوطة منه في شستريتي رقم (٣٣٩٠) في دبلن.

(١) كشف الظنون صفحة ١٠٠١.

(٢) شذرات الذهب ٢٣١/٦.

(٣) إيضاح المكنون ١٩٤/٢.

(٤) الدرر الكامنة ٣٧٤/١.

(٥) كشف الظنون صفحة ١١٠٥.

(٦) الأعلام ٣٢٠/١.



١٩- الواضح النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس: ويسميه  
الداودي (مناقب الإمام الشافعي) وذكره حاجي خليفة (١)  
والبغدادي (٢).

٢٠- البداية والنهاية: في التاريخ قال الحسيني (٣) (وله ... وكتاب  
البداية والنهاية في أربعة وخمسين جزء) وقال ابن حجر (وجمع  
التاريخ الذي سماه (البداية والنهاية) وهو مطبوع، وصل فيه  
إلى حوادث سنة (٧٦٧هـ) وهي القسم المسمى بالبداية).

٢١- نهاية البداية والنهاية: وهو تنمة تاريخه، ويتضمن الكلام على  
الفتن والملاحم في آخر الزمان.

٢٢- الكواكب الدراري في التاريخ انفرده بذكره حاجي خليفة (٤)  
وقال (انتخبه من تاريخه الكبير).

### وفاته:

أجمعت المصادر على أنه توفي سنة ٧٧٤هـ، ولم يذكر فيما بينهم  
خلاف في ذلك، ويقول الداودي (٥) (مات في يوم الخميس ٢٦ شعبان  
سنة ٧٧٤هـ، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية). وينفرد  
ابن حجر (٦) من بين المصادر فيذكر (وكان قد أضر في أواخر  
عمره).

رحم الله ابن كثير رحمة واسعة وتقبل منه وأجزل له العطاء.

(١) كشف الظنون صفحة ١٨٤٠.

(٢) هدية العارفين ١ / ٢١٥.

(٣) ذيل تذكرة الحفاظ صفحة ٥٨.

(٤) كشف الظنون صفحة ١٥٢١.

(٥) طبقات المفسرين ١ / ١١٣.

(٦) الدرر الكامنة ١ / ٣٧٤.

## المبحث الثاني

### ابن كثير ومنهجه في التفسير

تفسير ابن كثير من أشهر ما دون في التفسير المأثور، ويعتبر في هذه الناحية الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير، وقد اعتنى فيه ابن كثير بالرواية عن مفسري السلف، ففسر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها، مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً. وقد طبع هذا التفسير مع معالم التفسير للبغوي، ثم طبع بصورة مستقلة في أربع أجزاء كبار.

وقد قدم له مؤلفه بمقدمة طويلة هامة، تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره، ولكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في مقدمته في أصول التفسير وهو يمتاز في طريقته بأنه يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أخرى ذكرها وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذي يسمونه (تفسير القرآن بالقرآن) وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد.

ثم بعد أن يفرغ من هذا كله، يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، ويبين ما يحتج به وما لا يحتج به منها، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومن يليهم من علماء السلف. وكثيراً ما نجد ابن كثير ينقل من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم، وتفسير ابن عطية، وغيرهم ممن تقدمه.

## جرحه وتعديله لرواة الحديث:

ونجد ابن كثير يرجح بعض الأقوال على بعض، ويضعف بعض الروايات، ويصحح بعضها آخر منها، ويعدل بعض الرواة ويجرح بعضها آخر، وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} (١)

بعد أن يفسر ابن كثير الآية يقول: وقد روي عن بعض السلف إنه كره أن يقال إلا شهر رمضان ولا يقال رمضان، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بكار بن الريان حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وسعيد هو المقبري عن أبي هريرة قال: لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان، قال ابن أبي حاتم وقد روي عن مجاهد ومحمد بن كعب نحو ذلك ورفض فيه ابن عباس وزيد بن ثابت.

(قلت) أي ابن كثير أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن المدني إمام المغازي والسير ولكن فيه ضعف وقد رواه ابنه محمد عنه فجعله مرفوعا عن أبي هريرة وقد أنكره عليه الحافظ بن عدي وهو جدير بالإنكار فإنه متروك وقد وهم في رفع هذا الحديث وقد انتصر البخاري رحمه الله في كتابه لهذا فقال: باب يقال رمضان وساق أحاديث في ذلك منها (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) ونحو ذلك (٢).

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٢.

وهالك مثالا آخرًا عند تفسيره لقوله تعالى: {ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض...} (١)

وقال ابن جرير: حدثني أبو حميد الحمصي أحد بني المغيرة حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبوة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء) ثم قرأ ابن عمر (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) وهذا إسناد ضعيف فإن يحيى بن سعيد هذا هو ابن العطار الحمصي وهو ضعيف جدا ثم قال ابن جرير: حدثنا أبو حميد الحمصي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله عز وجل ما دام فيهم) وهذا أيضاً غريب ضعيف لما تقدم أيضاً وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا علي بن إسماعيل بن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي السمان عن ثوبان رفع الحديث قال: (لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى يأتي أمر الله). (٢)

### إيراده للضعيف من الحديث:

ولكننا نراه قد أغفل الحديث الضعيف الذي أورده في قصة ثعلبة بن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وهذا مما يؤخذ عليه وهو إمام

(١) سورة البقرة الآية ٢٥١.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣١٠.

المحدثين وقد اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله وقد شهد له العلماء بسعة علمه بالحديث وكان شديد الحفظ لمتون الحديث وأعرف رجال زمانه بعلوم الحديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها. أقول مما يؤخذ عليه رغم غزارة علمه بالحديث ولكنه أورد قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري مستندا على حديث ضعيف عند تفسيره لقوله تعالى: {ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين} (١)

يقول ابن كثير وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري. وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رقاعة عن علي بن يزيد عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن زيد بن معاوية عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أدع الله أن يرزقني مالا، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه) قال ثم قال: مرة أخرى فقال) أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت) قال والذي بعثك بالحق لان دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) اللهم ارزق ثعلبة مالا) قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة ففتحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت ففتحى حتى ترك

(١) سورة التوبة الآية ٧٥-٧٧.

الصلوات إلا الجمعة وهي تنمي كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما فعل ثعلبة؟) فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال ( يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة) وأنزل الله جل ثناؤه { خذ من أموالهم صدقة } ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذوان الصدقة من المسلمين وقال لهما (مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذوا صدقاتهما) فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي، فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك. فقال بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له، فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما فقراه فقال ما هذا إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال ( يا ويح ثعلبة) قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي، فأنزل الله عز وجل (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا ن فضله لنصدقن) الآية. قال وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله إن يقبل منه صدقته

فقال (إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك) فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ( هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني) فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً، ثم أتى ابا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها. فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال: ياأمير المؤمنين أقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك؟ فقبض ولم يقبلها، فلما ولي عثمان رضي الله عنه أتاه فقال: أقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان (١)

وقد انتشرت هذه القصة في كثير من التفاسير وجعلوها سبباً من أسباب النزول للآيات (٧٥-٧٧ من سورة التوبة) ومن هذه التفاسير:

١- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٢ / ٣٨٨.

٢- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ٢ / ٢٥٩.

٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ٢ / ١٣٧.

٤- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥ / ٧٤.

هذه في التفاسير التي تعنينا أو التي هي موضوع بحثنا والذين هم عاشوا خلال القرن الثامن الهجري أما في بقية التفاسير فذكرت هذه القصة في.

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٣٨٨.

- ٥- تفسير الجلالين صفحة ١٦٢.
- ٦- الطبري في جامع البيان ٣٧٠/١٦.
- ٧- ابن الجوزي في زاد المسير ٤٧٢/٣.
- ٨- الشيرازي في تقريب القرآن ١٢٤/١٠.
- ٩- الزمخشري في الكشاف ٢٠٣/٢.
- ١٠- الآلوسي في روح المعاني ١٤٣/١٠.
- ١١- الفخر الرازي ١٤١/١٥.
- ١٢- سيد قطب في الظلال ١٦٧٩/٣.
- ١٣- والمراغي في تفسيره ١٦٩/١٠.

والذي يهمننا في هذا المبحث الحافظ ابن كثير ثم النسفي وابن جزي الكلبى وأبو حيان الأندلسى، على كونهم موضع مبحثنا فى القرن الثامن الهجرى. وقد حدث شك عند أكثر هؤلاء المفسرين حول صحة هذا الخبر وعلى سبيل المثال:

- ١- قال القرطبى (١) ( وثعلبة بدرى أنصارى وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روى عنه غير صحيح) قال أبو عمر بن عبد البر: ولعل قول من قال فى ثعلبة إنه مانع الزكاة الذى نزلت فيه الآية (غير صحيح).
- ٢- وشك أيضاً فى صحة هذا الخبر الشيخ محمد رشيد رضا (٢) فقال وفى الحديث إشكالات تتعلق بسبب نزول الآيات، وظاهر سياق القرآن أنه كان فى سفر عزوة تبوك، وظاهر أنها نزلت عقب فريضة الزكاة، والمشهور أنها فرضت فى السنة الثانية،

(١) الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٠٩.

(٢) تفسير المنار ١٠ / ٤٨٣.



وبعدم قبول توبة ثعلبة وظاهر الحديث ولا سيما بكائه أنها توبة صادقة، وكان العمل جارياً على معاملة المنافقين بظواهرهم، وظاهر الآيات أنه يموت على نفاقه، ولا يتوب عن بخله وأعراضه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وخليفتيه عاملاه بذلك لا بظاهر الشريعة، وهذا أمر لا نظير له في الإسلام..

٣- وهناك إشكال آخر تظهر منه نكارة هذا المتن فصاحب هذه القصة هو ثعلبة بن حاطب البدرى الذي شهد بدرًا وأجمع على ذلك ابن منده، وأبو نعيم، وأبو عمر بن عبد البر كما قال ابن الأثير (١) (وكلهم قالوا إنه شهد بدرًا) ووافقهم قائلًا في نهاية ترجمته (وهو لا شك فيه) إذن فإذا كان ثعلبة بن حاطب شهد بدرًا، فهل هذا مصير من شهد بدرًا؟ لذلك قال الحافظ ابن حجر (٢) (وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية) وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه وينزل فيه ما نزل؟).

فنظرا لما قدمناه من شك في صحة الحديث عند المفسرين، وكذلك الإشكالات التي تتعلق بسبب النزول وبمخالفة القصة للقرآن الكريم الذي قرر الله فيه (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون). (٣)

(١) اسد الغابة ١ / ٢٣٧.

(٢) الإصابة ١ / ١٩٨.

(٣) سورة الأعراف ١٥٦.

فثعلبة كما هو ظاهر من القصة عندما بلغت الآيات لم يكذب ولكن آمن بها وأتى بركة ماله وبكى خوفاً من الله، وتكرار ذلك منه دليل صدق توبته وتقواه فكيف تغلق إمامه أبواب رحمة الله؟ وإشكال آخر متعلق بمخالفة القصة لصحيح السنة المطهرة التي بينت حق أهل بدر. فنظراً لكل هذه الإشكالات، نقوم بتخريج وتحقيق الحديث حتى نستطيع أن نجزم بلا شك في درجة هذا الحديث.

الحديث أخرجه الطبري (١) وأورده الهيثمي (٢) عزاه للطبراني، وعزاه السيوطي (٣) إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني، وابن منده، والبارودي، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل وابن عساكر، كلهم من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة الباهلي.

(فالحديث منكر). (والمنكر هو ما رواه الضعيف مخالفاً فيه الثقة) وهذا التعريف هو ما ذكره ابن حجر واعتمده، وبالتحقيق نجد في هذا الطريق: (علي بن يزيد أبو عبد الملك الالهاني الدمشقي).

١- قال البخاري (٤): منكر الحديث وقال السيوطي (٥) البخاري يطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه.

(١) انظر جامع البيان ١٦ / ٣٧٠، طبعة دار المعارف تحقيق محمود شاكر.

(٢) انظر المجمع ٧ / ٣١.

(٣) الدر المنثور ٣ / ٢٦٠.

(٤) انظر الضعفاء الصغير رقم ٢٥٥.

(٥) انظر تدريب الراوي ١ / ٣٤٩.

٢- قال النسائي (١) علي بن يزيد يروي عن القاسم (متروك الحديث) وقد اشتهر عن النسائي أنه قال: لا يترك الرجل عندي حتى يجتمع الجميع على تركه، ويظهر هذا الإجماع على ترك علي بن يزيد من الرجوع إلي تهذيب التهذيب (٢) قال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه - أي علي بن يزيد - فقال: ضعيف الحديث أحاديثه نكره، وقال الأزدي والدارقطني والبرقي: متروك الحديث. وقال يحيى بن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة: ضعيف. وقال يعقوب: علي بن يزيد واهي الحديث كثير المنكرات، وقال أبو نعيم الأصبهاني: منكر الحديث، وقال الساجي: اتفق أهل العلم على ضعفه. وأورده ابن حبان (٣) وقال علي بن يزيد (منكر الحديث جدا).

### معان بن رفاعة السلامي الدمشقي:

وهناك علة أخرى هو (معان بن رفاعة السلامي الدمشقي) أورده الذهبي (٤) وقال (وهو صاحب حديث ليس بمتقن). وأورده ابن حجر (٥) وقال: (لين الحديث، كثير الإرسال). وأورده ابن حبان (٦) وقال: منكر الحديث يروي مراسيل كثيرة عن أقوام مجاهيل، لا يشبه حديثه حديث الإثبات فلما صار الغالب في روايته ما ينكره القلب

(١) انظر الضعفاء والمتروكين رقم ٤٣٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٩٦.

(٣) المحروحين ٢ / ١٠.

(٤) الميزان ٤ / ١٣٤.

(٥) التقريب ٢ / ٢٥٨.

(٦) المحروحين ٣ / ٣٦.

استحق ترك الاحتجاج به. ثم ذكر السيوطي للقصة طريقاً آخر (١) وعزاه لابن جرير في جامع البيان وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس. والعوفي هو عطية بن سعد ابن جنادة العوفي (٢). وعطية بن سعد العوفي أورده ابن حجر في طبقات المدلسين في المرتبة الرابعة رقم (٦) وقال (ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح). وأصحاب هذه المرتبة وهي الرابعة قال فيهم ابن حجر هم: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل، الحديث لم يصرح فيه بالسماع حيث سنده من طريق محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والإسناد واه لأنه مسلسل العوفيين. كما أن هناك طريق ثالث للقصة أخرجه الطبري من مراسلات الحسن البصري وليس في المرسلات أضعف من مراسلات الحسن البصري. وهكذا قال الإمام أحمد بن حنبل (٣) فضلاً على أن الذي رواه عن الحسن البصري هو عمرو بن عبيد البصري المعتزلي أورده الذهبي (٤) قال النسائي: متروك الحديث، وقال أيوب ويونس: يكذب، وقال حميد: كان يكذب على الحسن. ونقول قد يتوهم البعض فيقول: (إن الحديث الضعيف لو روي من عدة طرق تقوي بعضها) فنقول (٥) هذه القاعدة لها شروط، ولا تنطبق على هذا الحديث فطرقة

(١) باب النقول صفحة ١٢١ دار إحياء العلوم.

(٢) انظر التقريب ٢ / ٥٤١.

(٣) تدريب الراوي ١ / ٢٠٤.

(٤) الميزان ٣ / ٢٧٣.

(٥) صاحب التحقيق عذاب محمود الحمش وكتابه ثعلبة بن حاطب الصحابي المتفري عليه.

المرسل عن محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري ويزيد بن رومان  
وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمرو بن قتادة وغيرهم قالوا: أقبلي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان  
بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد  
كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا  
لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشتيه، وإنا نحب إن تأتينا  
فتصلي لنا فيه، فقال (إني على جناح سفر وحال شغل) أو كما قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم  
فصلينا لكم فيه) فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن  
بن عدي أو أخاه عامر بن عدي أخا بلعجات فقال (انطلقا إلى هذا  
المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرماه) فخرجا سريعين حتى أتيا بني  
سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن انظرنني

حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن منازل (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا...) (١) إلى آخر القصة (٢) وهذا الحديث خرجته الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني من جملة الأحاديث التي خرجها بكتاب فقه السيرة (٣) وقال: ضعيف رواه ابن هشام في سيرته ٢/ ٣٢٢ عن ابن إسحاق بدون إسناد ولكن ذكره ابن كثير في تفسيره المشار إليه أعلاه عن ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر، وابن قتادة وغيرهم مرسلا . والله أعلم.

### موقف ابن كثير من الإسرائيليات:

ومما يمتاز به ابن كثير أنه ينبه إلى ما في التفسير المأثور من المنكرات الإسرائيلية، ويحذر منها على وجه الإجمال تارة وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى. وقد قسم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام (٤):

١- موافق لما في الشريعة الإسلامية: وهو ما علم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك كتعيين اسم الخضر عليه السلام، إذ ورد فيه حديث صحيح عند البخاري

(١) سورة التوبة الآية ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠٣.

(٣) فقه السيرة لمحمد الغزالي ٤١٥.

(٤) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث صفحة ٣٧.

في صحيحه، في كتاب التفسير، أو ما كان له شاهد من الشروع  
يؤيده.

٢- مسكوت عنه: لعدم وجود ما يؤيده ولا ما يفنده في الشريعة  
الإسلامية أي ما لم يعلم صحته ولا كذبه، وهذا القسم تجوز  
حكايته للعظة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا كذبه امتثالا لأمر  
النبي صلى الله عليه وسلم ( لا تصدقوا أهل الكتاب ولا  
تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا).

٣- مخالف للشريعة الإسلامية: وهو ما علم كذبه لتناقضه مع  
شريعتنا أو مخالفته للعقل، ولا يصح تصديقه ولا قبوله ولا  
روايته، وإذا رواه المفسر في تفسيره وجب عليه بيانه.

وقد كان لهذه الإسرائيليات أثر سيء في التفسير، إذ أدخلت فيه كثيرا  
من القصص الخيالي المخترع، والأخبار المكذوبة، وهذا ما دفع  
العلماء لمقاومتها، وإحضاها لمعايير نقد الرواية، وموازن الشريعة  
لتمييز المقبول من المردود. وبسبب هذه الإسرائيليات تفاوت الثقة في  
كثير من التفاسير التي وضعها كبار الأئمة.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أمثلة كثيرة لذلك فيورد بعض القصص  
باعتبار أنها مسكوت عنها وليس هناك ما يؤيدها ولا ما يفندها ويورد  
قصصا أخرى يسردها كما وردت في الصحيح ويعلق على ما ورد  
في التفاسير بشأنها فمثلا:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى

الناس والله أحق أن تخشاه}{(١)}

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧.

يقول ابن كثير: ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها. وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا حديث من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا. وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصرا فقال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن هذه الآية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألتني علي بن الحسين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال (اتق الله وأمسك عليك زوجك) فقال قد أخبرتك أنني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك (١).

وقد أمسك ابن كثير في تفسيره عن ذكر قصة زينب بنت جحش بهذه الصورة البشعة التي يذكرها البعض من المفسرين.

٢- ومثالا آخر لما هو مخالف للشريعة الإسلامية عند تفسيره

لكلمة (ق) في أول سورتها يقول ابن كثير: وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا (ق) جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف، وكان هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٩٩.



وسبع سموات قال وذلك قوله تعالى ( والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر) فأسناد هذا الأثر فيه انقطاع. والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (ق) هم اسم من أسماء الله عز وجل، والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى (ص، ن، حم، طس، الم) ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل المراد قضي الأمر والله إن قوله جل وثناؤه (ق) دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر ( قلت لها قفي فقالت ق) وفي هذا التفسير نظر لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف؟ (١)

٣- ومثالا لما هو مسكوت عنه في الشريعة الإسلامية وليس فيه ما يؤيده أو يفنده ما رواه ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: { وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة} (٢)

يورد ابن كثير هنا خمس قصص بسياقات مختلفة ورواة مختلفون تفسيراً لمعنى هذه الآية نذكر منها أشهرها عند المفسرين وباختصار ونكتفي بها. يقول (كان رجل من بني إسرائيل مكثراً من المال فكانت له ابنة، وكان له ابن أخ محتاج، فخطب إليه ابن أخيه ابنته، فأبى أن يزوجه، فغضب الفتى وقال: والله لأقتلن عمي، ولأخذن ماله، ولا نكحن ابنته ولأكلن دينه، فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل فقال يا عم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلني أن أصيب منها فإنهم إذا راوك معي أعطوني، فخرج العم مع

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٦٧.

الفتى ليلا، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه، كأنه لا يدري أين هو فلم يجده، فانطلق نحوه فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه، فأخذهم وقال: قتلتم عمي فأدوا إلي ديتة، فجعل يبكي ويحثو التراث على رأسه وينادي واعماه فرفعهم إلى موسى ففضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية، فو الله أن ديتة علينا لهينه، ولكن نستحي أن نعير به، فذلك حين يقول تعالى { وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون } فقال لهم موسى ( إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ) ويسترسل بتفاصيل البقرة المطلوبة ويقول كان رجل في بني إسرائيل من أبر الناس بأبيه وإن رجلا مر به معه لؤلؤ يبيعه وكان أبوه نائما تحت رأسه المفتاح، فقلل الرجل تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين الفا؟ فقال له الفتى: كما أنت حتى يستيقظ أبي فأخذه منك بثمانين الفا قال الآخر أيقظ أباك وهو لك بستين الفا. فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين الفا وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألف، فلما أكثر عليه قال والله لا اشتريه منك بشيء أبدا وأبى أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ أن يجعل له تلك البقرة فمرت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة وأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم إياها بقرة ببقرة فأبى فأعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرا، فقالوا والله لا نتركك حتى نأخذها منك، فانطلقوا به إلى موسى عليه السلام فقالوا يا نبي الله إنا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناها وقد أعطيناها ثمنا، فقال له موسى: اعطيهم بقرتك. فقال: يا رسول الله أنا أحق بمالي، فقال صدقت وقال للقوم: أرضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهبا فأبى فاضغفوه له حتى أعطوه

وزنها عشر مرات ذهباً فباعهم إياها وأخذ ثمنها فذبحوها، قال  
اضربوه ببعضها، فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه من  
قتلك؟ فقال لهم ابن أخي، قال: اقتله فأخذ ماله وانكح ابنته. فأخذوا  
الغلام فقتلوه). (١)

وبعد أن يورد القصص كلها بكاملها يعلق ويقول ( وهذه السياقات عن  
عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة  
من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها، و لكن لا تصدق ولا  
تكذب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم). (٢)

٤- أما ما كان موافقا للشريعة الإسلامية فمثاله ما أخرجه ابن كثير  
في تفسيره لقوله تعالى {الذين يتبعون الرسول النبي الأمر الذي  
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل} (٣)

يقول ابن كثير: ( وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا عثمان بن عمر  
حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله  
بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
التوراة قال أجل والله أنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن (يا  
أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحزرا للأمة أنت  
عبدى ورسولى اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله  
حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به قلوبا غلفا  
وآذانا صما وأعيننا عميا، قال عطاء ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما  
اختلف حرفا إلا أن كعبا قال بلغته قال قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا

(١) تفسير ابن كثير ١/١١٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١/١١٤.

(٣) سورة الأعراف ١٥٧.

وأعينا عمومياً. وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله (وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن علي فذكر بإسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبد الله بن عمرو ثم قال ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب، وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشبه هذا والله أعلم). (١)

٥- ومن الأمثلة التي تتعلق بالمواعظ أو الحوادث التي لا تمت إلى القوائد والأحكام بصلة ما أورده الحافظ ابن كثير ولم يعقب عليه في شيء عند تفسيره لقوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا، أنهم مغرقون). (٢)

يقول ابن كثير (وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج وأن يجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤاً أزورا يشق الماء، وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين وعن الحسن طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلاثمائة وعنه مع ابن عباس طولها ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة وقيل طولها ألفاً ذراعاً وعرضها مائة ذراعاً فإله أعلم، قالوا كلهم وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعاً ثلاث طبقات كل طبقة عشوة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للإنس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها، وقد ذكر الإمام أبو

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) سورة هود ٣٧.

جعفر بن جرير أثرا غريبا من حديث علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه فقال أتدرون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال هذا كعب حمام بن نوح، قال فضرب الكثيب بعصاه قال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب قال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت؟ قال لا ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم سبت، قال حدثنا عن سفينة نوح؟ قال كان طولها ألف ذراع ومأتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الإنس وطبقة فيها الطير فلما كثر روث الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن أغمر ذنب الفيل فغمزه فوق منه خنزير وخنزيره فاقبلا على الروث فلما وقع الفأر بجوف السفينة يقرضها وحبالها أوحى الله إليه أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفأر، فقال له عيسى عليه السلام كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوق عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت، قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الخصرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت قال: فقلنا يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال كيف يتبعكم من لا رزق له؟ قال: فقال له عد بإذن الله فعاد ترابا (١)

(١) تفسير ابن كثير ٤٦٠/٢.

ففي هذه القصة نجد ابن كثير ذكر روايتين إسرائيليتين على شكل فضيع من الغرابة ولكنه لم يعقب عليها ولا بلكمة واحدة رغم تحذيره الشديد في مواطن كثيرة من تفسيره من رواية مثل هذه الإسرائيلييات، وما كنا نرضى له وهو الإمام المحدث أن يتورط في رواية شيء من هذا القبيل، حتى ولو كان مما يحتمل الصدق والكذب، لأن الاشتغال بمثل هذا من قبيل تضييع الأوقات فيما لا فائدة فيه كما قرر هو ذلك أكثر من مرة في تفسيره.

مثال أخير على شاكلة عدم التعقيب عن القصة، عند تفسيره لقوله تعالى: {ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك} (١) يقول وروي عن عبد الرزاق، عن معمر، عن زيد بن أسلم أن النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يقدون إليه للميرة، فوفد إبراهيم في جملة من وفد للمير، فكان بينهما هذه المناضرة، ولم يعط إبراهيم من الطعام، كما أعطى الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلى كئيب من التراب فملا منه عدليه، وقال: اشغل أهلي عني إذا قدمت إليهم، فلما قدم وضع رحاله، وجاء قاتكأ فنام، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملانين طعاما طيبا، فعملت طعاما، فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه، فقال: أنى لكم هذا؟ قالت من الذي جئت به، فعلم أنه رزق رزقهم الله عز وجل، قال زيد بن أسلم: وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه، ثم دعاه الثانية فأبى، ثم الثالثة فأبى، وقال أجمع جموعك، واجمع جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليهم بابا من البعوض بحيث لم يروا عين

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

الشمس، وسلطها الله عليهم، فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاما بادية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك، فمكثت في منخري الملك أربعمائة سنة عذبه الله بها، فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة حتى أهلكه الله بها (١).

يروى ابن كثير وهو الناقد البصير هاتين القصتين الإسرائيليتين ولا يعقب عليهما ولا بكلمة واحدة، ولكن مهما يكن من شيء فابن كثير خير من رأينا من المفسرين موقفا من الإسرائيليات، فهو يتعقبها إلا ما ندر، ويبين ما فيها من زيف وفساد، وأيت لنا من ينقد ما في كتب التفسير من روايات إسرائيلية وغير إسرائيلية على طريقة ابن كثير ومنهجه. إذ كثيرا ما نرى ابن كثير يعرض كل الإعراض عن بعض القصص الإسرائيلى الذي يرويه بعض المفسرين، لأن الاشتغال به عبث لا فائدة فيه، وبعض ما يروي من ذلك لا يمكن أن يكون صحيحا لما يؤدي إليه من خلل في العقائد وفساد في الدين وبإجمال لم نر من المفسرين رجلا كان له من قوة النقد للمأثورات وتمييز جيادها من زيوغها مثل ما كان لابن كثير رحمه الله تعالى ولكن قريب منه في نقده للإسرائيليات أبو محمد بن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وأبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط والذي سيأتي ذكره إن شاء الله.

### الإسهاب في المناقشات الفقهية:

كما نلاحظ على ابن كثير أنه يدخل من المناقشات الفقهية، ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام، وإن الرجوع إلى التفسير ذاته لهو خير دليل على ذلك.

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٢١.

فمثلا عند تفسير قوله تعالى: { فمن شهد منكم الشهر فليصمه } ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر... } (١)

يقول ابن كثير بعد أن قدم مقدمة في تفسير الآية يقول ما نصه: وههنا مسائل تعلق بهذه الآية (إحداها) أنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أن من كان مقيما في أول الشهر ثم سافر في أثنائه فليس له الإفطار بقدر السفر والحالة هذه لقوله { فمن شهد منكم الشهر فليصمه } وإنما يباح الإفطار لمسافر استهل الشهر وهو مسافر وهذا القول غريب نقله أبو محمد بن حزم في كتابه المحلى عن جماعة من الصحابة والتابعين وفيما حكاه عنهم نظر والله اعلم. فإنه قد ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج في شهر رمضان لغزوة الفتح فسار حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأمر الناس بالفطر أخرجه صاحبنا الصحيح (الثانية) ذهب آخرون من الصحابة والتابعين إلى وجوب الإفطار في السفر لقوله (عدة من أيام أخر) والصحيح قول الجمهور أن الأمر في ذلك على التخيير صلى الله عليه وسلم ليس بحتم لأنهم كانوا يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان قال: فمن الصائم ومنا المفطر لم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم فلو كان الإفطار هو الواجب لأنكر عليهم الصيام بل الذي ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في مثل هذه الحالة صائما لما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حر شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة (الثالثة) قال طائفة

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥.



منهم الشافعي: الصيام في السفر أفضل من الإفطار لفعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقالت طائفة بل الإفطار أفضل أخذاً بالرخصة ولما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الصوم في السفر فقال ( من أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه) وقال في حديث آخر (عليكم برخصة الله التي رخص لكم) وقالت طائفة هما سواء لحديث عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال يا رسول الله إني كثير الصيام أفصوم في السفر؟ فقال (إن شئت فصم وإن شئت فأفطر) وهو في الصحيحين وقيل إن شق الصيام فالإفطار أفضل لحديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قد ظلل عليه فقال ( ما هذا) قالوا صنائم فقال ( ليس من البر الصيام في السفر) أخرجاه فأما إن رغب عن السنة ورأى أن الفطر مكروه إليه فهذا يتعين عليه الإفطار ويحرم عليه الصيام والحالة هذه لما جاء في مسند الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر وجابر وغيرهما: من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة.

(الرابعة) القضاء: هل يجب متتابعاً أو يجوز فيه التفريق فيه قولان (أحدهما) أنه يجب المتتابع لأن القضاء يحكي الأداء والثاني لا يجب المتتابع بل إن شاء تابع وهذا قول جمهور السلف والخلف وعليه ثبتت الدلائل لأن المتتابع إنما وجب في الشهر لضرورة أدائه في الشهر فأما بعد انقضاء رمضان فالمراد صيام عدة ما أفطر ولهذا قال تعالى: (فعدة من أيام أخر) (١)

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣.

نرى إن الحافظ ابن كثير أورد فيما تقدم أربعة مسائل تتعلق بهذه الآية وذكر أقوال العلماء فيها، وأدلتهم على ما ذهبوا إليه، وأسهب في ذلك إسهاباً مطولاً.

مثال آخر عند تفسير قوله تعالى { فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره... } (١) فإنه قد تعرض لما يشترط في نكاح الزوج المحلل، وذكر أقوال العلماء وأدلتهم، بكل إسهاب وتفصيل. وكما سيأتي ذكره أدناه، يقول ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) أي أنه إذا طلق الرجل امرأته طليقةً ثالثة بعدما أرسل عليها الطلاق مرتين فإنها تحرم عليه (حتى تنكح زوجاً غيره) أي حتى يطأها زوجاً آخر في نكاح صحيح فلو وطئها واطئ في غير نكاح ولو في ملك اليمين لم تحل للأول لأنه ليس بزواج وهكذا لو تزوجت ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للأول واشتهر بين كثير من الفقهاء أن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه يقول: يحصل المقصود من تحليلها للأول بمجرد العقد على الثاني وفي صحته عنه نظر على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستتكار والله أعلم. وقد قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله: حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن سالم بن رزين عن سالم بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة، فيتزوجها زوج آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أترجع إلى الأول؟ قال (لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها) وهكذا وقع رواية ابن جرير، وقد رواه الإمام أحمد فقال: حدثنا محمد بن

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٠.

جعفر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال: سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله بن عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل تكون له المرأة فيطلقها ثم يتزوجها رجل فيطلقها قبل أن يدخل بها فترجع إلى زوجها الأول فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (حتى تذوق العسيلة) وهكذا رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس وابن ماجه عن محمد بن بشار بن دار كلاهما عن محمد بن جعفر غندر عن شعبة به كذلك فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعا على خلاف ما يحكي عنه فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند والله أعلم. وقد روى أحمد أيضا والنسائي وابن جرير هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان الأحمد عن أبي عمر قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر فيغلق الباب ويرخي الستر ثم يطلقها قبل أن يدخل بها هل تحل للأول؟ قال ( لا حتى تذوق العسيلة) وهذا لفظ أحمد وفي رواية لأحمد سليمان بن رزين (حديث آخر) قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا محمد بن دينار حدثنا يحيى بن يزيد الهنائي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذائق من عسيلته) وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن إبراهيم الأنماطي عن هشام بن عبد الملك حدثنا محمد بن دينار فذكره (قلت) أي ابن كثير ومحمد بن دينار بن صندل أبوبكر الأزدي ثم الطائي البصري، ويقال له ابن أبي الفرات اختلفوا فيه

فمنهم من ضعفه ومنهم من قواه وقبله وحسن له وذكر أبو داود أنه  
تغير قبل موته فأنه أعلم. (حديث آخر) قال ابن جرير: حدثنا عبيد بن  
أدم بن أبي إياس العسقلاني حدثنا أبي حدثنا شيبان حدثنا يحيى بن أبي  
كثير عن أبي الحارث الغفاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في المرأة يطلقها زوجها ثلاثا فتتزوج غيره  
فيطلقها قبل أن يدخل بها فيريد الأول أن يراجعها قال (لا حتى يذوق  
الآخر عسيلتها) ثم رواه من وجه آخر عن شيبان وهو ابن عبد  
الرحمن به \_ وأبو الحارث غير معروف \_ (حديث آخر) قال ابن  
جرير حدثنا يحيى بن عبيد الله حدثنا القاسم عن عائشة أن رجلا طلق  
امرأته ثلاثا فتزوجت زوجها فطلقها قبل أن يمسه فسئل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أتحل للأول؟ فقال (لا حتى يذوق من عسيلاتهما  
كما ذاق الأول) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن عبيد  
الله بن عمر العمري عن القاسم بن أبي بكر عن عمته عائشة به  
(طرق أخرى) قال ابن جرير: حدثنا عبيد الله بن إسماعيل الهباري  
وسفیان بن وكيع وأبو هشام الرفاعي قالوا: حدثنا أبو معاوية عن  
الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: سئل النبي صلى  
الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته فتزوجت رجلا غيره فدخل بها  
ثم طلقها قبل أن يواقعها أتحل لزوجها الأول؟ فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ( لا تحل لزوجها الأول حتى يذوق الآخر عسيلاتهما  
وتذوق عسيلته) وكذا رواه أبو داود عن مسدد والنسائي عن أبي  
كريب كلاهما عن أبي معاوية وهو محمد بن حازم الضرير به (طرق  
أخرى) قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن العلاء الهمداني حدثنا  
أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتتزوج رجلاً آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول؟ قال ( لا حتى يذوق عسيلتها) قال مسلم وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الفضل وحدثنا أبو كريب حدثنا، أبو معاوية جميعاً عن هشام بهذا الإسناد وقد رواه البخاري من طريق أبي معاوية محمد بن حازم عن هشام به وتفرد به مسلم من الوجهين الآخرين، وهكذا رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً بنحوه أو مثله وهذا إسناد جيد - وكذا رواه ابن جرير أيضاً من طريق علي بن زيد بن جدعان عن امرأة أبيه أمينة أم محمد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا السياق مختصر من الحديث الذي رواه البخاري حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى عن هشام بن عروة حدثني أبي عن عائشة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وهذا السياق مختصر من الحديث الذي رواه البخاري حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى عن هشام بن عروة حدثني أبي عن عائشة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة إن رفاعة القرظي تزوج امرأة ثم طلقها فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أنه لا يأتيها وأنه ليس معه إلا مثل هدبة الثوب فقال ( لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك) تفرد به من هذا الوجه (الطريق أخرى).

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخلت امرأة رفاعة القرظي وأنا وأبوبكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن رفاعة طلقني البتة وأن عبد الرحمن

بن الزبير تزوجني وإنما عنده مثل الهدية وأخذت هدبة من جلبابها  
 وخالد بن سعيد بن العاص بالباب لم يؤذن له فقال أبوبكر : ألا تنهي  
 هذه عما تجهر به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زاد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبسّم، فقال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ( كأنك تريد أن ترجعي إلى رفاعه، لا حتى تذوقني  
 عسيلته وذوق عسيلتك)، وهكذا رواه البخاري من حديث عبد الله بن  
 المبارك ومسلم من حديث عبدالرزاق والنسائي من حديث يزيد بن  
 زريع ثلاثهم عن معمر به وفي حديث عبد الرزاق عند مسلم أن  
 رفاعه طلقها آخر ثلاث تطليقات، وقد رواه الجماعة إلا أبو داود من  
 طريق سفيان بن عيينة والبخاري من طريق عقيل ومسلم من طريق  
 يونس بن يزيد وعنده آخر ثلاث تطليقات والنسائي من طريق أيوب  
 بن موسى ورواه صالح بن أبي الأخضر كلهم عن الزهري عن عروة  
 عن عائشة به وقال مالك عن المسور بن رفاعه القرظي عن الزبير  
 بن عبد الرحمن بن الزبير أن رفاعه بن سموأل طلق امرأته تميمية  
 بنت وهب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فنكحت عبد  
 الرحمن بن الزبير فاعترض عنها فلم يستطع أن يمساها ففارقها فأراد  
 رفاعه بن سموأل أن ينكحها وهو زوجها الأول الذي كان طلقا فذكر  
 ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن تزوجها وقال ( لا تحل  
 لك حتى تذوق العسيلة). هكذا رواه أصحاب الموطأ عن مالك وفيه  
 انقطاع وقد رواه إبراهيم بن طهمان وعبد الله بن وهب عن مالك عن  
 رفاعه عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير عن أبيه فوصله.

والمقصود من الزوج الثاني أن يكون راغبا في المرأة قاصدا لِدوام  
 عشرتها كما هو المشروع من التزويج واشترط الإمام مالك مع ذلك

أن يطأها الثاني وطأ مباحا فلو وطئها وهي محرمة أو صائمة أو معتكفة أو حائض أو نفساء أو الزوج صائم أو محرّم أو معتكف لم تحل للأول بهذا الوطء وكذا لو كان الزوج الثاني ذميا لم تحل للمسلم بنكاحه لأن أنكحة الكفار باطلة عنده واشترط الحسن البصري فيما حكاه عنه الشيخ أبو عمر بن عبد البر أن ينزل الزوج الثاني وكأنه تمسك بما فهمه من قوله عليه الصلاة والسلام (حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك) ويلزم على هذا أن تنزل المرأة أيضا وليس المراد بالعسيلة المنى لما رواه الإمام أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ألا إن العسيلة الجماع فأما إذا كان الثاني إنما قصده أن يحلها للأول فهذا هو المحلل الذي وردت الأحاديث بدمه ولعنه ومتى صرح بمقصوده في العقد بطل النكاح عند جمهور الأئمة (١).

هذه المناقشة المطولة وآراء الفقهاء كلها لذكر حكم واحد وتفسير الآية واحدة صغيرة. سرد فيها جميع الأحاديث التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم بجميع طرقها. كما تعرض لما يشترط في نكاح الزوج المحلل، وذكر أقوال العلماء وأدلتهم وذكر الأحاديث الواردة في ذلك وقد أورد سبعة أحاديث بأكثر من صفحة ونصف تقريبا (٢) وقد ذكر نكاح الزوج المحلل بعد المناقشة التي أوردناها مباشرة. ولم أجد مبررا لذكره في بحثنا فقد يطول الحديث عليها ولكن اكتفيت بذكر المناقشات الفقهية التي أسهب بها في تفسيره للآية ٢٣٠ من سورة البقرة. وكذلك نجده قد أطل الكلام عن الخلع ومذاهب الفقهاء فيه قبل

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٨٤-٢٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٨٦-٢٨٨.

أن يبدأ تفسيره للآية المذكورة وقد سرد فيها ما يزيد عن صفحة ونصف (١)

### رد الشيخ الألباني عليه:

ويغد هنا الشيخ الألباني قول الحافظ ابن كثير رادا عليه عند تفسيره للآية { ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن... } (٢) حيث يقول ( وقد اتفق العلماء على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا تحل حتى تغتسل بالماء، أو تتيمم إن تعذر ذلك عليها بشرطه إلا أن أبا حنيفة رحمه الله يقول إذا انقطع دمها لأكثر الحيض، وهو عشرة أيام عنده، أنها تحل بمجرد الانقطاع، ولا تفتقر إلى غسل ) (٣)

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني معلقا عليه (٤) (فهذا الاتفاق المذكور غير صحيح، بعد أن علمت أن ثلاثة من كبار علماء التابعين مجاهد وقتادة وعطاء قالوا بجواز إتيانها ولو لم تغتسل، وهو مذهب ابن حزم، ورواه عن عطاء وقتادة قالوا في الخائض إذا رأت الطهر: فأنها تغسل فرجها ويصيبها زوجها، وهو مذهب الأوزاعي أيضا (٥) قال ابن حزم (ورويانا عن عطاء أنها إذا رأت الطهر فتوضأت حل وطؤها لزوجها، وهو قول أبي سليمان وجميع أصحابنا).

(١) نفس المصدر / ١ - ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير / ١ - ٢٦٧.

(٤) آداب الزفاف صفحة ٥٤.

(٥) بداية المجتهد / ١ - ٤٤.



وما ذكره عن عطاء رواه ابن أبي شيبه (١) قال وروى ابن المنذر عن مجاهد وعطاء قالا: (إذا رأيت الطهر فلا بس أن تستطيب بالماء، ويأيتها قبل أن تغتسل).

فكيف يصح اتفاق وهؤلاء على خلافه؟ وإن من ذلك لعبرة للعاقل أن لا يتسرع في دعوى الاتفاق على شيء لصعوبة التحقق منه، وإن لا يبادر إلى تصديقها، ولا سيما إذا كانت مخالفة للسنة أو الدليل الشرعي.

ثم اعلم أننا إنما خيرنا بين ( أن تغسل الدم أو تتوضأ أو تغتسل ) لأن اسم التطهر يقع على كل من هذه الأمور الثلاثة، قال ابن حزم (والوضوء تطهر بلا خلاف، وغسل الفرج بالماء تطهر كذلك، وغسل جميع الجسد تطهر، فبأي هذه الوجوه تطهرت التي رأيت الطهر من الحيض، فقد حل به لنا إتيانها وبالله التوفيق).

وفي مثل المعنى الثاني، وهو غسل الفرج بالماء، نزل قوله تعالى { لمسجد أسس على التقوى في أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين }، فإن المراد المتطهرين من الغائط، فقد صح أنه لما أنزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم لأهل قباء (إن الله تبارك وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور، في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟ قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئا، إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا. قال هو ذاك، فعليكم

(به) (٢)

(١) المصنف ١/ ٦٦.

(٢) صححه الحاكم والذهبي، وخرج طرقه الشيخ الألباني.

وقد استعمل التطهر بنفس هذا المعنى في حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض؟ فأمرها كيف تغتسل، قال (خذي فرصة من مسك فتطهري بها) قالت كيف أتطهر؟ قال: (تطهري بها) قالت كيف؟ قال (سبحانك الله ، تطهري) فاجتذبتها إليّ فقلت تتبعني بها إثر الدم(١).

وبالجملة فليس في الدليل ما يحصر معنى قوله عز وجل ( فإذا تطهرن) بالغسل فقط، فالآية مطلقة تشمل المعاني الثلاثة السابقة، فبأيها أخذت الطاهر حلت لزوجها، ولا أعلم في السنة ما يتعلق بهذه المسألة سلباً أو إيجاباً. (٢)

### موقف ابن كثير من القراءات:

لا يكثر الحافظ ابن كثير من ذكر القراءات ولا يفصل بها بل يتناول بعض الآيات لا كلها وبإيجاز تام أو تلميح مقتضب وهذه أمثلة على ذلك:

- ١- عند تفسيره لقوله تعالى: { يا حسرة على العباد } (٣) يقول ابن كثير وفي بعض القراءات ( يا حسرة العباد على أنفسها ) (٤).
- ٢- وعند تفسيره لقوله تعالى: { وإن كل لما جميع لدينا محضرون } (٥) يقول وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ ( وإن كل لما ) بالتخفيف فعنده أن إن للإثبات

(١) رواه البخاري ١ / ٢٢٩-٢٣٠، ومسلم ١ / ١٧٩ وغيرهما.

(٢) آداب الزفاف صفحة ٥٦ - ٥٧.

(٣) سورة ياسين الآية ٣٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٧٧.

(٥) سورة ياسين الآية ٣٢.

ومنهج من شدد (لما) وجعل إن نافية ولما بمعنى إلا تقديره وما كل إلا جميع لدينا محضرون، ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم (١).

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى: {ولقد أضل منكم جبلا كثيرا...} (٢)

يقول ابن كثير: يقال جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام، ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام، ومنهم من يسكن الباء (٣).

٤- وعند تفسيره لقوله تعالى: {وقالت هيت لك قال معاذ

الله} (٤) يقول وقد اختلف القراء في قوله {هيت لك} فقرأه كثيرون بفتح الهاء وإسكان الباء وفتح التاء. وقرأ ذلك آخرون هيت لك

بكسر الهاء والهمز وضم التاء بمعنى تهيأت لك، وممن روي عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو

وائل وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى تهيأت لك. قال أبي جرير: وكان أبو عمرو والكسائي ينكر أن هذه القراءة. وقرأ

عبد الله بن إسحاق هيت بفتح الهاء وكسر التاء وهي غريبة، وقرأ آخرون منهم عامة أهل المدينة هيت بفتح الهاء وضم

التاء.

قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن الأعمش عن أبي وائل قال: قال

ابن مسعود وقد سمع القراء متقاربين فاقروا كما علمتم وإياكم والتنطع والاختلاف وإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال. ثم قرأ عبد الله

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٧.

(٢) سورة ياسين الآية ٦٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨٣.

(٤) سورة يوسف الآية ٢٣.

هيت لك، فقال يا أبا عبد الرحمن ناسا يقرعونها هيت، قال عبد الله، أن اقرأها كما علمت أحب إلي، وقال ابن جرير: حدثني ابن وكيع حدثنا ابن عيينة عن منصور عن أبي وائل قال: قال عبد الله هيت لك فقال له مسروق إن ناسا يقرؤونها هيت لك، فقال دعوني فإني أقرأ كما أقرئت أحب إلي. وقال أيضاً: حدثني المثنى حدثنا آدم بن إياس حدثنا شعبة عن شقيق عن ابن مسعود قال: هيت لك بنصب الهاء والتاء ولا تهمز، وقال آخرون هيت لك بكسر الهاء وإسكان الياء وضم التاء. قال أبو عبيد معمر بن المثنى هيت لا تتنى ولا تجمع ولا تؤنث بل يخاطب الجميع بلفظ واحد فيقال هيت لك وهيت لكم وهيت لكما وهيت لكن وهيت لهن (١)

٥- مثال عند تفسيره لقوله تعالى: {وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره} (٢) يقول وكان له ثمر بضم التاء وتسكين الميم، وقرأ آخرون ثمر بفتح التاء والميم (٣)

٦- مثال أخير عند تفسيره لقوله تعالى: {وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها} (٤) يقول وقرأ أبو رجاء العطاردي (بسم الله مجريها ومرسيها) (٥). وبهذا نخلص إلى أن ابن كثير كان يتناول بعض الآيات وكيفية قراءتها من غير تفصيل بمجرد أنه

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٩١.

(٢) سورة الكهف الآية ٣٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٨٧.

(٤) سورة المود الآية ٤١.

(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٦٢.

يذكر قرئت كذا وقرئت إلا من (هيت لك) فقد فصل بها كثير  
وعجبي من ذلك.

وبإجمال فإن هذه التفسير من خير كتب التفسير بالمأثور، وقد شهد له  
بعض العلماء، فقال السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ، والزرقاني في  
شرح المواهب: إنه لم يؤلف على نمطه مثله (١).

---

(١) الرسالة المستطرفة صفحة ١٤٦.

## الباب الثاني

يتضمن هذا الباب المفسرين الذين لهم تفاسير غير مطبوعة أو أنها لم تصل إلينا لفقدائها مع تقادم الزمان، أو أن لهم مشاركات تفسيرية غير مكتوبة وليس لهم مؤلف تفسيري، حسب إطلاعي. وهذه النشاطات أو المشاركات التفسيرية كالتدريس ووضع قواعد للتفسير وغير ذلك.

وقد التزمت ذكر المفسرين الذين نشأوا في القرن الثامن الهجري، وقد أخذت في نظر الاعتبار كون المفسر أدرك هذا القرن وعنده أهلية للمساهمة في الحركة العلمية التفسيرية، لذا أهملت من ولد بعد سنة ٧٨٥هـ وكذا من مات قبل سنة ٧١٠هـ باعتبار أن كليهما لم تكن له مساهمة في هذا القرن، فالأول نضج علميا في القرن التاسع والثاني كان نشاطه في القرن السابع، وهذه مسألة تقريبية اجتهدت أن تكون صحيحة فإن أصبت فمن الله تعالى وإن أخطأت فمني ومن الشيطان. وكذلك التزمت ذكر تراجم المفسرين تسلسلا حسب سني وفاتهم، وذلك تمشيا مع الحركة التفسيرية، فاذا مات من مات سنة إحدى عشر وسبعمائة ثم من مات سنة خمسة عشر وسبعمائة وهكذا وإذا تساوت تواريخ وفياتهم أقدم الأقدم مولدا وإذا تشابهت الولادة والوفاة أقدم حسب الحروف الأبجدية. وقد اخترت الوفاة دون الولادة لعدم معرفة الولادات في كثير من الأحيان وإليك تراجمهم.

## محمود بن مسعود الشيرازي (١)

(٦٣٤-٧١٠هـ)

محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، الشيرازي (قطب الدين) عالم مشارك في التفسير والفقه والأصول والرياضيات والمنطق والحكمة والطب والهيئة وغير ذلك. ولد بشيراز في صفر وقرأ على والده، ثم قصد نصير الدين الطوسي وقرأ عليه، ودخل بلاد الروم، وولي قضاء سيواس وملطية، وكان يلعب الشطرنج، ويضرب الرباب، وزار الشام والعراق ومصر، ثم سكن تبريز، وتوفي بها في ١٦ رمضان من تصانيفه (فتح المنان في تفسير القرآن) في نحو ٤٠ مجلداً، نهاية الإدراك في دراية الأفلاك في الهيئة، شرح متن السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، شرح كليات القانون في الطب لابن سينا، وغرة التاج في الحكمة، وذكره صاحب نيل السائرين فقال: له تفسير العلاني في أربعين مجلد (٢).

## عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوي (٣)

(..... — ٧١٠هـ)

عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوي عز الدين الفقيه الشافعي قال الكمال جعفر الأدفوي كان من فضلاء الشافعية المتقنين مشاركا في فنون من الفقه، والأصول العربية مع ذكاء الفطرة، وقوة الحافظة، وكان قد قرأ على عبد الكريم بن بنت العراقي وغيره، وسمع من ابن

(١) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/ ٢٠٢، الإعلام ٧/ ١٨٧، بغية الوعاة ٣٨٩، مفتاح

السعادة ١/ ١٦٤، فهرست الكتبخانة ١/ ١٨٦، الفهرس التمهيدي ٥٠٩.

(٢) نيل السائرين في طبقات المفسرين لمولانا محمد ظاهر ١٦٤.

(٣) الدرر الكامنة للعسقلاني ٢/ ٤٨١ ترجمة ٢٤٣١.

دقيق العيد وغيره، أخذ عن البهاء بن النماس وغيره، وولي تدريس النابلسية، ودرس في التفسير بالمنصورية وكان ابن الوكيل لما قدم القاهرة وعقد له مجلس المناظرة انتدب عز الدين النمراوي هذا للبحث معه فصوب ابن دقيق العيد كلام النمراوي فصارت له بذلك صورة عند الدولة، وصحب الأمير سلار، وكذا اتصل ببيبرس وتسلطن وهو يلزمه، وقال البرزالي هو الشيخ الإمام الفقيه كان من فقهاء القاهرة المشهورين، أفتى، ودرس، وصحب سلار، وترقى بجاهه ومات في تاسع ذي القعدة سنة ٧١٠هـ.

### على زين الدين الأموي (١)

(..... - ٧١٠هـ).

الشيخ علي بن أحمد بن علي بن أحمد زين الدين الأموي الحنبلي له في التفسير (تبصرة الرحمن وتيسير المنان لبعض ما يشير إلى إعجاز القرآن) وهو تفسير ممزوج مبسوط في مجلد أوله الحمد لله الذي أنار بكلامه... مات سنة عشر وسبعمئة.

### محمد بن يوسف الجزري (٢)

(٦٣٧-٧١١هـ)

محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري، ثم المصري، الشافعي ويعرف بابن الحشاش (شمس الدين، أبو عبد الله). فقيه، عارف بالأصليين والنحو والبيان والمنطق والطب والرياضيات والشعر والتفسير وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية. ولد بجزيرة

(١) نيل السائر في طبقات المفسرين ١٦٤.

(٢) معجم المؤلفين ١٢/١٢٨.



ابن عمر، وقدم مصر، فسكن في قوص، وأخذ عنه السبكي علم الكلام، وتوفى بمصر في ذي القعدة. من تصانيفه: شرح الفية ابن مالك في النحو، شرح التحصيل، ديوان شعر، ديوان خطب، وشرح المنهاج للبيضاوي في أصول الفقه.

### محمد بن مسعود السيرافي (١)

(٦٨٤ - ٧١٢هـ)

محمد بن مسعود بن محمود السيرافي (قطب الدين) مفسر، نحوي من آثاره (تقريب التفسير في تلخيص الكشاف)، وشرح اللباب في النحو فرغ منه سنة ٧١٢هـ.

### علي بن يوسف الشطنوفي (٢)

(٦٤٧ - ٧١٣هـ)

علي بن يوسف بن حريز بن معضاد بن محمد بن أحمد القاري المشهور بالشيخ نور الدين الشطنوفي اللخمي الشافعي، كان أصله من الشام من البلقاء، وولد بالقاهرة في أواخر شوال سنة ٦٤٧هـ، وأخذ القراءات عن تقي الدين الجرائدي، وزين الدين ابن الجزائر وغيرهما، والعربية عن صالح ابن إبراهيم بن أحمد الأسعدي إمام جامع الحاكم، وسمع عن النجيب والصنعلي الخليل وغيرهما، وولي تدريس التفسير بالجامع الطولوني، والأقراء بجامع الحاكم، وكان الناس يكرمونه ويعظمونه وينسبونه إلى الإصلاح، وانتفع به جماعة في القراءات وجمع هو مناقب الشيخ عبد القادر، وسمى الكتاب البهجة

(١) معجم المؤلفين ٢٠/١٢، الأعلام ٧/٩٦، هدية العارفين ٢/١٤٢.

(٢) الدرر الكامنة ٣/٢١٦، ترجمة ٢٩٤٣، الأعلام ٥/٣٤.

قال الجمال جعفر: وذكر فيها غرائب وعجائب وطعن الناس في كثير من حكاياته ومن أسانيده فيها، وكان عالما تقيا مشكور السيرة، ومات في ذي الحجة سنة ٧١٣هـ - رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

### أبو بكر الجزري المقصاتي (١)

(..... — ٧١٣هـ)

أبو بكر عمر بن عمر بن مشيع تقى الدين الجزري المقصاتي المقرئ. ولد في حدود العشرين، وتعانى القراءات، ونشأ بالموصل وبغداد، ثم سكن دمشق، وأقرأ القراءات العشر وعنده طرف من العربية، وحدث بالتفسير عن عبد الصمد بن أبي الحسن وقراً بعد الخمسين وقراً على العلم القاسم الأندلسي بدمشق وعلى عبد الصمد بن أبي الحسن بدمشق وسمع تفسير الكواشي منه وجلس للأقراء قديما، ثم سكن دمشق، وكان بصيرا بالقراءات وناب في الخطابة بالجامع الأموي أكثر من عشرين سنة، وكان زاهدا متعبدا ورعا، قال الذهبي: قرأت عليه التجريد لابن الضمام بسماعه له على عبد الصمد ابن أبي الحسن، وكان ينقل من الشواذ كثيرا، وانتفع به جماعة في القراءات ولعله أقرأ أكثر من خمسين سنة، مات وقد جاوز الثمانين في جمادى الآخرة سنة ٧١٣هـ.

(١) الدرر الكامنة ١ / ٤٨٤ ترجمة ١٢١٤.

**(أبو بكر الصائغ (١)**

(.... — ٧١٤هـ)

أبو بكر بن أحمد بن الصائغ الحنبلي.

مفسر، له حاشية على تفسير البيضاوي سماها (الحسام الماضي في إيضاح غريب القاضي).

**محمد بن أبي القاسم الربيعي (٢)**

(٦٣٩ - ٧١٥هـ)

محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن جميل الربيعي التونسي المالكي شمس الدين والد ناصر الدين.

ولد سنة ٦٣٩ وسمع في سنة ٦٧٣ من الكمال بن عبد و القطب القسطلاني وابن الزبير واليغموري وغيرهم، واشتغل في الفنون، وافتى ودرس بالمنكوتيرية وأم بالصالحية، وكانت دروسه فصيحة في غاية الجودة وناب في الحكم بالحسينية ثم ولي قضاء الإسكندرية فلم يحمده، ويقال إنه كان يقول: أنا أعرف كيف أخذ الدراهم في قضاء الحوائج وله اختصار تفسير ابن الخطيب وقواعد القرافي وغير ذلك ومات في صفر سنة ٧١٥هـ، وقال عمر رضا كحالة كان فقيها، أصوليا، مفسرا، له مختصر التفريع، ومختصر قواعد القرافي (٣)

(١) معجم المؤلفين ٣ / ٥٧.

(٢) الدرر الكامنة ٤ / ٢٦٦ ترجمة ٤٢٥٤، نيل السائر ١٦٤.

(٣) معجم المؤلفين ١١ / ١٤١.

والمقتضب في التميز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز) وفي أوله مقدمة في الرد على المنطقيين.

## أبو الفضل رشيد الدولة الهمداني (١)

(... - ٧١٨هـ)

فضل الله بن أبي الخير بن غالي الهمداني الوزير رشيد الدولة أبو الفضل، كان أبوه عطارا يهوديا، فأسلم هو واتصل بغازان فخدمه وتقدم عنده بالطب إلى أن استوزره، وكان يناصر المسلمين ويذب عنهم ويسعى في حقن دمائهم، وله في تبريز آثار عظيمة من البر، وكان شديدا على من يعاديه أو ينتقصه يثابر على هلاكه، وكان متواضعا سخيا كثير البذل للعلماء والصلحاء. وله تفسير على القرآن فسرته على طريقة الفلاسفة فنسب إلى الإلحاد، وقد احترقت تواليه بعد قتله، وكان نسب إلى أنه تسبب في قتل خربندا ملك التتار، فطلبه جوبان إلى السلطان على البريد فقال له: أنت قتلت القان، فقال: معاذ الله أنا كنت رجلا عطارا ضعيفا بين الناس فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفا في الممالك، ثم أحضر الجلال الطبيب بن الحزان اليهودي طبيب خربندا، فسأله عن موت خربندا فقال: أصابته هيضة قوية انسهل بسببها ثلاث مائة مجلس وتقيأ قينا كثيرا، فطلبني بحضور الرشيد والأطباء، فاتفقنا على أن نعطيه أدوية قابضة مخشنة، فقال الرشيد: هو إلى الآن يحتاج إلى الاستفراغ، فسقناه برأيه مسهلا، فانسهل به سبعين مجلسا فسقطت قوته فمات؛ وصدق الرشيد على ذلك، فقال الجوبان للرشيد: فأنت قتلت، وأمر بقتله فقتل وفصلوا

(١) الدرر الكامنة ٣ / ٣١٤ ترجمة ٣٢١٠، الأعلام ١٥٢/٥، نيل السائرين في طبقات المفسرين

أعضاءه، وبعثوا إلى كل بلد بعضو واخروا بقية جسده، وحمل رأسه إلى تبريز، ونودي عليه هذا رأس اليهودي الملحد، ووصل الخبر بقتله إلى دمشق سنة ٧١٨، وفيها أرخه البرزالي وتبعه ابن حبيب والأول اتقن وقال في ترجمته: كان حسن البراعة، وطبيب صادق في القناعة، واستوزره خربندا وغازان، وتسعف بعلمه في الممالك، وبني عدة من الخوانك والمدارس، وعاش نحواً من ثمانين سنة، قال الذهبي: كان له رأي ودهاء ومروءة، وكان الشيخ تاج الدين الأفضلي يذمه ويرميه بدين الأوائل، وقدر عليه فصيح عنه، وكانت له مكارم وشفقه وبذل وتودد لأهل الخير. يقول عمر كحالة من مؤلفاته: تفسير القرآن سماه (مفتاح التفاسير) فسره على طريقة الفلاسفة. ويقول ابن كثير: واتهموه على الدين وتكلموا في تفسيره هذا ولا شك أنه كان مخبطاً مخلطاً وليس لديه علم نافع (١)

## محمد بن الهادي (٢)

(٦٥١ - ٧٢٠هـ)

محمد بن الهادي بن تاج الدين (عز الدين)

فقيه من آثاره: (الروضة والغدير في تفسير آي الأحكام من تنزيل الحكيم القدير).

(١) البداية والنهاية الجزء ١٤/٨٩ ط ١ سنة ١٩٨٨.

(٢) البداية والنهاية ١٢/٨٤.

## أحمد بن البناء (١)

(٦٥٤ - ٧٢١هـ)

أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي، أبو العباس، ابن البناء رياضي، باحث، من أهل مراكش، مولدا ووفاة، كان أبوه بناء، ونشأ هو منصرفا إلى العلم، فنبغ في علوم شتى، وانقطع مدة عن أكل ما فيه روح، وأصيب بحالة عصبية فحجب في بيته سنة وتعافى. له (حاشية على الكشاف) ومنتهى السؤل في علم الأصول وكليات في المنطق وكليات في العربية والمقالات مخطوطة في الحساب، واللوازم العقلية في مدارك العلوم، والروض المربع في صناعة البديع مخطوطة في الرباط، وتلخيص أعمال الحساب نظمه ابن غازي وشرح نظمه وعنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل مخطوطة رسالة في الرباط المجموعة (١٣٤ ك) وفي خزانة الرباط (١٠٦١ ك) وجزء في المساحات ومقالة في علم الاسطرلاب وجزء في الأنواء فيه صور الكواكب وقانون في معرفة الأوقات بالحساب، يقول مولانا محمد ظاهر: وله تفسير سورة العصر والكوثر ومجلد في تفسير بسم الله وحاشية على الكشاف وعنوان التنزيل في رسم خط التنزيل (٢)

(١) الدر الكامنة ١/ ٢٩٧ ترجمة ٧١٢، الأعلام ١/ ٢٢٢، جذوة الاقتباس ٧٣.

(٢) نيل الساترين ١٦٨.

## محمد بن رشيد السبتي (١)

(٦٥٧ - ٧٢١هـ)

محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين بن رشيد الفهري السبتي، رحالة، عالم بالأدب، عارف بالتفسير والتاريخ، ولد بسبته وولي الخطابة بجامع غرناطة الأعظم، ومات بفاس، رحل إلى مصر والشام والحرمين سنة ٦٨٣هـ وصنف رحلة سماها ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في رحلة إلى مكة وطيبة مخطوط أجزاء منه، وهو في ست مجلدات، قال ابن حجر: فيه من الفوائد شيء كثير، وقفت عليه وانتخبت منه ومن كتبه (تلخيص القوانين في النحو، والسنن الأبين والمورد الأمعن، في المحاكمة بين الإمامين، البخاري ومسلم - في السند المعنعن، وإفادة النصح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح، وإيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب، وترجمان التراجم على أبواب البخاري، لم يتمه، وله خطب وقصائد وكتب صغيرة كثيرة.

## محمد بن إبراهيم الزنجاني (٢)

(كان حيا قبل \_ ٧٢١هـ)

محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الزنجاني، الشافعي. مفسر، فقيه، من القضاة. له من التصانيف (تفسير القرآن). ومختصر المحرر للقزويني في فروع الفقه.

(١) الدرر الكامنة ٤ / ١٩١، الأعلام ٦ / ٣١٤، جذوة الاقتباس ١٨٠، بغية الوعاة ٨٥، الرسالة

المستطرفة ١٣٤. الواقي ٤ / ٢٨٤.

(٢) معجم المؤلفين ٨ / ١٩٢.

## محمد بن علي الجذامي المالقي (١)

(..... — ٧٢٣هـ)

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي، والأركشي، المالقي، الشريشي (أبو بكر).

مفسر، نحوي، شاعر، ولد ونشأ في أركش، وتعلم بشريش، وانتقل إلى الجزيرة الخضراء بالمغرب، ثم استوطن مالقه، وتلمذ له لسان الدين الخطيب، وتوفي بمالقه عن نحو ثمانين سنة، من تصانيفه (تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن) شرح مشكلات سيبويه، شرح قوانين الجزولية وكلاهما في النحو، شرح الرسالة، وشرح المختصر.

## علي نور الدين البكري (٢)

(٦٧٣ - ٧٢٤هـ)

علي بن يعقوب بن جبريل البكري نور الدين أبو الحسن المصري الشافعي الفقيه.

ولد سنة ٦٧٣ واشتغل بالفقه والأصول وقرأ بنفسه مسند الشافعي على ست الوزراء لما قدمت القاهرة، وجرت له محنة بسبب القبط فتعصبوا عليه وأغروا به السلطان وكان هو قد بسط لسانه في الإنكار، فأمر بقطع لسانه فبلغ ذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل وكان بالقاهرة، فطلع إلى القلعة وشفع فيه فقبل السلطان شفاعته بعد جهد وشرط أن يخرج من مصر فخرج إلى دهروط، وكانت له قصة طويلة مع اقباط مصر وكان نور الدين البكري جوادا فقيها فاضلا مناظرا وهو ممن

(١) معجم المؤلفين ١١ / ٤٢، الأعلام ٦ / ٢٨٤، نيل السائرين ١٦٧.

(٢) الدرر الكامنة ٣ / ٢١٤ ترجمة ٢٩٤١، معجم المؤلفين ٧ / ٢٦٢، الأعلام ٥ / ٣٢، نيل



كان يشدد على ابن تيمية لما أمتحن بالقاهرة، وذكر الكمال جعفر الأدفوي أن ابن الرفعة أوصاه أن يكمل شرح الوسيط ولنور الدين كتاب تفسير الفاتحة وكتاب في البيان وغير ذلك. قال الذهبي: كان دينا متعففا مطرحا للتجمل نهاء عن المنكر، وكان وثب مرة على ابن تيمية ونال منه، وأكثر القلاقل ومات في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤هـ.

### مسعود الشيرازي (١)

(..... — ٧٢٥هـ)

مسعود بن المظفر بن محمد الشيرازي (جلال الدين، ابو الميامين). مفسر، مشارك في بعض العلوم، من مصنفاته: مفتاح الروايات ومصباح الحكايات في أربع مجلدات.

### الحسن بن المطهر (٢)

(٦٤٨ - ٧٢٦هـ)

الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الحلي، المعروف بالعلامة الحلي (جمال الدين، أبو منصور). عالم مشارك في التفسير، والفقه والأصول والكلام والنحو ومعرفة الرجال والمنطق وعلم الطبيعة والحكمة الالهية من أئمة الشيعة ويعرف بالعلامة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (منهاج الاعتداء في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال) أن لابن المطهر الحلي كتابا سماه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) وأهدي هذا

(١) معجم المؤلفين ٢٣١/١٢.

(٢) معجم المؤلفين ٣٠٣/٣ الأعلام ٢٢٧/٢، روضات الجنان ٥/٢، فتح المقال ١٠٩، أعيان

الشيعة ٢٧٧/٢٤.

الكتاب للملك المعروف (خدا بنده) وهذا المصنف سلك مسلك سلفه  
كابن النعمان المفيد والكراجكي وابن القاسم الموسوي ونصير الدين  
الطوسي أقول وكلهم من أئمة الشيعة الرافضة (١)

### محمد عبد النور الحميري (٢)

(كان حيا في \_ ٧٢٦هـ)

محمد بن محمد بن عبد النور الحميري ، التونسي .  
مفسر ، فقيه ، مشارك في كثير من العلوم من تصانيفه (مختصر تفسير  
فخر الدين الرازي) تقييد كبير على الحاصل في سفرين ، والحاوي في  
الفتاوى .

### صالح بن الصباغ الكوفي (٣)

(٦٣٩ - ٧٢٧هـ)

صالح بن عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح الأسدي محي الدين بن  
الصباغ الحنفي الكوفي .  
ذكره التاج عبد الباقي في ديل الوفيات فقال كان فريدا في علوم  
التفسير ، والفقه والفرائض والأدب ناردة العراق في ذلك مع الزهد  
والفضل والورع القى الكشاف دروسا من صدره ثمانى مرات مع  
بحث وتدقيق وإيراد وتشكيك وطلب لرياسة الحنفية بالمستتصرية  
فامتنع ومات في سنة ٧٢٧ هـ وله ٨٨ سنة . وذكره ابن رافع في  
معجمه في حرف الصاد وقال ولد في ربيع الآخر سنة ٦٣٩ هـ  
وأجاز له سنة ٦٥٠ الصغاني ثم أنشد عنه بالإجازة شعرا عن

(١) انظر المنتقى من منهاج الاعتدال لمحج الدين الخطيب ص ٢١ .

(٢) معجم المؤلفين ٢٤١/١١ .

(٣) الدرر الكامنة ٢/ ٢٩٩ ترجمة ١٩٩٤ .

الصغاني وقال مات في سابع عشرين صفر وذكره الصفدي في حرف العين فقال عبد الله بن جعفر إلى آخره واطنه وهم في ذلك ثم رأيتُه تبع الذهبي فإنه ذكره في سير أعلام النبلاء كذلك وكان قد ذكره قبل ذلك فقال صالح بن عبد الله إلى آخر ما ذكر التاج عبد الباقي وذكر أنه أجاز له الصغاني وأنه كان يتفقه ويتزهد حتى صار وقد حدث صاحبنا القاضي تاج الدين النعماني قاضي بغداد بعد العشرين وثمانين مائة بدمشق عن عمه حسام الدين عن محي الدين أبي الفضل صالح بن الشيخ تقي الدين عبد الله بن الصباغ الكوفي الراشدي فهذا هو الحق في اسمه ووصفه.

### محمد بن أبي العز ابن الوراق (١)

(٦٤٠ - ٧٢٧هـ)

محمد بن علي بن علي بن أبي القاسم بن أبي العز بن خروف الموصلني الحنبلي ويعرف بابن الوراق. قرأ تفسير موفق الدين الكواشي على المصنف. وتوفي في جمادي الأولى سنة ٧٢٧هـ.

### أحمد القمولي (٢)

(٦٥٣ - ٧٢٧هـ)

أحمد بن محمد بن مكي بن ياسين القمولي القرشي، المخزومي، الشافعي (نجم الدين أبو العباس).

فقيه، عارف بالأصول والعربية ناب في الحكم بمصر، وولي الحسبة فيها، وتوفي بالقاهرة في رجب ودفن بالقرافة. من تصانيفه شرح

(١) الدرر الكامنة ٤/١٩٥ ترجمة ٤٠٨٠.

(٢) معجم المؤلفين ٢/١٦٠، الأعلام ١/٢٢٢، التاج ٨/٨٧.

الكافية لابن الحاجب في مجلدين سماه تحفة الطالب، البحر المحيط في شرح الوسيط للغزالي في نحو أربعين مجلدة، ثم لخص أحكامه في كتاب سماه جواهر البحر في فروع الفقه الشافعي، الروض الزاهر فيما يحتاج إليه المسافر، شرح الأسماء الحسنى سماه موضح الطريق، وتكملة (تفسير ابن الخطيب). يقول صاحب نيل السائرين: أكمل تفسير الإمام فخر الدين وكان ابن الوكيل يقول ما في مصر افقه منه مات في رجب سنة سبعة وعشرين وسبعمائة وهو من أبناء الثمانين (١)

### محمد ابن الزمكاني (٢)

(٦٦٧ - ٧٢٧هـ)

محمد بن علي عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري الدمشقي ابن الزمكاني كمال الدين أبو المعالي ولد في شوال سنة ٦٦٧هـ سسمع من المسلم بن علان والفخر علي وابن الواسطي وابن القداس وغيرهم وتفقه عن ابن الفرکاح وأخذ العربية عن بدر الدين بن مالك، قال الكمال الأدفوي أحد المتقدمين في الفتوى، والتدريس والمشاورين في المجالس والمرجوع إليه في المناظرة وكان ذكي الفطرة نافذ الذهن فصيح العبادة وأطلق عليه الذهبي عالم العصر وأمير الشافعية صنف رسالة في الرد على ابن تيمية في الطلاق وأخرى في الرد عليه في الزيارة ودرس بالشامية والظاهرية والرواحية، قال ابن كثير انتهت إليه رئاسة المذهب تدريسا وافتاء ومناضره وساد أقرانه بذهنه الوقاد وتحصيله الذي منعه الرقاد وعبارته الرائقة وألفاظه الفائقة قال ولم أسمع أحدا من الناس يدرس أحسن منه ولا سمعت أحلى منه عبارته

(١) نيل السائرين ١٦٩.

(٢) نيل السائرين ١٧٠.

وجودة تقريره واحترازه وصحة ذهنه وجودة قريحته. وكانت وفاته  
سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة وحمل من  
بلييس إلى القرافة فدفن بالقرب في الإمام الشافعي رحمه الله قال وله  
تفسير المسمى بنهاية التاصيل.

## علي علاء الدين القونوي (١)

(٦٦٨ - ٧٢٧هـ)

علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي علاء الدين الفقيه الشافعي. ولد  
سنة ٦٦٨هـ بقونيه من بلاد الروم وقدم دمشق سنة ٦٩٣ فدرس  
بالإقبالية، ثم قدم القاهرة فولى مشيخه سعيد السعداء وسمع من إبراهيم  
بن عنبر المارديني واحمد بن عبد الواحد الزملكاني وأبي الفضل بن  
عساكر والأبرقوهي وعمر ابن القواس وابن القيم والدمياحي وابن  
الصواف وابن دقيق العيد وغيرهم، ولزم شمس الدين الأبي وقراء  
الأصول على تاج الدين الحلقي وتقدم علاء الدين المذكور في معرفة  
التفسير والفقه والأصول والتصوف وأقام على قدم واحد ثلاثين سنة  
يصلي الصبح جماعة، وولى تدريس الشريفة وسكن بها دهرا يشغل  
بعد صلاة الصبح إلى أذان الظهر فتخرج به جمع كثير في أنواع من  
العلوم، وكان الناصر يعظمه ويثني عليه وكذا أرغون النائب حتى  
كان يقول: ما ملأ عيني غيره ولما طلب ابن الزملكاني لتولي القضاء  
بدمشق فمات ببلييس ولى الناصر علاء الدين المذكور قضاء دمشق  
فتوجه إليها في سنة ٧٢٧هـ في شوال فباشرها أحسن مباشرة  
وتصلب زائد وعفه ولم يكن له في الحكم نهمة وأحضر صحبتته من

(١) الدرر الكامنة ٣/ ٩٣ ترجمة ٢٦٨٤، الأعلام ٤/ ٢٦٤.

الكتب ما حمل على نحو العشرين فرسا. وكان محكما للعربية قوي الكتابة له يد طولى في الأدب وله شرح الحاوي، ومختصر المنهاج للحليمي والتصرف في شرح التعرف في التصوف وكان يترسل جيدا من غير سجع ويستشهد بالآيات والأبيات والأحاديث اللائقة بذلك وكان قد لازم ابن دقيق العيد وقرأ عليه حتى كتب له بخطه على نسخته من مختصر ابن الحاجب باحث صاحب هذا الكتاب فلما فوجده يطلق عليه اسم الفاضل استحقاقا.

وقدرت وفاته بالشام في ذي القعدة سنة ٧٢٧هـ.

ومن شعر الشيخ علاء الدين:

غمرتني المكارم الغر منكم      وتوالت علي منها فنون.  
شرط إحسانكم تحقق عندي      ليت شعري الجزاء كيف يكون.  
وفيه يقول ابن الوردي:

إذا رمت تذكر في زمانك عالما      متواضعا فأبدأ بذكر القونوي  
ولى القضاء وصار شيخ شيوخهم      والقلب منه على التصوف منطوي  
زادوه تعظيما فزاد تواضعا      الله اكبر هكذا البشر السوي

## عبد السلام ابن ابي الرجال (١)

(..... — ٧٢٧هـ)

عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي الأشنبلي. كان من احفظ أهل زمانه، صدوقا ثقة، وله رد على ابن سينا وله التفسير مات سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

(١) نيل السائرین ١٦٦.

## أحمد بن جبارة المرداوي (١)

(٦٤٧-٧٢٨هـ)

أحمد بن محمد بن عبد الولي بن جبارة المرداوي، المقدسي، الصالحي، الحنبلي (شهاب الدين، أبو العباس). فقيه، أصولي، نحوي، مقرئ، مفسر، ولد في سنة ٦٤٧ هـ. وأقام بمصر وقدم دمشق، ثم أقام بحلب، ثم بالقدس، وتوفي بها في ٤ رجب من مصنفاته: (فتح القدير في التفسير) شرح لألفية ابن معطي، شرح الرائية ونونية السخاوي في التجويد، وشرح عقيلة أتراب القوائد في أسنى المقاصد للشاطبي.

يقول مولانا محمد طاهر: وأشتهر بالقراءات وله تفسير سماه (فتح القدير) وله مختصر الكشاف الجزء الأول منه يبدأ بأول الكتاب وينتهي بآخر سورة الإنعام. مات بالقدس فجأة سنة ٧٢٨ هـ (٢)

## موسى الزرزاري (٣)

(٦٥٨-٧٣٠هـ)

موسى بن علي بن موسى بن يوسف بن محمد الزرزاري القطبي ضياء الدين قرأ على الكواشي التفسير الصغير وسمع منه التفسير الكبير. وتوفي في رجب سنة ٧٣٠هـ.

(١) معجم المؤلفين ٢/ ١٢٥.

(٢) نيل السائر ١٦٩.

(٣) الدرر الكامنة ٤/ ١٤٩ ترجمة ٤٨٩٠.

## محمد بن إدريس الزيدي (١)

(..... — ٧٣٠هـ)

محمد بن إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة بن سليمان الزيدي، اليماني، والشهير بابن إدريس، من أئمة الزيدية. مفسر، فقيه، شاعر. توفي في عشر الثلاثين وسبعمائة، من آثاره (الإكسير الإبريز في تفسير القرآن العزيز) والحسام المرهف في تفسير غريب المصحف)، الدررة المضية في الآيات المنسوخة الفقهية، الذخيرة الزاخرة في مناقب العترة الطاهرة، شفاء غلة الصادي في فقه الهادي، النور الممطور في فقه المنصور، (والنهج القويم في تفسير القرآن الكريم).

يقول مولانا محمد طاهر: له في التفسير التيسير الإكسير الإبريز في تفسير القرآن العزيز والنهج القويم في تفسير القرآن الكريم مات سنة ثلاثين وسبعمائة للهجرة (٢)

## عبد الرزاق الكاشي السمرقندي (٣)

(..... — ٧٣٠هـ)

عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم محمد الكاشي أو الكاشاني السمرقندي.

صوفي، مفسر، من العلماء. له كتب منها كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض، واصطلاحات الصوفية مخطوط، وله شرح منزل

(١) معجم المؤلفين ٩ / ٣٤.

(٢) نيل السائر ١٧٤.

(٣) الأعلام ٣ / ٣٥٠، كشف الظنون ٢٦٦، معجم المطبوعات ١٤٨٦، التفسير والمفسرون ٢ /



الساثرين للهروي الحنبلي، (والسراج الوهاج في تفسير القرآن) وشرح خصوص الحكم لابن العربي وتأويلات القرآن، ورسالة في القضاء والقدر، وشرح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال. يقول مولانا محمد طاهر: له تأويلات القرآن وهو تفسير للقرآن الكريم بالتأويل على اصطلاح أهل التصوف، وتفسير معروف بتأويلات الكاشاني (١)

### العماد الكندي (٢)

(..... — ٧٣٠هـ)

قاضي الإسكندرية النحوي له (تفسير القرآن الكريم) وطريقته في التفسير أنه يتلو الآية أو الآيات ثم يسوق كلام الزمخشري ثم يناقشه ويكثر في التفسير من النحو والمعاني. مات سنة ثلاثين وسبعمائة للهجرة.

### عثمان الفضلي (٣)

(٦٥٠ - ٧٣١هـ)

عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان، وقيل إبراهيم بن محمد، الأسدي، الحنفي المعروف بالفضل المارديني ويقال له ابن التركماني. فقيه، محدث، مفسر، لغوي، أديب، انتهت إليه الرياسة الحنفية بالديار المصرية، وأخذ العلم عنه ولداه. قاضي القضاة علي بن عثمان الماردين، وتاج الدين أبو العباس أحمد بن عثمان، وصاحب الجواهر المضينة محيي الدين عبد القادر القرشي وغيرهم. ومن تصانيفه:

(١) نيل الساثرين ١٧٤.

(٢) نيل الساثرين ١٦٧.

(٣) الفوائد البهية ١١٥، معجم المؤلفين ٦/٢٤٩، الأعلام ٤/٢٠٢.

شرح الوجيز الجامع لمسائل الجامع في شرح كبير للشيباني، فقه  
وفتاوى. توفي سنة ٧٣١هـ.

### إبراهيم الحموي الرومي (١)

(٦٥٠ - ٧٣٢هـ)

إبراهيم بن سليمان الحموي، رضي الدين، القونوي، الرومي، الحنفي.  
عالم بالحديث والتفسير، أثنى عليه ابن قطلوبغا وقال: له تصانيف  
منها شرح الجامع الكبير في ست مجلدات، أصله من حمّاه وسكن  
دمشق فدرس بها إلى أن مات. ويذكر صاحب معجم المؤلفين أن  
مولده كان ٦٥٢هـ.

### إبراهيم بن عمر الجعبري (٢)

(... - ٧٣٢هـ)

إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل ابن أبي العباس الجعبري الربعي  
الخليلي ويقال له شيخ الخليل ولقبه ببغداد تقي الدين وبغيرها برهان  
الدين ويقال له أيضاً ابن السراج واشتهر بالجعبري. سكن دمشق مدة  
ثم ولي مشيخة الخليل إلى أن مات بها. وصنف نزهة البردة في  
القراءات العشرة وشرح الشاطبية وشرح الرائية والتعجيز من نظمه  
في النثر وله عروض ومناسك إلى غير ذلك من التصانيف المختصرة  
التي تقارب المائة. قال الذهبي كان ساكناً وقوراً ذكياً واسع العلم وقال  
الذهبي في المعجم المختص شيخ بلد الخليل له التصانيف المتقنة في  
القراءات والحديث والأصول والعربية والتاريخ وغير ذلك. وله مؤلف

(١) الأعلام ١/ ٤١، الدرر الكامنة ١/ ٢٧، معجم المؤلفين ١/ ٣٥.

(٢) نيل السائر ١٧٤.

في علوم الحديث وقال ابن رافع كان عارفا بفنون من العلم محبوب الصورة بشوشا وكان يكتب بخط السلفي فسألته عن ذلك فقال بالفتح نسبته إلى السلف مات في رمضان سنة ٧٣٢هـ وقد جاوز الثمانين. ويقول مناع القطان: اختصر أسباب النزول للواحدى النيسابورى (١)

## محمد بن جماعة (٢)

(٦٣٩ - ٧٣٣هـ)

محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن حازم الكناني، الحموي، البياني، الشافعي (بدر الدين).

مفسر، فقيه، أصولي، متكلم، محدث، مؤرخ، أديب، ناشر، ناظم مشارك في غير ذلك. ولد بحماه في ٤ ربيع الآخر، وولي القضاء بالقدس والديار المصرية، وبدمشق وجمع بين القضاء ومشخة الشيوخ والخطابة. توفي بالقاهرة في ٢٠ جمادى الأولى، ودفن قريبا من الإمام الشافعي. من تصانيفه الكثيرة غرر التبيان، (والفوائد اللانحة من سورة الفاتحة)، المنهل الروي في علوم الحديث النبوي، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، وتحرير الأحكام في تدبير جيش الإسلام. وله تفسير (التبيان لمبهمات القرآن) أورده صاحب الياقوت والمرجان (٣)

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ٧٦.

(٢) معجم المؤلفين ٨ / ٢٠١، الأعلام ٥ / ٢٩٧، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للمقاضي بحير الدين الحنبلي ٢ / ٤٨٠. كشف الظنون ١ / ٣٤١، هدية العارفين ٢ / ١٤٨، إيضاح المكنون ٢٢١ / ١.

(٣) الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن للدكتور عبد الجواد خلف عبد الجواد ١ / ٢ و

## عبد الواحد فخر الدين بن المنير (١)

(٦٥١ - ٧٣٣هـ)

عبد الواحد فخر الدين بن المنير، المالكي (عز القضاة).

مفسر، عالم، أديب، ناظم، ناشر، توفي في جمادى الأولى. من آثاره (تفسير القرآن) في ٦ مجلدات وأرجوزه في القراءات السبع، وديوان في المدائح النبوية.

## أحمد العشاب (٢)

(٦٤٩ - ٧٣٦هـ)

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المرادي، القرطبي، المعروف بالعشاب (أبو العباس).

عالم بالتفسير، والمعاني والبيان، مقرئ. نزل بالثغر، وألف (تفسيرا صغيرا)، وكتبا في المعاني والبيان.

## أحمد السمناني البياتاكي (٣)

(٦٥٩ - ٧٣٦هـ)

أحمد بن محمد بن أحمد السمناني (علاء الدين ركن الدين، أبو المكارم) عالم مشارك سكن تبريز وبغداد. له مصنفات كثيرة في التفسير، والتصوف وغيرهما حتى قيل: أنها تزيد على ثلاثمائة، منها آداب الخلوة، فوائد العقائد، المدارج والمعارج، المكاشفات، و(نجم القراء في

(١) معجم المؤلفين ٥٦/٨، الأعلام ١٧٧/٤، البداية والنهاية ١٦٣/١٤.

(٢) معجم المؤلفين ٦٢/٢، الأعلام ٢٢٣/١، غاية النهاية ١٠٠/١، الدرر الكامنة ٢٥٦/١ ترجمة ٦١٨، شذرات الذهب ١١٢/٦.

(٣) معجم المؤلفين ٦٩/٢، كشف الظنون ٢٣٨/١، الدرر الكامنة ٢٥٠-٢٥٢، طبقات المفسرين للداودي ٢٨، التفسير والمفسرون ٣٩٣/٢.

تأويلات القرآن). يقول مولانا محمد طاهر: وتفسيره في ثلاث عشرة مجلد (١)

### إسحاق الملتاني (٢)

(..... — ٧٣٦هـ)

إسحاق بن علي بن علي بن أبي بكر بن سعيد الصوفي، البكري، الملتاني، الحنفي (أبوبكر).

مفسر، فقيه، من آثاره (خلاصة جواهر القرآن في بيان معاني لغات الفرقان)، و خلاصة الأحكام بشريعة الإسلام، والحج ومناسكه.

### محمد بن معضاد الجعبري (٣)

(٦٥٠ - ٧٣٧هـ)

محمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الشيخ نلصر الدين الجعبري.

كان يتكلم على الناس ويذكر في مجلسه أشياء من الحديث والتفسير توفي في محرم سنة ٧٣٧هـ.

### هبة الله بن عبد الرحيم (٤)

(٦٤٥ - ٧٣٨هـ)

هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الشيخ شرف الدين أبو القاسم بن قاضي القضاة نجم الدين بن قاضي القضاة شمس الدين البارزي الجهني الحموي الشافعي.

(١) نيل السائرین ١٧٦.

(٢) معجم المؤلفين ٢ / ٢٣٥.

(٣) الدرر الكامنة ٣ / ٣٨٤ ترجمة ٣٣١٥.

(٤) الدرر الكامنة ٥ / ١٧٤ ترجمة ٤٩٦٤.

ولد في ٢٥ رمضان سنة ٦٤٥هـ، وسمع من أبيه وجده و إبراهيم خليل والشيخ إبراهيم الأرموي وابن هامل والفاروتي، وتفقه بأبيه وجده، وتلا بالسبع علي التادفي، وأجاز له البادرائي والكمال الضرير وابن العديم وابن عبد السلام، واشتغل بالفقه ففاق الأقران، وحج مرات وأخذ الناس عنه فأكثرُوا وأذن لجماعة في الافتاء وعظم قدره جدا حتى كان برهان الدين بن الفركاح يقول: اشتهي أن اروح إلى حماه وأقرأ التتبيه على القاضي شرف الدين، وكان لا يرى الخوض في الصفات ويثني على الطائفتين، وكان عنده من الكتب ما لا يحصى كثرة، وإذا سمع بتضيف لأحد من أهل عصره جهز الدراهم واستحثه واستنسخه، وعين لقضاء الديار المصرية فلم يوافق، وكان عظيم القدر والجلالة ببلده إلى الغاية مع التواضع المفرط، ولما مات أغلقت ابواب حماه لمشهده، وله من التصانيف: التمييز في الفقه وشرح الشاطبية، والتفسير وكتاب الشريعة في السبعة، واختصر جامع الأصول مرتين، وله كتاب في الأحكام على ترتيب التتبيه والزبد في الفقه المنتهى على الحاوي وغير ذلك. وقد عمي في آخر عمره، وكانت مدة ولايته في القضاء بحماه أربعين سنة. قال الذهبي: برع في الفقه وشارك في الفضائل وانتهت إليه الإمامة في زمانه ورحل إليه، وكان من بحور العلم قوي الذكاء مكبا على الطلب لا يمل مع التصوف والديانة والفضل والرزانة، وكان خيرا متواضعا عريسا عن الكبر، قال الأسنوي في طبقات الفقهاء: كان إماما راسخا في العلم صالحا خيرا محبا للعلم ونشره محسنا إلى الطلبة، له المصنفات العديدة المفيدة وصارت إليه الرحلة، وقال التاج السبكي، كان محبا للعلم حافظا للفقه

محسنا للطلبة ولقب والده نجم الدين، وجده شمس الدين ابو الطاهر،  
ومات في ليلة الإربعاء ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٣٨هـ.

وذكره صاحب معجم المؤلفين فقال: له (البستان في تفسير القرآن) (١)  
وذكره صاحب نيل السائرين فقال: من مصنفاته (تفسيران) وكتاب بديع  
القرآن وكتاب الناسخ والمنسوخ والوفا في شرح أحاديث الشفا (٢)

### يحيى الواسطي (٣)

(٦٦٢ - ٧٣٨هـ)

يحيى بن عبد الله بن عبد الملك الواسطي الشافعي.

له مؤلف في الناسخ والمنسوخ. توفي في ربيع الآخر سنة ٧٣٨هـ،  
فقيه العراق في زمانه. مولده ووفاته في واسط. له مطالع الأنوار  
النبوية في صفات خير البرية. يقول صاحب نيل السائرين: ولد سنة  
٦٦٢هـ (٤) وقال الذهبي قرأ القرآن والفقاه والأصليين والعربية  
وتخرج به الأصحاب . وكان يقال له فقيه العراق في زمانه.

### محمد بن القوبع (٥)

(٦٦٤ - ٧٣٨هـ)

محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد  
الجليل الجعفري، التونسي، المالكي (ركن الدين، أبو عبد الله، ابن  
القوبع).

(١) معجم المؤلفين ١٣ / ١٣٩.

(٢) نيل السائرين ١٧٥.

(٣) الدرر الكامنة ٤ / ١٩٤ ترجمة ٥٠٢١، الأعلام ٨ / ١٥٤.

(٤) نيل السائرين ١٧٦.

(٥) معجم المؤلفين ١١ / ٢٣٣، الأعلام ٧ / ٣٥، بغية الوعاة ٩٧.

مفسر، أديب، لغوي، ولد بتونس، وتعلم بها وبدمشق، وتوفي بالقاهرة. من آثاره (تفسير سورة ق) في مجلدة، شرح ديوان المتنبي، وله شعر يقول مولانا محمد طاهر: وكان ذهنه يتوقد ذكاء، مهر في الفنون وقد أثنى عليه ابن سيد الناس والتاج السبكي والشيخ ابن النحاس. مات في ١٧ ذي الحجة سنة ٧٣٨هـ (١)

### الحسن بن علي الحلبي (٢)

(٦٤٧ - ٧٤٠هـ)

الحسن بن علي بن داود الحلبي (تقي الدين، ابو محمد). عالم مشارك في النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والعروض والتفسير والرجال والفقّه والأصول والأدب، ولد بالحلة في ٥ جمادى الآخرة. من تصانيفه تحصيل المنفعة في الفقه، أحكام القضية في المنطق، خلاف المذاهب الخمسة، مختصر الإيضاح في النحو وكتلب الرجال. وكان من الشيعة.

### أبو الحسين الإسكندري (٣)

(٦٥٤ - ٧٤١هـ)

أبو الحسين بن أبي بكر بن أبي الحسين الإسكندري المالكي النحوي ولد سنة ٦٥٤هـ اشتغل بالعلم خصوصا العربية، وانتفع الناس به، وذكر ابن رافع أنه جمع تفسيراً في عدة مجلدات، وحدث عن الدمياطي، مات في ذي الحجة سنة ٧٤١هـ. ولي القضاء، ونعت

(١) نيل السائرين ١٧٦.

(٢) معجم المؤلفين ٢٥٣/٣.

(٣) الدرر الكامنة ١٦١/٢، ترجمة ١٦٢٢، نيل السائرين ١٧٧، الأعلام ٢/٢٣٤، بغية الرواة

٢٣٣، طبقات المفسرين للداودي ١٦١/١، الديباج ١٠٠، شذرات الذهب ١٣٠/٦.



بقاضي القضاة. وكان شيخ العلماء في إيامه. له (الكفيل في معاني التنزيل) مخطوط بخطه في ٢١ مجلدا بدار الكتب.

### الحسن بن علي الواسطي (١)

(٦٥٤-٧٤١هـ)

الحسن بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم الواسطي عز الدين أبو محمد سمع من جمال بعض تفسيره الكبير. توفي في شعبان سنة ٧٤١هـ.

### محمد بن القماح (٢)

(٦٥٦ - ٧٤١هـ)

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة، أبو عبد الله، ابن القماح القرشي الشافعي المصري.

مفسر، من فقهاء الشافعية. ناب في الحكم بجامعة الصالح بالقاهرة ونسب إلى التساهل في الأحكام، فامتنع عز الدين ابن جماعة من استنابته، فأقبل على تدريس الفقه إلى أن مات. له مجاميع كثيرة، مشتملة على فوائد، وكتاب في (تفسير القرآن) مخطوط.

### علي بن محمد البغدادي (٣)

(..... — ٧٤١هـ)

علي بن محمد البغدادي (علاء الدين). مفسر، فقيه من تصانيفه (تفسير القرآن)، وشرح العمدة للشاشي في فروع الفقه الشافعي.

(١) الدرر الكامنة ١٠٣/٢ ترجمة ١٥٢٤.

(٢) الأعلام ٣٢٥/٥، فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر رقم ٣.

(٣) معجم المؤلفين ٧/١٨٦.

## إبراهيم السفاقي (١)

(٦٩٧ - ٧٤٢هـ)

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي، السفاقي، المالكي (برهان الدين أبو إسحاق).

نحوي، ولد في حدود ٦٩٧هـ، وتوفي في ١٨ ذي القعدة من مؤلفاته: إعراب القرآن، سماه (المجيد في إعراب القرآن المجيد). يقول مولانا محمد طاهر: من تأليفه إعراب القرآن الكريم وهو من أجل كتب الأعراب وأكثرها فائدة جرده من البحر المحيط للإمام العلامة أثير الدين أبي حيان الأندلسي ومن إعراب أبي البقاء وغير ذلك توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (٢).

## محمد الخراساني (٣)

(..... — ٧٤٢هـ)

محمد بن عثمان الخراساني (نور الدين).

مفسر، محدث. توفي في ربيع الأول من آثاره (لطائف التفسير)، الزبدة في أحاديث سيد المرسلين على حروف المعجم.

(١) الأعلام ١/ ٦٣، بغية الوعاة ١٨٦، النجوم الزاهرة ١٠/ ٩٨، معجم المؤلفين ١/ ٨٢.

(٢) نيل السائرين ١٧٨.

(٣) معجم المؤلفين ١٠/ ٢٨٢.

## الحسين الطيبي (١)

(..... — ٧٤٣هـ)

الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي.

الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة وغيره يقول ابن حجر قرأت بخط بعض الفضلاء كان ذا ثروة من الإرث والتجارة فلم يزل ينفق ذلك في وجوه الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيرا قال وكان كريما متواضعا حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهرا فضائحهم مع استيلائهم في بلاد المسلمين حينئذ. شديد الحب لله ورسوله كثير الحياء ملازما للجماعة ليلا ونهارا صيفا وشتاء مع ضعف بصره بآخره ملازما لاشغال الطلبة في العلوم الإسلامية بغير طمع بل يحدثهم ويفتيهم ويعينهم ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم من أهل البلدان من يعرف ومن لا يعرف محبا لمن عرف منه تعظيم الشريعة مقبلا على نشر العلم يقول ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن شرح الكشاف شرحا كبيرا وأجاب عما خالف مذهب السنة أحسن جواب يعرف فضله من طالعة وصنف في المعاني والبيان والتبيان وشرحه وأمر بعض تلامذته باختصار على طريقة نهجها له وسماه المشكاة وشرحها هو شرحا حافلا، ثم شرع في جمع كتاب في التفسير وعقد مجلسا عظيما لقراءة كتاب البخاري فكان يشتغل في التفسير من بكرة إلى الظهر ومن ثم إلى العصر لاسماع البخاري إلى أن كان يوم مات فإنه فرغ من وظيفة التفسير وتوجه إلى مجلس الحديث فدخل مسجدا عند بيته

(١) الدرر الكامنة ١٥٦/٢ ترجمة ١٦١٣، معجم المؤلفين ٤/٥٣، الأعلام ٢/٢٥٦، البدر

فصلى النافلة قاعدا وجلس ينتظر الإقامة للفريضة فقضى نحبه متوجها إلى القبلة وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ٧٤٣هـ.

يقول مولانا محمد طاهر: له تفسير سماه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب). (١)

## محمد بن قدامة المقدسي (٢)

(٧٠٥ - ٧٤٤هـ)

محمد بن أحمد بن عبد الهاي بن عبد الحميد بن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي شمس الدين.

أحد الأذكياء ولد في رجب سنة ٧٠٥ وقيل قبلها وقيل بعدها وسمع من التقي سليمان والمطعم وابن سعد وطبقتهم وتفقه بآبى مسلم وتروى إلى ابن تيمية ومهر في الحديث والأصول العربية وغيرها قال الصفدى لو عاش كان آية. يقول ابن حجر: كنت إذا لقيته سألته عن مسائل أدبية وفوائد عربية فينحدر كالسيل. وكنت أراه يوافق المزي في أسماء الرجال ويرد عليه فيقبل منه وقال الذهبي في معجمه المختص: الفقيه البارع المقرئ المجود المحدث الحافظ النحوي الحاذق ذو الفنون كتب عني واستفدت منه. وقال ابن كثير: كان حافظا علامة ناقدًا حصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار وبرع في الفنون وكان جبلا في العبل والطرق والرجال. حسن الفهم جدا صحيح الذهن وقال الحسيني درس بالصدرية والضيائية وتصدر وقد

(١) نيل السائر ١٧٨.

(٢) الدرر الكامنة ٣ / ٤٢١ ترجمة ٣٤٠٧، معجم المؤلفين ٨ / ٢٨٧، الأعلام ٥ / ٣٢٦، نيل

السائر ١٨٣.

حدث الذهبي عن المزي عن السروجي عنه وقال المزي ما التقيت به إلا واستفدت منه ونقل الحسيني هذا الكلام عن الذهبي أنه قال في جنازته وله كتاب الأحكام في ثمان مجلدات والرد على السبكي في رده على ابن تيمية والمحرر في الحديث اختصره من الإمام فجوده جدا واختصر التعليق لابن الجوزي وزاد عليه وحرر وشرح التسهيل في مجلدين وله مناقشات لأبي حيان فيما اعترض به على ابن مالك في الألفية وغير ذلك وله كلام على أحاديث مختصر ابن الحاجب وشرع في كتاب العلل على ترتيب كتب الفقه وقفت منه على المجلد الأول وجمع (التفسير المسند لم يكمل أيضا) وقال الذهبي ما اجتمعت به قط إلا واستفدت منه وكثر التأسف عليه لما مات وحضر جنازته من لا يحصي كثرة ومات في عاشر جمادي الأولى سنة ٧٤٤.

### أحمد بن أنوشروان الرازي (١)

(٦٥٢ - ٧٤٥هـ)

أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازي الأصل ثم الرومي الحنفي أبو المفاخر بن أبي الفضائل جلال الدين بن قاضي القضاة حسام الدين ابن تاج الدين. ولد سنة إحدى أو اثنين وخمسين وستمائة بانكورية في الروم وقرأ القرآن واشتغل في التفسير والنحو والفقه. قال القطب في تاريخ مصر اشتغل كثيرا وكان جامعا للفضائل ومحبة أهل العلم مع السخاء وحسن العشرة، وقد ولي القضاء وهو صغير ابن سبع عشرة سنة بخرت برت، ودرس بدمشق وقدم مصر سنة ٧٣٠ قال ابن رافع حدث بالسماع عن الفخر ابن البخاري وقال

(١) الدرر الكامنة ١/ ١٢٦ ترجمة ٣٢٨.

أبرز إلى ولي قضاء الشام وناب عن والده قبل ذلك ودرس بالخاتونية  
والقصاعين وكانت له عناية بجامع الأصول ألقاه دروسا ويحفظ منه  
كثيرا وكان محبوبا إلى الناس كثير الصدقة جوادا مات سنة ٧٤٥ هـ  
وكان قد أنحنى من الكبر وإذا مرض يقول أخبرني رسول الله صلى  
الله عليه وسلم في المنام أنني أعمر فكان كذلك فإنه أكمل التسعين  
وزاد وكانت وفاته في التاسع عشر من رجب وقيل ذلك كان يحفظ في  
كل يوم من أيام الدروس ثلاثمائة سطرا.

### محمد ابن النقيب (١)

(٦٦١ - ٧٤٥ هـ)

محمد بن ابي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن، شمس الدين ابن  
النقيب.

مفسر، من قضاة الشافعية. دمشقي ولي الحكم بحمص وطرابلس ثم  
بحلب ودرس وتوفي بدمشق. له عمدة السالك وعدة الناسك و (مقدمة  
في التفسير). يقول مولانا محمد طاهر: قال له النووي يا قاضي  
شمس الدين لا بد أن تلي تدريس الشامية. وتولى القضاء ثم تدريس  
الشامية. مولده سنة إحدى وستين وستمائة وتوفي في ليلة الجمعة ثاني  
عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وسبعمائة وله (مقدمة  
التفسير). (٢).

(١) الأعلام ٥٥/٦، مفتاح السعادة ١/٤٤٣، طبقات الشافعية للسبكي ٦/٤٤.

(٢) نيل السائر ١٨٢.

## عمر عبد الرحمن القزويني البهبهائي (١)

(..... — ٧٤٥هـ)

عمر عبد الرحمن بن عمر البهبهائي الكناني القزويني الفارسي، سراج الدين فاضل مات شابا عن ٣٧ أو ٣٨ عاما له (الكشف عن الكشاف) مخطوط في التفسير، وحاشية على الكشاف للزمخشري، منه نسخة في مغنيسا (الرقم ٤٣٦٨) وجزآن في الظاهرية، ونسخة في الإسكندرية (ن ١٢٥٠-ب) وفي خزانة الرباط (٦٠٨ د).

## علي الأردبيلي التبريزي (٢)

(٦٧٧-٧٤٦هـ)

علي بن عبد الله بن أبي الحسن الأردبيلي التبريزي، الشافعي (تاج الدين، أبو الحسن)

عالم مشارك في التفسير والحديث والفقہ والأصول والحساب والهندسة، والكلام، والنحو الطب، ولد في أردبيل بأذربيجان، وسكن تبريز، ورحل إلى بغداد، فمكة حاجا، فمصر، وتوفي بالقاهرة في رمضان، من تصانيفه: حاشية على شرح الحاوي الصغير للقزويني في فروع الفقہ الشافعي، مبسوط الأحكام في تصحيح ما يتعلق بالكلم والكلام في شرح كافية ابن الحاجب مختصر علوم الحديث لابن الصلاح، و التذكرة في الحساب، (وكتب في التفسير).

يقول صاحب نيل السائرين: وصنف في التفسير ومات بالقاهرة في

١٢ من شهر رمضان سنة ٧٤٦هـ (٣)

(١) الأعلام ٤٩/٥، شذرات الذهب ٤٥١/٥، هدية العارفين ١/٧٨٨.

(٢) الأعلام ٣٠٦/٤، معجم المؤلفين ٧/١٣٤.

(٣) نيل السائرين ١٨٢-١٨٣.

## أحمد فخر الدين الجاربردي (١)

(..... — ٧٤٦هـ)

أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي الإمام فخر الدين نزيل تبريز. تفقه على مذهب الشافعي وفاق في العلوم العقلية ذكره ابن السبكي في طبقاته فقال كان إماما فاضلا دينا خيرا وقورا ومواظبا على الشغل في العلم وأفاد الطلبة اجتمع مع القاضي ناصر الدين البيضاوي وأخذ عنه على ما بلغني وله شرح المنهاج في أصول الفقه وشرح تصريف ابن الحاجب وشرح الحاوي الصغير ولم يكمل، و(حواشي على الكشاف). مات بتبريز في شهر رمضان سنة ٧٤٦، وذكره الأسنوي فقال كان عالما صالحا دينا وقورا مواظبا على الأشغال والاشتغال والتصنيف. وذكره ابن القاضي في طبقاته وقال: في آخر ترجمته وحده يوسف أحد شيوخ العلم المشهورين بتلك البلاد، وكذا في الطبقات لابن قاضي شهبة. وله تصانيف معروفة وعنه أخذ الشيخ نور الدين الأربيلي وغيره.

## عبيد الله صدر الشريعة الأصغر (٢)

(كان حيا في ٧٤٧هـ)

عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد بن عبيد الله البخاري، المحبوبي، الحنفي، صدر الشريعة الأصغر. فقيه، أصولي، جدلي، فحدث، مفسر، نحوي، لغوي، أديب، بياني، متكلم، منطقي. من تصانيفه: شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية،

(١) الدرر الكامنة ١/ ١٣٢ ترجمة ٣٤٦، معجم المؤلفين ٢/ ١٩٨، الأعلام ١/ ١١١، البدر

الطالع ١/ ٤٧، شذرات الذهب ٦/ ١٤٨، نيل السائر ١٨٢.

(٢) معجم المؤلفين ٦/ ٢٤٦، الأعلام ٤/ ١٩٧.



لصدر الشريعة الأول، الوشاح في المعاني والبيان، تعديل العلوم في الكلام، التوضيح في حل غوامض التنقيح في أصول الفقه وكلاهما له، ومصنف في النحو.

### المطهر الصعدي (١)

(٧٠٠ - ٧٤٨ هـ)

المطهر بن محمد بن حسين بن محمد بن يحيى تريب اليماني، الصعدي. فقيه، أصولي، نحوي، ناظم، مفسر، محدث. ولد قبل سنة ٧٠٠ هـ، وتوفي بمدينة صعدة، من آثاره: رسالة إلى أحمد بن أبي الفتح أورد فيها في كل فن عشر مسائل، ديوان شعر، وعيون السعادة.

### محمد بن عدلان الكناني (٢)

(٦٦٠ - ٧٤٩ هـ)

محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق ابن داود الكناني المصري الفقيه الشافعي شمس الدين. فقيه شافعي مصري ناب في الحكم عن ابن دقيق العيد، كان نظير شيخ زمانه ويزيد عليه بالتفسير. أرسل إلى اليمن في أيام الناصر محمد بن قلاوون. توفي بالطاعون بمصر. له شرح مختصر المرني مخطوطة بخطه، في فقه الشافعية بدار الكتب. قال السبكي: لم يكمله.

(١) معجم المؤلفين ٢٩٥/١٢.

(٢) الدرر الكامنة ٣/٤٢٣ ترجمة ٣٤١٠، هدية العارفين ٢/١٥٦، الأعلام ٥/٣٢٦، طبقات

الشافعية للسبكي ٥/٢١٤.

## إبراهيم بن لاجين (١)

(٦٧٣ - ٧٤٩هـ)

إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدي الأغرّي.

ولد سنة ٦٧٣ فأخذ القراءات عن التقي الصائغ والفقّه عن العلم العراقي والنحو عن البهاء ابن النحاس وقرأ عليه أيضا. والمنطق عن سيف الدين البغدادي، وأقرأ في الحاوي وأصول ابن الحاجب وسمع من الإبرهوقي والدمياطي وابن الصواف. وتفقه وكان حسن المشاركة وولي خطابة جامع أمير حسين بكر جوهر النوبي، وعرض عليه قضاء المدينة النبوية فامتنع بعد أن اجتمع بالسلطان وفاوضة بالولاية وكان على خطابته وقراءته روح لسالمتها من التصنع واشتهر بالصلاح والتواضع وسلامة الباطن وقد أخذ عنه الأعيان منهم شيخنا العراقي وذكر للشيخ بن حجر عنه فضائل وكرامات ومات على جميل في الطاعون الكبير سنة ٧٤٩هـ من ذي القعدة. قال الأسنوي كان فقيها عالما بالنحو والتفسير والقراءات والطب وكان خيرا متوددا كريما مع الفاقة متواضعا على طريقة السلف في طرح التكلف ذكر شيخنا العراقي للشيخ ابن حجر أنه قال له أريد أن أحفظ الحاوي في شهر فقال لا يمكن قال فقلت لا بد لي من ذلك قال وشرعت في درسه فحفظت النصف في اثني عشر يوما ثم عرض لي ضعف فتركت الدرس ولم يتيسر لي بعد ذلك أن أعود إليه.

(١) الدرر الكامنة ٧٧/١ ترجمة ٢٠١.

## محمود الأصبهاني (١)

(٦٧٤ - ٧٤٩هـ)

محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي  
العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني.  
كان ينتسب إلى علاء الدولة الهمداني وكان مولده بأصبهان في شعبان  
سنة ٦٧٤هـ واشتغل في بلاده ومهر وتقدم في الفنون وقرأ على  
والده وعلى جمال الدين ابن أبي الرجاء وغيرهما ثم حج في سنة  
٧٢٤هـ وقدم دمشق بعد زيارة القدس في صفر سنة ٧٢٥هـ فبهرت  
فضائله وسمع كلامه الشيخ تقي الدين ابن تيمية فبالغ في تعظيمه قال  
مرة اسكتوا حتى نسمع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثله  
وكان يلزم الجامع الأموي ليلا ونهارا مكبا على التلاوة وشغل الطلبة  
ودرس بعد الزمكاني بالرواحية. قال الأسنوي كان بارعا في  
العقليات صحيح الاعتقاد محبا لأهل الصلاح طارحا للتكلف مجموعا  
على العلم. صنف شرح مختصر ابن الحاجب قبل أن يقدم البلاد  
وشرح المطالع للأرموي وتجريد النصير الطوسي وشرح قصيدة  
الساوي في العروض وصنف ناظر العين في المنطق وشرحه وشرح  
مقدمة ابن الحاجب وشرح بالقاهرة البديع لابن الساعاتي وطوالع  
البيضاوي ومنهاجه (وعمل تفسيراً) وكان بعض أصحابه يحكى أنه  
كان يمتنع كثيراً من الأكل ليلاً لأنه يحتاج إلى الشرب فيحتاج إلى  
دخول الخلاء فيضيع عليه الزمان. وكان خطه قويا وقلمه سريعاً قال

(١) الدرر الكامنة ٥ / ٩٥ ترجمة ٤٧٥٢، معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٣، الأعلام ٧ / ١٧٦، بغية

الوعاء ٣٨٨، فهرس الكتبخانة ١ / ١٤٢، البدر الطالع ٢ / ٢٩٨، شذرات الذهب ٦ / ١٦٥،

طبقات الشافعية ٦ / ٢٤٧ كشف الظنون ١٩٢١، نيل الساترين ١٨٤.

الصفدي رأيته يكتب في التفسير من خاطره من غير مراجعة وانتفع الناس به كثيرا وأذن لجماعة في الافتاء بمصر والشام وكانت تعتريه فترة من شغل باله بالتفكر ومسائل العلم ويذكر أن له تفسيراً سماه (أنوار الحقائق الربانية في تفسير الآيات القرآنية) وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ بالطاعون العام.

## أحمد بن مكتوم القيسي (١)

(٦٨٢ - ٧٤٩هـ).

أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم بن محمد القيسي تاج الدين أبو محمد الحنفي النحوي.

ولد في أواخر ذي الحجة سنة ٦٨٢ وأخذ عن بهاء الدين ابن النحاس والدمياطي وغيرهما. يقول ابن حجر قرأت بخطه أنه حضر درس البهاء بن النحاس وسمع من الهمياطي اتفاقاً قبل أن يطلب ولزم أباحيان دهرًا طويلاً وأخذ عن السروجي وغيره ثم أقبل على سماع الحديث ونسخ الأجزاء وكتابة الطبايق والتحصيل فأكثر عن أصحاب النجيب وابن علاق وكان قد تقدم في الفقه والنحو واللغة ودرس وناب في الحكم وله على الهداية تعليق شرع فيه وشرع أيضاً في الجمع بين العباب والمحكم في اللغة وله تذكرة تشتمل على فوائد وجمع كتاباً حافلاً سماه الجمع المتناه في أخبار النحاة يقول الحافظ ابن حجر رأيت منه الكثير بخطه من ذلك مجلدة في المحمدين خاصة، وقل ما وقفت على كتاب من الكتب الأدبية من شعر وتاريخ ونحو ذلك، إلا وعليه ترجمة مصنف ذلك الكتاب بخط ابن مكتوم. وجمع تفسير أبي حيان

(١) الدرر الكامنة ١٨٦/١ ترجمة ٤٥١، معجم المؤلفين ١/٢٧٨، الأعلام ١/١٥٣، كشف

الظنون ١/٢٢٦، الجواهر المضية ١/٧٥، نيل السائرين ١٨٤، المكتبة الأزهرية ١/٢٢٧.

مجلدا سماه ( الدر اللقيط من البحر المحيط)، قصره على مباحث أبي  
حيان مع ابن عطية والزمخشري.

ومن شعره:

نفضت يدي من الدنيا      ولم أضرع لمخلوق  
لعلمي أن رزقي لا      يجاوزني لمـرزوق

وقد مات في الطاعون العام و ذلك في شهر رمضان سنة ٧٤٩هـ.

### محمد بن اللبان الأسعدي (١)

(٦٨٥-٧٤٩هـ)

محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعدي ثم الدمشقي نزيل القاهرة  
شمس الدين بن اللبان. ولد سنة ٦٨٥هـ أو نحوها بدمشق من ابن  
غدير وغيره بالقاهرة من الدمياطي وغيره تفقه وبرع في الفنون  
ودرس بزاوية الشافعي بالجامع وتكلم على الناس على طريق الشاذلية  
فصار له بذلك صيت عظيم. ولكنه ضبطت عليه كلمات على طريق  
الاتحادية فقام عليه الفقهاء، ومنع من الكلام، وله ترتيب الأم للشافعي  
واختصر الروضة لكنه تعانى تعقيد الألفاظ فلا يفهم واختصر علوم  
الحديث وله مختصر في النحو (وتفسير سورة، وتفسير الآيات  
المتشابهات) وكتاب على لسان الصوفية وفيه من إشارات أهل الوحدة  
وهو في غاية الحلاوة لفظا وفي المعنى سم نافع قال الأسنوي: كان  
عارفا بالفقه والأصليين والعربية أدبيا ذكيا فصيحاً ذا همة وصرامة  
وانجماع.

(١) الدرر الكامنة ٣/٤٢٠ ترجمة ٣٤٠٦، معجم المؤلفين ٨/٢٨٦، الأعلام ٥/٣٢٧.

يقول مولانا محمد طاهر: له تفسير القرآن لم يكمله وشرح الفية ابن مالك في النحو، وكتاب في علوم الحديث، وله نظم (١)

### حسن بن أم قاسم (٢)

(..... — ٧٤٩هـ)

حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي، المالكي، المعروف بابن أم قاسم (بدر الدين).

### محمد خطيب الفخرية (٣)

(..... — ٧٤٩هـ)

محمد بن عبد الله الشهير بخطيب الفخرية (ولى الدين، ابو عبد الله). مفسر، محدث، عارف بالرجال، واعظ من تأليفه: أسماء الرجال الحديث من المشكاة، (غرة التأويل في التفسير)، ومجالس في التفسير والموعظة.

### عبد الله المنوفى (٤)

(٦٨٦ - ٧٤٩هـم)

عبد الله المغربي الأصل، ثم المصري المشهور بالمتوفى. ولد ببعض قرى مصر وتلمذ للشيخ سليمان التنوفى الشاذلي وخدمه وهو ابن تسع فعلمه القرآن وانتفع به وأخذ عن الشيخ ركن الدين وشمس الدين التونسي والد القاضي ناصر الدين وشرف الدين الزواوي وشهاب الدين وجلال الدين أمام الفاضلية المعبر ومجد الدين

(١) نيل السائرين ١٨٥.

(٢) الاعلام ٢/٢١١، معجم المؤلفين ٣/٢٧١، غاية النهاية ١/٢٢٧.

(٣) معجم المؤلفين ١٠/٢١٢.

(٤) الدرر الكامنة ٢/٤١٩ ترجمة ٢٢٥٥.

الأقفهسي وذكر أنه كان من العلماء وغيرهم وانقطع بالمدرسة الصالحة، فكان لا يخرج إلا إلى صلاة الجماعة أو الجمعة، واشتهر بالديانة والصلاح والعبادة والزهد وحكيت عنه الكرامات الكثيرة. قلل الشيخ خليل في ترجمته كان يتكلم في المعارف كلام من هو قطب رجاها وشمس ضحاها، وكان يتكلم على رسالة القشيري وتفسير الواحدي والشفاء للقاضي عياض، وكان يشتغل في العربية والأصول ولكن في الفقه أكثر، وقد شهد له معاصروه بأنه كان أحسن الناس القاء للتفسير، وكان يصوم الدهر لكنه يفطر إذا دعي إلى وليمة، ويتعبد ويشغل عامة نهاره وأكثر ليله وكان يفتح عليه بما لم يفتح لغيره وكان إذا تكلم يخرج من فيه نور وكان في غاية التواضع والزهد والورع، مات في الطاعون العام في رمضان سنة ٧٤٩ وكان فقيها مالكيًا ذا كرا للمسائل مقبلا على أشغال الطلبة ينقضي وقته في ذلك مع وفائه بالأوراد التي وظفها على نفسه من صيام وقيام وتلاوة وذكر. وقد جمع الشيخ خليل المالكي له ترجمة مفيدة وذكر فيها من كراماته شيئا ومن أوصافه الجميلة وأخلاقه المرضية ما يشهد بعظم مقامه وذكر أن مولده كان في قرية من قرى مصر يقال لها سابور في سنة ٦٨٦هـ.

### يحيى العلوي الصنعاني (١)

(٦٨٠ - ٧٥٠هـ)

يحيى بن القاسم بن عمر بن علي العلوي، الحسني، اليماني، الصنعاني (عز الدين). نحوي، مفسر. ارتحل إلى بغداد والشام

(١) البدر الطالع ٣٤٠/٢، كشف الظنون ١٥٤٤، فهرست الكتبخانه ١٣٧/١، نيل السائرين

وخراسان. من آثاره: درر الأصداف في حل عقد الكشاف، شرح اللباب لتاج الدين الأسفراييني في النحو، (تحفة الأشراف في كشف غوامض الكشاف في التفسير)، وله نظم.

## علي علاء الدين المارديني (١)

(٦٨٣ - ٧٥٠هـ)

علي بن عثمان بن مصطفى المارديني الأصل علاء الدين ابن التركماني الحنفي ولد سنة ٦٨٣هـ، وتفقه، وتمهر، وافتى، ودرس، وصنف التصانيف الحافلة ثم ولي القضاء في شوال سنة ٧٤٨هـ، نزل بخلعته إلى منزل القاضي زين الدين البسطامي الذي كان قبله، فلما رآه بهت واستمر علاء الدين في الوظيفة إلى أن مات في محرم سنة ٧٥٠هـ، وله من التصانيف (غريب القرآن)، ومختصر ابن الصلاح، والجواهر النقي، وتخريج أحاديث الهداية، ومختصر المحصل، والكفاية في مختصر الهداية، وأشياء كثيرة لم تكمل، وله نظم وسط فمنه قصيدة مدح بها الجاولي الدويدار. أولها:

إذا شغل البرية فيك فاها فكل عنك بالخيرات فاها

وقال عمر رضا كحالة: إنه فقيه، أصولي، نحوي، لغوي، مفسر، محدث، فرضي، حاسب، أديب، شاعر، ناثر من تصانيفه (بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب)، المنتخب في علوم الحديث، الدررة السنية في العقيدة السنية، السعدية في أصول الفقه، وله نظم ونثر (٢)

(١) الدرر الكامنة ١٥٦/٣ ترجمة ٢٨٠٩، الأعلام ٣١١/٤، نيل السائرين ١٨٩.

(٢) معجم المؤلفين ٧/١٤٥.



## أحمد العسكري الأندلسي (١)

(ولد بعد التسعين - ٧٥٠هـ)

أحمد بن سعد بن عبد الله العسكري الأندلسي النحوي. ولد بعد التسعين وقدم المشرق فحج واستوطن دمشق وقرأ العربية وتخرج به جماعة وشرح التسهيل نسخ بخطه تهذيب الكمال ثم اختصره وتلا بالسبع على النبي الصائغ وشرع في (تفسير كبير)، يقول عنه القاضي تقي الدين السبكي تعجبنا من أعراضه عن أحوال الناس وكان له بيت في الجامع تحت المئذنة. وذكره الذهبي في المعجم المختص فقال تخرج به علماء وكان دينا منقبضا عن الناس شارك في الفضائل ونسخ تهذيب الكمال كله واختصره وشرع في تفسير كبير وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ٧٥٠هـ ووقف كتبه على أهل العلم.

## محمد أبو المعالي (٢)

(٦٩٢ - ٧٥١هـ)

محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم المصري الأصل، الدمشقي، المعروف بالفخر المصري (فخر الدين، أبو الفضائل، أبو المعالي). مفسر، فقيه، أصولي، محدث، ولد بالقاهرة، وأخرج إلى دمشق وهو صغير، وسمع الحديث بها وبغيرها، وتفقه على ابن الزمكاني وغيره وناب في القضاء، ثم ترك ذلك، ودرس وأفتى وصنف، وحج مرارا

(١) الدرر الكامنة ١/١٤٥، ترجمة ٣٧٩، نيل الساترين ١٨٩.

(٢) معجم المؤلفين ١٠/٣٠٠، الأعلام ٦/٢٨٥.

وجاور في بعضها، وتوفي بدمشق في ذي القعدة، ودفن بمقابر الباب الصغير قبلي قبة القلندرية. من آثاره (تفسير القرآن).

### أبو الطيب التونسي (١)

(..... — ٧٥١هـ)

أبو الطيب بن محمد التونسي

نشأ ببلدة واشتغل على مذهب مالك ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وكان أبوه قاضي الجماعة هناك فتحول هو إلى مصر فنزل بزاوية صاحب امين الملك ثم أقام بالروضة وقصد بالزيارة وكان يتكلم في التفسير كلاماً متيناً، ثم حج وجاور مدة، ثم رجع في سنة ٧٥٠هـ — فأقام بالروضة. ثم انتقل إلى حماه فمات بها في سنة ٧٥١ هـ وذكر أنه في الليلة التي مات في صبيحتها كان يواعد كل من يحضر عنده إلى بكرة ثم أيقظ أصحابه في الليل وتوضأ وأمرهم أن يتوضؤوا فطلعوا فوجدوه قد مات وكانت جنازته مشهودة وذكره شيخنا العراقي في وفياته.

### محمد الخولاني (٢)

(..... — ٧٥٤هـ)

محمد بن علي بن أحمد الخولاني أبو عبد الله بن الفخار البيري، قال ابن الخطيب شيخ الجماعة في العربية غير مدافع جدد بالأندلس ما كان درس من لسان العرب بعد أبي علي الشلوبين وكانت له مشاركة في القرآن والفقه والعروض والتفسير وخطب بالجامع الأعظم وتصدر

(١) الدرر الكامنة ٣٣٣/٢ ترجمة ٢٠٦٤.

(٢) الدرر الكامنة ١٧٦/٤ ترجمة ٤٠٢٤.

للتدريس بالمدرسة المنصورية وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه وكان مقتصرًا في احواله وقورا مفرط الطول نحيفا قليل الدهاء والتصنع، وكان قرأ التنبيه على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي وقرأ على أبي عبد الله بن حريث والشريف الحسيني وأبي القاسم بن الخياط وأبي عبد الله بن رشيد وغيرهم. ومات في ثاني عشر شهر رجب سنة ٧٥٤هـ.

### علي تقي الدين السبكي (١)

(٦٨٣ - ٧٥٦هـ)

علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى ابن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم السبكي تقي الدين أبو الحسن الشافعي.

ولد بسبك العبيد أول يوم من صفر سنة ٦٨٣هـ، وتفقّه على والده، ودخل القاهرة. واشتغل على ابن الرفعة، وأخذ الأصلين عن الباجي والخلاف عن السيف البغدادي والنحو عن أبي حيان والتفسير عن العلم العراقي والقراءات عن التقي الصائغ والحديث عن الدميّاطي والتصوف عن ابن عطاء الله والفرائض عن الشيخ عبد الله الغملري، وطلب الحديث بنفسه ورحل فيه إلى الشام والإسكندرية والحجاز فأخذ عن ابن الموازيني وابن مشرف وعن يحيى بن الصواف وابن القيم والمرض الطبري وآخرين يجمعهم معجمه الذي خرجه له أبو الحسين بن أبيك، وولى بالقاهرة تدريس المنصورية وجامع الحاكم والكهارية وغيرها، وكان أكابر الدولة الناصرية يعظمونه، ويقضون بشفاعته الأشغال، ولما توفي القاضي جلال الدين القزويني بدمشق طلبه

(١) الدرر الكامنة ١٣٤/٣ ترجمة ٢٧٧٨، معجم المؤلفين ١٢٧/٧. الأعلام ٣٠٢/٤.

الناصر في جماعة ليختار منهم من يقرره مكانه فوق الاختيار على  
 الشيخ تقي الدين أبو الحسن السبكي فوليها على ما قرأت بخطه في  
 تاسع عشر جمادي الآخرة سنة ٧٣٩هـ، وتوجه إليها مع نائبها تنكز  
 فباشر القضاء بهمة وصرامة وعفة وديانة، وأضيفت إليه الخطابة  
 بالجامع الأموي، فباشرها مدة في سنة ٧٤٢هـ ثم أعيد لابن الجلال  
 القزويني، وولي التدريس بدار الحديث الأشرفية بعد وفاة المزي  
 وتدریس الشامية البرانية بعد موت ابن النقيب في أوائل سنة  
 ٧٤٦هـ.

وكان متقشفا في أموره متقللا في الملابس، وكان لا يستكثر على أحد  
 شيئا حتى أنه لما مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم ديناً  
 فالتزم ولداه تاج الدين وبهاء الدين بوفائها وقد قام أحد أولاده بجمع  
 فتاويه ورتبها في أربع مجلدات، ويقول الحافظ ابن حجر قرأت بخط  
 الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفي على  
 جزء من تفسير الشيخ تقي الدين السبكي وذكره بشعر قال فيه:

أتيت لنا من الدرر النظيم سلوكا للصراط المستقيم  
 جمعت به العلوم فيها لفرد حوى تصنيفه جمع العلوم

وكان ينظم كثيرا وشعره وسط فمنه ما وصى به ولده محمدا قال فيه:

ابني لا تهمل نصيحتي التي أوصيك واسمع في مقالي ترشد  
 احفظ كتاب الله والسنن التي صحت وفقه الشافعي محمد  
 وتعلم النحو الذي يدني الفتى من كل منهم في القرآن مسدد  
 واعلم أصول الفقه علما محكما يهديك للبحث الصحيح الأيد

واسلك سبيل الشافعي ومالك وأبي حنيفة في العلوم وأحمد  
ومنها قوله أيضا:

وطريقة الشيخ الجنيد وصحبه والسالكين سبيلهم بهم اقتد  
واقصد بعلمك وجه ربك خالصا تظفر سبيل الصالحين وتهتد

وقد كان نزل عن منصب القضاء لولده تاج الدين بعد أن مرض فلما  
استقر تاج الدين وياشر توجه الشيخ تقي الدين إلى القاهرة، وأقام بها  
قليلا في دار على شط النيل وهو موعوك إلى أن مات في ثالث  
جمادي الآخرة سنة ٧٥٦هـ. فكانت إقامته بالقاهرة نحو العشرين  
يوما. وكان قد سعى ولده أن يدفن عند الإمام الشافعي داخل القبلة  
فامتنع شيخو من إجابة سؤاله فدفنه بسعيد السعداء قال الأسنوي في  
الطبقات كان انظر من رأينا من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم  
وأحسنهم كلاما في الأشياء الدقيقة وأجلهم على ذلك وكان في غاية  
الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة  
مواظبا على وظائف العبادات مراعيًا لأرباب الفنون محافظا على  
ترتيب الأيتام في وظائف آبائهم، وقال شيخنا العراقي: طلب الحديث  
في سنة ٧٠٣هـ ثم انتصب للأقراء وتفقه به جماعة من الأئمة  
وانتشر صيته وتوالياه ولم يخلف بعد مثله، رحم الله السبكي رحمة  
واسعة.

قال مولانا محمد طاهر: له تفسير (الدر النظيم في تفسير القرآن  
العظيم) (١)

(١) نيل السائرين ١٩٠ - ١٩١.

## أحمد شهاب الدين المقرئ السمين (١)

(..... — ٧٥٦هـ)

أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد الحلبي شهاب الدين المقرئ النحوي نزيل القاهرة تعاني النحو فمهر فيه ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه وأخذ القراءات عن النبي الصائغ ومهر فيها، وسمع الحديث من يونس الدبوسي وغيره، وولي تصدير القراءة بجامع أبي طولون وأعاد بالشافعي و ناب في الحكم وولي نظر الأوقاف. وله (تفسير القرآن الكريم) في عشرين مجلدة ، يقول ابن حجر رايته بخطه والإعراب سماه الدر المصون في ثلاثة أسفار بخطه صنفه في حياة شيخه وناقشه فيه مناقشات كثيرة غالبها جيدة وجمع كتابا في أحكام القرآن، وشرح التسهيل والشاطبية قال الأسنوي في الطبقات، كان فيها بارعا في النحو والتفسير والقراءات ويتكلم في الأصول، خير ادبها مات في جمادي الآخرة وقيل في شعبان سنة ٧٥٦هـ.

## محمد علي الأوسي البننسي (٢)

(..... — ٧٦٠هـ)

الشيخ محمد بن علي بن أحمد الأوسي الشهير بالبننسي المتوفى سنة ٧٦٠هـ. له تفسير جمع بين (أعلام) السهيلي و (تكميل) ابن عساكر وهو من مصنفات مبهمات القرآن وأن هذا التفسير لم يجمع بين كتابي السهيلي وابن عساكر فقط بل نقل من مبهمات ابن جماعة وتفسير الزمخشري وابن عطية رامزا لكل من ينقل عنه برموز اصطلاحية.

(١) الدرر الكامنة ١/٣٦٠ ترجمة ٨٤٠٦، معجم المؤلفين ٢/٢١١، الأعلام ١/٢٧٤ سر أعلام

النبلأ ٥/٢٤، غاية النهاية ١/١٥٢، نيل السائرین ١٩٠.

(٢) الياقوت والمرجان للدكتور عبد الجواد خلف عبد الجواد ١/١٥١.

والكتاب محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٤٤٤١ ب) ويقع في (١٦٤) لوحة من صفحتين وهو بخط مغربي.

### خليل بن كيكلي العلامي (١)

(٦٩٤ - ٧٦١هـ)

خليل بن كيكلي بن عبد الله العلامي الدمشقي، ابو سعيد، صلاح الدين. محدث، فاضل، باحث، ولد وتعلم في دمشق ورحل رحلة طويلة ثم اقام في القدس مدرّسا في الصلاحية سنة ٧٣١هـ فتوفي فيها. من كتبه المجموع المذهب في قواعد المذهب مخطوط جزآن في فقه الشافعية، وكتاب الأربعين في أعمال المتقين كبير والمجالس المبتكرة والنفحات القدسية ومنحة الرائض في الفرائض، وكتاب المدلسين ومقدمة نهاية الأحكام و(برهان التيسير في عنوان التفسير) وكشف النقاب عما روي الشيخان للأصحاب (٢) مخطوط رسالة أحصى بها ما روي البخاري ومسلم لكل صحابي من الحديث، واثارة الفوائد المجموعة مخطوط في الحديث وجامع التحصيل في أحكام المراسيل مخطوط حديث وحكم اختلاف المجتهدين وغير ذلك.

### علي ابن الدريهم (٣)

(٧١٢ - ٧٦٢هـ)

علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن إبراهيم بن أبي بكر أبي القاسم بن سعيد بن محمد بن هشام بن عمر الثعلبي الشافعي الموصللي تاج الدين المعروف بابن الدريهم.

(١) معجم المؤلفين ١٢٦/٤، الأعلام ٣٢١/٢. الإنس الجليل ٤٥١/٢.

(٢) مخطوط رسالة حققها الدكتور عبد الرؤوف ظفر الجامعة الإسلامية هاولبور.

(٣) الدرر الكامنة ١٨١/٣ ترجمة ٢٨٧١.

كان مشاركا في الفقه والحديث والتفسير. ولد في شعبان سنة ٧١٢ هـ وتوفي في صفر سنة ٧٦٢ هـ.

### محمد الأنصاري (١)

(..... — ٧٦٢ هـ).

محمد بن علي بن العابد الأنصاري، الفاسي، ثم الأندلسي (أبو عبد الله) مفسر، أديب، كاتب، شاعر، لغوي، نحوي، مؤرخ، فرضي، حاسب، أصله من مدينة فاس، وتعلم بها، وتوفي بغرناطة في ذي القعدة. من آثاره (مختصر تفسير الكشاف للزمخشري).

### محمد الدكالي بن النقاش (٢)

(٧٢١ - ٧٦٣ هـ)

محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم الدكالي ثم المصري ابو إمامة بن النقاش.

ولد في نصف شهر رجب سنة ٧٢٥ وأخذ القراءات عن البرهان الرشدي والعربية عن المحب بن الصائغ وأبي حيان وحفظ الحاوي الصغير وكان يقول أنه من أول من حفظه بالقاهرة وتقدم في الفنون وصنف شرح العمدة في ثمان مجلدات وتخرج أحاديث الرافعي وشرحا على التسهيل وشرحا على الألفية وكتابا في الفروق وكتابا في التفسير مطولا جدا، ذكر في أوله ان الحامل له عليه أنه شرع في القاء التفسير في الجامع الأزهر في شهر رمضان فأكمّله فبلغه أن بعض الناس استقصر علمه فشرع في إملاء تفسير على الفاتحة فأقام

(١) معجم المؤلفين ٢٠/١١.

(٢) الدرر الكامنة ٤/١٩٠ ترجمة ٤٠٧٣، الأعلام ٦/٢٨٦، نيل السائرين ١٩٢، معجم

المؤلفين ٢٥/١١.



فيه مدة طويلة ثم شرع في كتابه التفسير والتزم أن لا ينقل فيه عن كتاب من تفسير أحد ممن تقدمه قال الصفي قدم دمشق سنة ٧٥٥هـ فنزل عند السبكي وكانت بينه وبين النائب معرفة فأكرمه وعظمه ثم توجه إلى حماه فعظمه نائبها أيضا ووعظ بدمشق، قال عمر رضا كحالة: كانت طريقته في التفسير غريبة ما رأيت له في ذلك نظير، وكان يصحب الأمراء ثم صحب الناصر حسن بن الناصر وحظي عنده إلى أن أبعد عند قطب الدين الهرماس وكان السبب في خطة على الهرماس أنه كان افتى بعض القبط بفتيا تخالف مذهب الشافعي فبلغ الهرماس ذلك فشنع عليه وبالغ في ذلك حتى وصل الأمر للقاضي عز الدين بن جماعة فمنعه من الفتيا بعد أن عقد له مجلس بالصالحية فكان بعد ذلك يحط عليه هو السراج الهندي ولم يزل على حاله إلى أن مات في شهر ربيع الأول سنة ٧٦٣هـ عن تسع وثلاثين سنة بالقاهرة. قال ابن كثير وهو من أبناء الأربعين وقال ابن حبيب وله ثلاث وأربعون وقال شيخنا الحافظ أبو الفضل في وفياته مولده سنة ٧٣٢هـ وقال أبو رافع مولده سنة ٧٢٥هـ فعلى هذا الأخير يكون شيخنا اعتمد وقرات بخط القاضي تقي الدين الزبيري أن السلطان لما قتل انحطت مرتبة ابن النقاش وضعف واستمر ضعيفا خاملا إلى أن مات، قلت وعاش بعده دون سنة وقرأت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي: أنه صنف كتاب في التفسير سماه (السابق اللاحق) وكان يقول الناس اليوم رفاعية لا شافعية ونووية لا نبوية قال ابن كثير: كان واعظا بارعا وفتيا نحويا شاعرا له يد طولى في فنون متعددة وقدرة على سجع الكلام ومن شعره:

طرقت وقد نامت عيون الحسد ونوائب الدنيا عند الفرق  
والليل قد نشرت غلائل بردها لما طوى الأمساء حالة عسجد  
وأنت ولم تضرب لوصل موعدا أحلى المعنى ما لم يكن عن موعد

قلت أي ابن حجر: وهو والد صاحبنا الشيخ زين الدين أبي هريرة بن  
النقاش.

### أحمد الهكاري (١)

(..... — ٧٦٣هـ)

أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحسين ابن موسى الهكاري، شهاب الدين  
أبو سعيد ابن أبي الحسين.

مفسر، عالم برجال الحديث، كردي الأصل. له تفسير في ست  
مجلدات وله رجال السنن الأربعة ورجال البخاري ومسلم.

### مخلص الدهلوي (٢)

(..... — ٧٦٤هـ)

مخلص بن عبد الله الهندي، الدهلوي الحنفي (حميد الدين). فقيه،  
مفسر، من آثاره تفسير القرآن سماه (كشف الكشاف)، وشرح الهداية  
في فروع الفقه الحنفي.

يقول صاحب نيل السائرين: وله مؤلفات آخر ذكره الشيخ مجد الدين  
الفيروز آبادي في تأليفه المسمى بالألطف الخفية في أشراف الحنفية  
كما في الآثار الجنية لعللي القارئ. قال الحلبي في كشف الظنون:  
وشرحه هداية الفقه شرح مفيد ما قصر فيه عن تحقيق المباني ولا

(١) الأعلام ٩١/١.

(٢) معجم المؤلفين ٢١١/١٢.

ابتلى فيه تنقيح المعاني وهو شرح ممزوج لطيف أوله الحمد الذي  
هدانا في بدايتنا إلى خدمة كتابه المبين (١)  
وكانت وفاته في سنة أربع وستين وسبعمائة.

### عبد الصمد ابن الحصري البغدادي (٢)

(..... — ٧٦٥هـ)

عبد الصمد بن إبراهيم بن خليل البغدادي جمال الدين أبو أحمد يعرف  
بابن الحصري. كان حنبلياً طلب الحديث فسمع الكثير، وأخذ عن ابن  
الدواليبي، وابن عبد الصمد، والدقوقي، وطبقتهم، ومهر في الوعظ.

### محمد القطب (٣)

(٦٩٤ - ٧٦٦هـ)

محمد بن محمد الرازي، الشافعي، الشهير بالقطب التحتاني (قطب  
الدين أبو عبد الله).

حكيم، منطقي، عارف بالتفسير، والمعاني والبيان والنحو والعلوم  
الشرعية، أخذ بدمشق عن العضد وغيره، وكان ذو مال وثروة،  
وتوفي بدمشق في ذي القعدة ودفن بسفح قاسيون، من تصانيفه:  
(حاشية على الكشاف للزمخشري) في تفسير القرآن، شرح الشمسية  
في المنطق وسماه تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية، شرح  
مطالع الأنوار للأرموي في المنطق وسماه لوامع الأسرار، وشرح

(١) نيل السائر ١٩١.

(٢) الدرر الكامنة ٤٧٦/٢ ترجمة ٢٤٢٠، معجم المؤلفين ٢٣٣/٥، نيل السائر ١٩٣.

(٣) معجم المؤلفين ٢١٥/١١، الأعلام ٣٨/٧، نيل السائر ١٩٣، مفتاح السعادة ٢٤٦/١،

شذرات الذهب ٢٠٧/٦ طبقات الشافعية ٣١/٦.

الإشارات لابن سينا في المنطق والحكمة، ولطائف الأسرار في المنطق.

## عبد الله بن عقيل البالسي (١)

(٦٩٨ - ٧٦٩هـ)

عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل بن عبد الله بن محمد بن محمد بهاء الدين الحلبي البالسي الأصل نزيل القاهرة، ولد سنة سبعمائة، يقول ابن حجر قرأت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي، ولد سنة ٦٩٤ وقدم القاهرة مملقا فلازم الاشتغال إلى أن مهر، ولازم أباحيان حتى كان أجل تلامذته، وحتى صار يشهد له بالمهارة في العربية، حتى قال ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، وأخذ عن الزين الكتاني، وسمع من أبي الهدى أحمد بن محمد بداية الهداية للغزالي، و من حسن بن عمر الكردي، وابي الصاعد، وابن الشحنة، وست الوزراء وغيرهم، ولازم القونوي ثم القزويني، قال الأسنوي في الطبقات كان إماما في العربية والمعاني والبيان، و يتكلم في الفقه والأصول كلاما حسنا، وتلا بالسبع على التقي ابن الصائغ، وكان غير محمود في التصرفات المالية حاد الخلق، وقد درس بزاوية الشافعي أخيرا ودرس بأماكن منها التفسير بالجامع الطولوني، ويقول الحافظ ابن حجر: ختم فيه القرآن تفسيرا في مدة ثلاث وعشرين سنة، ثم شرع من أول القرآن بعد ذلك، فمات في أثناء ذلك، وشرح الألفية والتسهيل وهما معروفان، وقطعة من التفسير، وكان شرع في كتاب مطول سماه تيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد، وسماه التأسيس لمذهب ابن إدريس

(١) الدرر الكامنة ٣/٣٧٢ ترجمة ٢١٥٧، معجم المؤلفين ٧٠/٦، الأعلام ٩٦/٤.

أطال فيه النفس جدا، وكان جوادا مهيبا، لا يتردد إلى أحد، ولا يخلو من كثير من الناس يتردد إليه، وذكره الذهبي في آخر طبقات القراء في اصحاب التقي الصائغ في سنة ٧٢٧هـ فقال هو الإمام بهاء الدين بن عقيل، مات في ثالث عشرين ربيع الأول سنة ٧٦٩هـ.

يقول مولانا محمد طاهر: ومن تصانيفه (التعليق الوجيز على كتاب العزيز) في التفسير (١)

## أحمد شهاب الدين النقيب (٢)

(٧٠٦ - ٧٦٩هـ)

أحمد بن لؤلؤ الرومي شهاب الدين بن النقيب. ولد سنة ٧٠٦هـ واشتغل بالعلم وله عشرون سنة وسمع الحديث من ابن القماح وابن عبد الهادي والميدومي ومهر في الفنون واختصر الكفاية وعمل تصحيح المذهب ونكت المنهاج وغير ذلك وتفقه على السنباطي والسبكي ونحوهما وأخذ العربية عن أبي الحسن بن الملقن وأبي حيان وبرع وكان وقورا ساكنا خاشعا قانعا انتفع به الطلبة وتخرج به الفضلاء واختصرت التنبيه فصحح على قاعدة المتأخرين واختصر هذا المختصر فاقتصر عن ذكر الخلاف على الراجح وهو لطيف كثير الفائدة. وترجم له الأسنوي في الطبقات ترجمة جيدة قال فيها: كان عالما بالفقه والقراءات والتفسير والأصول والنحو. ويستحضر من الأحاديث كثيرا خصوصا المتعلقة بالأوراد والفضائل وكان ذكيا أدبيا شاعرا فصيحاً متواضعا كثير المرؤة والبر والتصوف والحج والمجاورة. كان أبوه روميا من نصارى أنطاكية فوقع في سهم

(١) نيل السائرین ١٩٤.

(٢) الدرر الكامنة ٢٥٢/١ ترجمة ٢١٠، معجم المؤلفين ٥٥/٢.

بعض الأمراء فرباه واعتقه وباشر النقابة لبعض الأمراء فعرف  
بالنقيب ثم انقطع وتصوف فلزم الخير والعبادة ونشأ له ولده الشهاب  
على قدم جيد فكان أولا بزري الجند ثم حفظ القرآن وقرأ بالسبع ثم  
اشتغل بالعلم وله عشرون سنة فلزم إلى أن مهر قال ولم يكتب قط  
على فتيا تورعا ولا ولي تدريسا وكان مع تسدده في العبادة حلو  
النادرة كثير الأنبساط والدعابة.

ومات مطعونا في نصف شهر رمضان سنة ٧٦٩هـ.

### عبد الله بن التركماني المارديني (١)

(٧١٩ - ٧٦٩هـ)

عبد الله بن علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان  
المارديني الأصل المعروف بابن التركماني الحنفي جمال الدين أبو  
محمد علاء الدين. ولد سنة ٧١٩هـ، وسمع من الوائي والختني  
وغيرهما واشتغل ودرس وأفتى وحدث ودرس بالكاملية نزل له عنها  
القاضي عز الدين بن جماعة ودرس في التفسير بالجامع الطولوني  
واستمر إلى أن مات مطعونا في شهر رمضان سنة ٧٦٩هـ.

قال ابن رافع كان محسنا لطيبته وقال ابن حبيب كان وافر الوقار  
لطيف الذات مقدما عند الملوك رحمه الله تعالى وكان عارفا بالأحكام  
لين الجانب، شديدا على المفسرين، متواضعا مع أهل الخير وسد  
أبواب الريب وامتنع من استبدال الأوقاف وصمم على ذلك ولم يخلف  
بعده مثله خصوصا من الحنفية.

(١) الدرر الكامنة ٢/٢٨١ ترجمة ٢١٧٧.

## منصور الزواوي (١)

(٧١٠ - ٧٧٠هـ)

منصور بن علي بن عبد الله الزواوي أبو علي قال ابن الخطيب حريص على الإفادة والاستفادة مثابر على تعليم العلم له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلية درس في التفسير والفقه وغير ذلك أخذ عن أبيه ومنصور ابن أحمد المشدالي وعبد المهيمن الحضرمي وأبي القاسم الحسيني. ولد في حدود عشرة وسبعمائة. وكان حيا بعد السبعين وسبعمائة.

## محمد شمس الدين الموصلني (٢)

(..... — ٧٧١هـ)

محمد بن عبد الله بن علي بن المعافي بن إسماعيل بن الحسين ابن الحسن بن أبي السنان شمس الدين بن تاج الدين بن عز الدين الموصلني الدمشقي.

سمع بالموصل ودمشق وحدث عن أبي نصر بن الشيرازي وولي إمامة العادلية بدمشق وكان له حانوت يتجر فيه وكان باراً، ثم اضر وكان خيراً ساكناً يلزم مواعيد الحديث قال ابن رافع و جدّه المعافي يلقب جمال الدين. صنف كتاب الكامل في الفقه جمع فيه بين الطريقتين ومشى فيه على ترتيب التتمة، وهو من طبقة الرافعي وقد أجاز للتقي سليمان وآخر من حدث عنه بالسماع الخضر بن عبد الرحمن الأزدي الدمشقي وهو مصنف كتاب أنس المنقطعين، وله في التفسير

(١) الدرر الكامنة ١٣٣/٥ ترجمة ٤٨٥٢.

(٢) الدرر الكامنة ٩٧/٤ ترجمة ٣٧٩٩، نيل السائر ١٩٥.

كتاب (البيان)، وكان فاضلا دينا عارفا بالمذهب. مات بالموصل وقد قارب الثمانين، في سادس ذي القعدة سنة ٧٧١هـ.

### عبد الله بن عسكر الماسوحي (١)

(٧١٢ - ٧٧١هـ)

عبد الله بن سعد بن مسعود بن عسكر الماسوحي. ولد بعد سنة ٧١٠هـ وتفقّه ولازم الشيخ برهان الدين ابن الفركاح وطلب الحديث وكتب الأجزاء وفاق في الفقه وشارك في غيره، وكان كثير النقل صحيح العقل مات في جمادي الأولى سنة ٧٧١هـ وذكره الذهبي في المعجم المختص فقال الفقيه المحدث الشافعي، ثم الحنبلي ثم المجتهد جيد الذهن كثير النقل والله يصلحه، ولد سنة ٧١٢هـ وتفقّه بالشيخ برهان الدين وله اعتناء ومعرفة بكثير من المتون والأسانيد والتفسير، قال ابن كثير كان مشغلا باراعا، وتفقّه على يد الشيخ برهان الدين وحفظ التنبيه والمنهاج، وكان له شعر حسن ولكنه كان في الآخر قد حصل له خمول زائد وصار يستجدي بشعره بعد أن كان معظما معتقدا وحدث عن أبي الشحنة وبنات الكمال وغيرهما وكتب الطباق والأجزاء، وكان يسكن الصالحية وعظمه الحنابلة.

### عبد الرحيم جمال الدين الأسنوي (٢)

(٧٠٤ - ٧٧٢هـ)

عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي الأسنوي نزيل القاهرة الشيخ جمال الدين أبو محمد.

(١) الدرر الكامنة ٣٦٦/٢ ترجمة ٢١٤٤.

(٢) الدرر الكامنة ٤٦٣/٢ ترجمة ٢٣٨٦.



ولد في العشر الأخير من ذي الحجة سنة ٧٠٤هـ على ما ذكر هو في طبقات الشافعية له بـ(أسنا) من صعيد مصر، وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ، وقد حفظ التنبيه، ويقال أنه حفظ التنبيه في ستة أشهر وسمع الحديث من الدبوسي، وعبد القادر ابن الملوك والحسن بن اسد بن الأثير وعبد المحسن بن الصابوني وغيرهم، وأخذ العلم عن القطب السنباطي، والجلال القزويني والمجد الزنكلوني والقونوي وغيرهم، وأخذ العربية عن أبي الحسن النحوي وعن أبي حيان وغيرهما. ودرس التفسير بالجامع الطولوني، وصنف التصانيف المفيدة منها: المهمات والتفتيح فيما يرد على التصحيح والتمهيد، والكوكب والهداية إلى أوامير الكفاية وزائد الأصول وتلخيص الرافعي الصغير وله الأشباه والنظائر لم يبيض وله البذور الطوالع في الفروق والجوامع لم يبيضه وتناقض البحرين وشرح المنهاج للنووي لم يكمل وشرح المنهاج للبيضاوي وشرح عروض ابن الحاجب وغير ذلك وكان فقيها ماهرا صالحا مع البر والدين والتواضع. وقد أفرد له شيخنا العراقي ترجمة ذكر فيها كثيرا من فضائله ومناقبه ومن نظمه أيضا وبالغ في الثناء عليه وكان هو يحب شيخنا العراقي ويعظمه وذكره في طبقات الشافعية. وقال شيخنا العراقي اشتغل في العلوم حتى صار أوحد أهل زمانه وشيخ الشافعية في أوانه وصنف التصانيف النافعة وتخرج به طلبة الديار المصرية وكان حسن الشكل والتصنيف لين الجانب كثير الإحسان. كانت وفاة الشيخ جمال الدين في ليلة الأحد ثامن عشر جمادي الأولى سنة ٧٧٢هـ وله سبعة وتسعون سنة ونصف سنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة. يقول ابن حجر رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي كانت جنازته مشهودة تنطق له بالولاية. يقول عمر

رضا كحالة: من مصنفاته أيضا شرح الفية ابن مالك في النحو وشرح  
أنوار التنزيل للبيضاوي وطبقات الفقهاء (١)

## عمر سراج الدين الغزنوي (٢)

(٦٨٣ - ٧٧٣هـ)

عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوي العلامة الحنفي القاضي سراج  
الدين الهندي.

كان عارفا بالأصلين والمنطق والتصوف والحكمة، وكان قدومه إلى  
القاهرة قبل الأربعين وهو متأهل للعلم فتميز بها، وسمع من بعض  
أصحاب النجيب، سمع منه الصدر الياصوفي وغيره صنّف التصانيف  
المبسوطة، وشرح المغني في أصول الفقه، والبديع لابن الساعاتي،  
والهداية وهو مطول لم يكمل، وكان دمث الأخلاق طلق العبارة، ولي  
قضاء العسكر، وناب في القضاء عن جمال الدين ابن التركماني مدة  
طويلة، ثم ولي القضاء استقلالا في شعبان سنة ٧٦٩هـ بعد موت  
ابن التركماني، وكان شهما مقداما فصيحا له خطوة عند الأمراء،  
وقرر في قضاء الحنفية بعد جمال الدين التركماني، وعمر حينئذ داره  
التي برحية العيد، وأضيف له تدريس التفسير بالجامع الطولوني لما  
مات البسطامي سنة ٧٧١هـ، وتكلم في أوقاف الشافعية تجاه الجاي  
اليوسفي لما استقر ناظرا عليها، وتكلم أيضا في نظر جامع ابن  
طولون، واستعاد وقف الطرحي من نقيب الأشراف بمساعدة الجاي،  
لأن نظره بشرط الواقف الحنفي ومع ذلك فإنه قام على الجاي قياما

(١) معجم المؤلفين ٢٠٣/٥.

(٢) الدرر الكامنة ٣ / ٢٣٠ ترجمة ٢٩٨٦، معجم المؤلفين ٦ / ٢٨٩.

عظيما لما كشف وقف الأشرافية، وقد ذكرت ذلك في ترجمته في  
قضاة مصر، ومات في سابع شهر رجب سنة ٧٧٣هـ.

يقول صاحب نيل السائرين ( وتفسيره معروف بتفسير سراج  
الدين). (١).

## أحمد بهاء الدين السبكي (٢)

(٧١٩ - ٧٧٣هـ)

أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف ابن موسى  
بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن نشوان بن  
سوار بن سليم السبكي أبو حامد بهاء الدين. يقول الحافظ ابن حجر:  
كذا نقلته من خط أخيه تاج الدين وسماه أبوه في أول ما ولد تماما ثم  
تسمى أحمد بعد أن جاز سن التمييز ومولده على ما قرأت بخط أبيه  
في آخر تاسع عشر بل بعد المغرب في ليلة العشرين من جمادي  
الآخرة سنة ٧٢٩هـ وأحضر على الحجار في الخامسة جميع  
الصحيح وأسمع على يونس الدبوسي والواني والبدر بن جماعة  
وجماعة وبدمشق من الجزري والمزني وغيرهما وأخذ عن أبيه وأبي  
حيان والرشيدي والاصبهاني وسمع على الشيخ تقي الدين ابن الصائغ  
عدة قراءات وتفقه على المجد الزنكلوني وابن القماح وغيرهما.  
وأنجب وبرع وهو شاب قال الذهبي في المعجم المختص: الإمام  
العلامة المدرس له فضائل وعلم جيد وفيه أدب وتقوى وساد وهو ابن  
عشرين سنة وأسرع إليه الشيب فأفتى وهو في حدود العشرين. يقول

(١) نيل السائرين ١٩٤.

(٢) الدرر الكامنة ١/ ٢٢٤ ترجمة ٥٤٤، الأعلام ١/ ١٧٦، البدر الطالع ١/ ٨١.

ابن حجر قلت: (١) كان ذلك لما ولى أبوه قضاء الشام فانه فوض إليه تدريس المنصورية وغيرها ثم ولى هو تدريس الشافعي والحاكم ثم درس بالشيخونية أول ما فتحت وكانت له اليد الطولى في علوم اللسان العربي والمعاني والبيان وله عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، وله تعليق على الحاوي وعمل قطعة على شرح المنهاج لأبيه وكان أديبا فاضلا متعبدا كثير الصدقة والحج والمجاورة سريع الدمعة قائما مع أصحابه وولى قضاء الشام عوضا عن أخيه في سنة ٧٦٣هـ ثم ولى قضاء العسكر وقد شرع في شرح الحاوي فكتب منه عدة مجلدات لو كمل لكان في عشرين مجلدة وشرع في شرح مختصر ابن الحاجب فكتب منه قطعة لطيفة في مجلد لو استمر عليه لكان عشر مجلدات أو أكثر ويقول ابن حجر أيضا (٢): قرأت بخط أبيه قال: قال ابني أبو حامد في درس أخيه الحسين بالشامية عندما جري الكلام في قوله تعالى: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} أن في هذه الآية إشارة إلى أن المراد بالظلم الشرك لأنه الذي يلتبس بالإيمان قال وهي فائدة عظيمة فرحت بها أشد من فرحي بالدرس. ونقلت من خط أبيه من إنشاء ابني أبي حامد الحمد لله الذي شرح لمن شرع في إفادة العلم صدرا ومنح من منع نفسه إرادة الاثم في الدنيا حسنة وفي الآخرة أخرى وذكر خطبة الدرس قال وذلك في ربيع الأول سنة ٧٤٨هـ وقرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيرى كان الشيخ بهاء الدين السبكي من رجال العلم وكان أبوه قاضي الشام مكثر ماله وكثرت وظائفه ثم لما مات ابن الجزري خطيب جامع ابن طولون

(١) الدرر الكامنة ٢٢٤/١ ترجمة ٥٤٤.

(٢) الدرر الكامنة ٢٢٤/١ ترجمة ٥٤٤.

فقرر أو لاده عوضاً عنه فسعى بهاء الدين إلى أن يخرج الخطابة عنهم بعد أن قررهم فيها تاج الدين المناوي وهو يومئذ الناظر الشرعي ثم ولي تدريس التفسير بجامع ابن طولون بعد الشيخ جمال الدين الأسنوي. ومات أبو حامد بهاء الدين السبكي مجاوراً بمكة ليلة الخميس السابع عشر في شهر رجب سنة ٧٧٣هـ وله أربع وخمسون سنة.

### خضر الأزدي (١)

(..... — ٧٧٣هـ)

خضر بن عبد الرحمن الأزدي، الدمشقي. مفسر، مشارك في بعض العلوم. من آثاره (التبيان في تفسير القرآن)، وائيس المنقطعين في ست مجلدات.

### محمد العثماني الديباجي (٢)

(٧١٣ - ٧٧٤هـ)

محمد بن أحمد بن عثمان العثماني، الديباجي الملوي، (ولي الدين، أبو عبد الله) فقيه، صوفي، مفسر، نحوي، سافر إلى دمشق والروم ورجع إلى مصر وتوفي بها، من آثاره: شرح كلمتي الشهادة والفكر فيما يثمر لمن شرح الله به صدره من النور والعبادة، إرشاد الطائف إلى علم اللطائف إلهام الإلهام في معاني عقيدة شيخ الإسلام، حل الحبا لارتفاع الوباه وإنشاد الشريد في منوال القصيد.

(١) معجم المؤلفين ٤ / ١٠٠، نيل السائرین ١٩٥.

(٢) معجم المؤلفين ٨ / ٢٨٩.

## محمد افتخار الدين الدامغاني (١)

(..... — ٧٧٥هـ)

محمد بن نصر الله بن محمد الدامغاني (افتخار الدين). عالم مشارك في العلوم العقلية والنقلية، توفي في شعبان من تصانيفه الكثيرة: (الكاشف في التفسير) في سبع مجلدات، شرح العيون لعضد الدين عبد الرحمن، شرح الإرشادات المسمى بتقريح العبارات في توضيح الإشارات، المدارك في المنطق، وشرح آداب البحث. (وكاشف السجاف عن وجه الكشاف) مخطوطة.

## محمد شمس الدين الواسطي (٢)

(٧١٧ - ٧٧٦هـ)

محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم الحسيني، الواسطي، الشافعي نزيل الشامية الجوانية (شمس الدين، أبو عبد الله). فقيه، أصولي، مفسر، متكلم، أخباري، توفي بدمشق في ربيع الأول. من تصانيفه: (تفسير كبير) مختصر الحلية لأبي نعيم في مجلدات وسماه مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب وشرح منتهي السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل في ثلاث مجلدات، كتاب في أصول الدين، وكتاب في الرد على الأسنوي في تناقضه.

(١) معجم المؤلفين ٧٨/١٢ الاعلام ٥/٢.

(٢) معجم المؤلفين ٩/١٩٨ ن الاعلام ٨٧/٦.

## محمد جمال الدين الأقسرائي (١)

(..... — ٧٧٦هـ)

محمد بن محمد بن محمد بن فخر الدين، جمال الدين المعروف بالأقسرائي.

عالم بالتفسير والطب، عارف باللغة والأدب نسبته إلى (اق سراي) من بلاد الروم، ومعناها (القصر الأبيض) وهو حفيد الإمام فخر الدين الرازي كان مدرسا في بلاد قرامان) بمدرسة (السلسلة) وقد شرط بانيها ان لا يدرس فيها إلا من حفظ (الصحاح) للجواهري، فعين لها جمال الدين الأقسرائي وصنف كتبها (حواشي على الكشاف) فسي التفسير، وإيضاح الإيضاح مخطوط وشرح الإيضاح في المعاني والبيان، منه في شستربتي بديلن رقم (٤٥٠٠) ودار الكتب، ونسخة بخطه في خزانة داماد إبراهيم (الرقم ١٠٢٠) في اسطنبول، انجزها في شعبان ٧٧٦هـ، وحل الموجز مخطوط في الطب، وشرح القانون لابن النفيس في شستربني (رقم ٤٢٩١). ويقول مولانا محمد طاهر: نقلنا عن الحافظ ابن حجر انه مات في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. (٢)

## محمد أبو البقاء ابن عبد البر (٣)

(٧٠٧ - ٧٧٧٩هـ).

محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد السبكي بهاء الدين ابو البقاء.

(١) الأعلام ٤٠/٧، كشف الظنون ١٩٠٠، دار الكتب ١٧٧/٢.

(٢) نيل السائر ١٩٣.

(٣) الدرر الكامنة ١٠٩/٤ ترجمة ٣٨٣٥، معجم المؤلفين ١٠/١٢٥. الأعلام: ١٨٤/٦.

ولد في ربيع الأول سنة ٧٠٧ وسمع من الحجار وست الوزراء  
والواني والدبوسي والختني وعبد الله بن علي الصنهاجي والمزي  
والبرزالي والجزري وغيرهم. واخذ عن الشيخ علاء الدين القونوي  
والقطب السنباطي والمجد السنكلوني والزين الكتاني وغيرهم ولازم  
أباحيان ومهر في العربية والفقہ واصول الفقہ وفي التفسير والكلام  
ودخل الشام مع الشيخ تقي الدين وناب عنه في الحكم ولازمه حتى  
تخرج له في كثير من الفنون ودرس وأفتى وتأدب وناصر ثم سعى  
على تاج الدين قريية وولي قضاء الشام مكانه في شعبان سنة  
٧٥٩هـ فاقام شهران ثم عاد تاج الدين فلما كان في شعبان سنة ستين  
جاء امر السلطان بأن ينفي إلى طرابلس فأخرج من دمشق في ليلة  
الثاني عشر. ثم ورد القاهرة وناب عن عز الدين بن جماعة بعد وفاة  
تاج الدين المناوي فأضيف إليه بعده قضاء العسكر والنظر في  
الأوقاف ونيابة الحكم وذلك في سنة ٧٦٥هـ ثم ولي القضاء  
استقلالا بعد عزل عز الدين نفسه في سنة ٧٦٦هـ فباشره إلى ان  
صرف عنه ببرهان الدين بن جماعة سنة ٧٧٣هـ ثم فوض إليه  
قضاء الشام فباشره إلى ان مات في ربيع الآخر سنة ٧٧٧هـ يقول  
الحافظ ابن حجر قرأت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي سمعته يقول  
اقرأت الكشاف بعدد شعر رأسي فهذه مبالغة ولم يظهر له من  
التصانيف شيء مع انه كتب على الزوضة وعلى مختصر ابن  
الحاجب الأصلي وعلى المطلب لابن الرفعة، يقول ابن حجر: ذكر لي  
الشيخ شمس الدين بن القطان أنه كان ممن اخذ عنه وانه كان يضج  
إذا توجه عليه البحث، وغالب من لقيناه كان يباليغ في وصفه بالتحقيق



والحدق رحمه الله (١) ويقول صاحب معجم المؤلفين: كان مفسر،  
فقيها، اصولي اديب لغوي، نحوي (٢)

### محمد السراج الرعيني (٣)

( ٦٨٥ - ٧٧٩هـ )

محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي، الفارسي المعروف  
بالرعيني وبالسراج (أبو عبد الله).

محدث، رحالة، ناظم، مشارك في بعض العلوم. ولد بفاس وتوفي بها  
في ٨ صفر من آثاره: (تحفة الناظر ونزهة الخواطر في غريب  
القرآن) نظم مراحل الحجاز، الروضة البهية في البسمة والتصلية  
(تفسير سورة الكوثر) ومراسم الطريقة في مهم الحقيقة في حال  
الخليقة.

### شهاب الدين أحمد السيواسي (٤)

( ..... — ٧٨٠هـ )

شهاب الدين احمد بن مسعود السيواسي ثم الأياتلوعي، مفسرن صوفي  
توفي في حدود سنة ٧٨٠هـ. له تفسير القرآن العظيم سماه ( عيون  
التفاسير ) ورسالة في التصوف.

(١) الدرر الكامنة ١٠٩/٤ ترجمة ٣٨٣٥.

(٢) معجم المؤلفين ١٠/٢٥١ز

(٣) معجم المؤلفين ١٠/٣٧.

(٤) معجم المؤلفين ٣٠٩/٤، نيل السائرين ٢١٠.

## الأمير تاتار خان الدهلوي (١)

(..... — ٧٨٠هـ)

الأمير الكبير تاتار خان الدهلوي كان من الرجال المعروفين بالفضل والصلاح والرياسة والسياسة التقطه السلطان غياث الدين تغلق في بعض غزواته طريحا في الأرض يوم ولد فيه فاقتناه ورباه في مهد الأمان وجعله من خاصته وكان ركنا من اركان السلطنة لما تولى محمد شاه المملكة وولاه الأعمال الجليلة وكان فاضلا شجاعا سخيا حسن الأخلاق شديد التمسك بالشريعة المطهرة شديد الحسبة على الملوك والأمراء لا يخاف في الله ولا يهاب فيه احدا. انكر على فيروز شاه شرب الخمر فاقطعه فيروز شاه حصار فيروزه ونفاه من حضرته وكذلك انقبض عنه محمد شاه تغلق مرة فكتب إليه بعض الأبيات من الشعر باللغة الفارسية فلما قرأ محمد شاه هذه الأبيات اكرم مثواه وقربه وهو مع هذا القرب والمنزلة سار إلى الحرمين الشريفين وسعد بالحج وصنف كتابا في التفسير وسماه (التاتار خاني) وهو اجمع ما في الباب وصنف بامرہ عالم بن العلاء المتوفى سنة ٧٨٠هـ — الدهلوي والفتاوى التاتار خانية. مات في ايام فيروز شاه السلطان الذي بويع له سنة ٧٥٢هـ إلى ٧٩٩هـ.

(١) نيل السائرين ٢٠٦.

## عبد الرحمن كمال الدين العتائقي (١)

(٦٩٩ - ٧٨١هـ)

عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف العتائقي (كمال الدين). عالم، أديب، مشارك في انواع من العلوم. ولد في مدينة الحلة. من تصانيفه (مختصر تفسير علي بن إبراهيم)، كتاب الشهدة شرح تعريب الزبدة للطوسي في علم الهيئة، والتصريح في شرح التلويح في الطب، الإيضاح والتبين في شرح منهاج اليقين في أصول الدين والدر المنتخب في لباب الأدب.

## عبد الرحمن البغدادي (٢)

(٧٠٢ - ٧٨١هـ)

عبد الرحمن بن أحمد بن علي الواسطي الأصل، البغدادي، الشافعي (تقي الدين).

مقريء، مفسر، نحوي. توفي بالقاهرة في ٩ صفر من تصانيفه: (مختصر البحر المحيط) لأبي حيان في التفسير، نظم غاية الإحسان لشيخه أبي حيان في النحو، وشرح الشاطبية في القراءات شرحين.

## محمد بن مرزوق العجيسي الخطيب (٣)

(٧١٠ - ٧٨١هـ)

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي الخطيب، المشهور بالجد وبأخطيب (أبو عبد الله، شمس الدين). فقيه،

(١) معجم المؤلفين ١٦٧/٥، الأعلام ٣٣٠/٣.

(٢) معجم المؤلفين ١٢١/٥، الأعلام ٢٩٥/٣.

(٣) معجم المؤلفين ١٦/٩.

اصولي، محدث، نحوي، مفسر، ولد بتلمسان، ورحل إلى المشرق، وأقام بمصر، وعاد إلى تلمسان، فولى أعمالاً علمية وسياسية، وتقدم عند ملوك المغرب، وسجنه بعضهم، ثم رحل إلى القاهرة، فاتصل بالسلطان الأشرف فولاه مناصب علمية. استمر قائماً بها إلى أن توفي. من تصانيفه: شرح كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى لم يكمل، عجالة المستوفز المستجاد في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز، شرح الجامع الصحيح للبخاري وسماه المتجر الربيع والمسعى الرجيح لم يكمل، إيضاح السالك على الفية ابن مالك في النحو، تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام.

### فرج الثعلبي الغرناطي (١)

(٧٠١ - ٧٨٢هـ)

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الثعلبي، المالكي، الأندلسي، الغرناطي (أبو سعيد).

نحوي، أديب، ناظم، ناشر، متكلم، فقيه، أصولي، لغوي، مفسر، مغربي، فرضي. من تصانيفه: شرح الجمل للزجاجي، شرح تصريح التسهيل، فتاوى، كتاب في الباء الموحدة، والقصيدة النونية في الأحاجي والألغاز النحوية.

(١) معجم المؤلفين ٥٨/٨.

## محمد الغرناطي البننسي (١)

(٧٢٤ - ٧٨٢هـ)

محمد بن علي بن محمد البننسي ثم الغرناطي أبو عبد الله. لازم أبا عبد الله ابن الفخار ومهر في العربية وكان جهوري الصوت حسن التقرير قال وحصلت له محنة مع السلطان ثم صفح عنه لحسن تلاوته التي كانت بحضرته وصنف الاستدراك على التعريف والأعلام للسهيلي وجمع (تفسيرا كبيرا) قاله ابن الخطيب.

## حيدر بهاء الدين الآملي (٢)

(..... — بعد ٧٨٢هـ)

حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسنسي الآملي، بهاء الدين الطبري القاشي.

فقيه، متكلم، مفسر، من أهل أمل بظبرستان. نشأ بالحلة واستقر ببغداد وصنف كتباً منها الكشكول في بيان ما جرى على آل الرسول و (التفسير) أربعة كتب رابعها على السنة أصحاب التأول و (أمثلة التوحيد) و (الأركان في فروع شرائع أهل الإيمان) و (رافعة الخلاف في وجه سكوت أمير المؤمنين عن الاختلاف) والمعتمد من النقول فيما أوجي إلى الرسول مخطوط نسخة خزائية في دمشق ومدارج السالكين في مراتب العارفين ومنبع الأسرار الإلهية، برسم الحضرة الجلالية، مخطوط بشستر بتي بدبلن رقم ٢/٤١٥٤ ونص

(١) الدرر الكامنة ٢٠٧/٤ ترجمة ٤١٠٩، معجم المؤلفين ٣٠٥/١٠ و ٤٦/١١، الأعلام

٢٨٦/٦، نيل السائرين ٢٠٧.

(٢) الأعلام ٢٩٠/٢، إيضاح المكنون ١٩٢/٢، معجم المؤلفين ٩١/٤، دار الكتب ملحق الجزء

النصوص في شرح الفصوص لابن عربي فرغ من كتابته في بغداد سنة ٧٨٢هـ مجلدان. و(المحيط الأعظم في تفسير القرآن الكريم) و(البحر الخظم في تفسير القرآن الأعظم).

## أحمد شهاب الدين بن خضر (١)

(٧٠٦ - ٧٨٥هـ)

أحمد بن محمد بن عمر بن مسلم، ابو العباس، شهاب الدين العمري المعروف بابن خضر، فقيه حنفي، دمشقي، صالح، ولي افتاء دار العدل سنة ٧٥٠هـ له كتب منها حاشية على شرح العقائد النسفية وحاشية على الفوائد الفتارية على ايساغوجي في المنطق وشرح درر البحار للقونوي مجلدات، في فروع الحنفية، قال ابن قاضي شهبة و(السرائر المستقيم في التفسير) وشرح رسالة الاستعارة لأبي القاسم الليثي. توفي بالصالحية.

## محمد أكمل الدين البابر تي (٢)

(٧١٠ - ٧٨٦هـ)

محمد بن محمد بن محمود بن أحمد البابر تي، الرومي، الحنفي (أكمل الدين). فقيه، أصولي، فرضي، متكلم، مفسر، محدث، نحوي، بياني، ولد سنة بضع عشرة وسبعمائة، ورحل إلى حلب فأقام بها مدة ثم قدم القاهرة، فأخذ عن شمس الدين الأصبهاني وغيره، وسمع من ابن عبد الهادي والدلامي وغيرهما، وكان أرباب المناصب يعظمونه، وتوفي بمصر في ١٩ رمضان، وحضر السلطان فما دونه جنازته. من

(١) الأعلام ٢٢٥/١، دار الكتب ٢٣٠/١.

(٢) معجم المؤلفين ٢٩٨/١١، الأعلام ٤٢/٧، بدائع الزهور ٢٦١/١، النجوم الزاهرة

٣٠٢/١١، فهرست الكتبخانه ٦٨/٣.

تصانيفه الكثيرة: العناية في شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي السراجية في الفرائض، (حاشية على الكشاف) للزمخشري في التفسير، شرح مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية للصغاني وسماه تحفة الأبرار في شرح مشارق الأنوار، وشرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة.

يقول مولانا محمد طاهر: ولد سنة ٧١٠ في قرية بابرنا وهي قرية من نواحي بغداد. وأخذ عن أبي جيان والأصفهاني وسمع الحديث من الدلامي وابن عبد الهادي وقورة شيخون في مدرسته وعظم عنده جدا وعرض عليه القضاء مرارا فامتنع. ومات في رمضان سنة ستة وثمانين وسبعمائة ٧٨٦هـ. (١)

### محمد شمس الدين الكرمانى البغدادى (٢)

(٧١٧ - ٧٨٦هـ)

محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانى ثم البغدادى، فقيه، أصولي، محدث، مفسر. قال ابن حجي: تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة واقام مدة بمكة، وكان مقبلا على شأنه قانعا باليسير ملازما للعلم مع التواضع والبر بأهل العلم، وتوفي راجعا من الحج في محرم سنة ٧٨٦ هـ من تصانيفه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري) و (ضمائر القرآن) و (النقود والردود في الأصول) و (شرح مختصر ابن الحاجب). وله (حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي) في التفسير في أربع مجلدات.

(١) نيل السائرين ١٩٩.

(٢) معجم المؤلفين ١٢/١٢٩، الأعلام ٨/٢٧.

يقول مولانا محمد طاهر ( انتقل إلى كرمان عن العصد غيره ومهر وفاق اقرانه وفضل غالب أهل زمانه ثم دخل دمشق ومصر وقرأ بها البخاري على ناصر الدين للفارقي وسمع من جماعة وحج ورجع إلى بغداد واستوطنها وكان تام الخلق فيه بشاشة وتواضع للفقراء وأهل العلم غير مكتر بأهل الدنيا ولا يلتفت إليهم يأتي إليه السلاطين في بيته ويسألونه الدعاء و النصيحة. له شرح الجواهر أنموذج الكشاف وحاشية على تفسير البيضاوي وصل فيه إلى سورة يوسف. ولد يوم الخميس سادس عشر جمادي الآخرة سنة سبع عشرة وسبعمائة ومات بكرة يوم الخميس سادس عشر المحرم سنة ست وثمانين وسبعمائة بطريق الحج فنقل إلى بغداد ودفن بقرب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وفي قبر أعده لنفسه). (١)

### إبراهيم برهان الدين بن جماعة (٢)

(٧٢٥-٧٩٠هـ)

إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن سعد الله بن جماعة (برهان الدين، أبو إسحاق).

القاضي، المفسر. ولد بمصر في ربيع الآخر. وقدم دمشق صغيراً، وتوفي في شعبان بدمشق، ودفن بالمزة ظاهرها. ( جمع تفسيراً في نحو عشر مجلدات)، وله الفوائد القدسية والفرايد العصرية.

(١) نيل السائرين ٢٠٠.

(٢) معجم المؤلفين ٤٧/١، الأعلام ٤٦/١.



## أبو بكر السنجاري البغدادي (١)

(..... — ٧٩٠هـ)

أبو بكر بن محمد بن قاسم بن عبد الله السنجاري، ثم البغدادي. شجاع الدين المقرئ المقانعي الحنبلي سمع من أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن الكرسي جزء حامد بن محمد بن شعيب سماعا، وعن النقي الدقومي أجازته ورحل إلى دمشق فسمع من الحجار، وسمع أيضا من غيره وكان محدثا فاضلا مسندا حدث بالكثير فمن ذلك جامع المسانيد، ومسند الشافعي و(رموز الكنوز) في التفسير والتدابين لابن قدامة، وعاش ثمانين سنة حدث عنه بالسماع الشيخ محب الدين أحمد بن نصر الله قاضي الحنابلة بالقاهرة وابوه وبالإجازة أبو حامد ابن ظهيرة وآخرون، وكانت وفاته سنة ٧٩٠هـ.

## إبراهيم اللخمي الغرناطي الشاطبي (٢)

(..... — ٧٩٠هـ)

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي الإمام العلامة، المحقق القدوة، الحافظ الجليل المجتهد، كان أصوليا مفسرا، فقيها محدثا، لغويا بيانيا، نظارا ثبتا، ورعا صالحا، زاهدا سنيا، إماما مطلقا، باحثا مدققا جدليا بارعا في العلوم، من أفراد العلماء المحققين الإثابت وأكابر الأئمة المتفنين الثقات، له القدم الراسخ، والإمامة العظيمة في الفنون فقها وأصولا، وتفسيرا وحديثا، وعربية وغيرها مع التحري والتحقيق، له استنباطات جليلة، ودقائق

(١) الدرر الكامنة ١/ ٤٩٣ ترجمة ١٢٤٢.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي ٢/ ٤٨٥ الاعتصام للشاطبي ٨/ ١١ مقدمة الموافقات للشاطبي.

منيفة، وفوائد لطيفة، وابحاث شريفة، وقواعد محررة محققة، على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتجري والورع حريصا على اتباع السنة، مجانباً للبدع والشبهة، ساعياً في ذلك مع تثبت تام، متجرفاً عن كل ما ينحو للبدع وأهلها، وقع له في ذلك أمور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل. وله تأليف جليلة مشتملة على ابحاث نفيسة، وانتقادات وتحقيقات شريفة. قال الإمام الحفيد ابن مرزوق في حقه: انه الشيخ الأستاذ الفقيه، الإمام المحقق العلامة الصالح، ابو إسحاق. انتهى. وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الإمام، وإنما يعرف الفضل لأهله أهله.

أخذ العربية وغيرها عن أئمة، منهم الإمام المفتوح عليه في فنها ما لا مطمع فيه لسواه بحثاً وحفظاً وتوجيهاً ابن الفخار الالبيري لازمه إلى ان مات، والإمام الشريف رئيس العلوم اللسانية، ابو القاسم السبتي، شارح مقصورة حازم، والإمام المحقق أعلم اهل وقته، الشريف ابو عبد الله التلمساني، والإمام علامة وقته بإجماع، أبو عبد الله المقرئ، وقطب الدائرة شيخ الجلة، الأمير الشهير، ابو سعيد بن لب، والإمام الجليل، الرحالة الخطيب، ابن مرزوق الجد، والعلامة المحقق المدرس الأصولي، أبو علي منصور بن محمد الزواوي، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبد الله البنسي، والحاج العلامة الرحالة الخطيب أبو جعفر الشقوري وممن اجتمع معه، واستفاد منه، العالم الحافظ الفقيه، ابو العباس القباب، والمفتي المحدث، ابو عبد الله الحفار، وغيرهم.

### مؤلفاته:

ألف تواليف نفيسة، اشتملت على تحريرات للقواعد، وتحقيقات المهمات الفوائد منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو، في

اسفار أربعة كبار، لم يؤلف عليها مثله بحثًا وتحقيقًا، وكتاب الموافقات في أصول الفقه سماه (عنوان التعريف بأصول التكليف) كتاب جليل القدر جدا لا نظير له، يدل على امامته. وبعد شاؤه في العلوم سيما علم الأصول. قال الإمام الحفيد ابن مرزوق: كتاب الموافقات المذكور، من انبل الكتب، وهو من سفرين. وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الإجادة سماه (الاعتصام) وكتاب (المجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري. فيه من الفوائد والتحقيقات ما لا يعلمه إلا الله. وكتاب الإفادات والإنشادات في كراسين فيه طرق وتحف، وملح أدبيات وإنشادات وله أيضا كتاب (عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق) وكتاب أصول النحو، وقد ذكرهما معا في شرح الألفية.

### تلامذته:

أخذ عنه جماعة من الأئمة كالإمامين العلامتين: أبي يحيى بن عاصم الشهير و أخيه القاضي المؤلف أبي بكر عاصم، والشيخ أبي عبد الله البياني، وغيرهم.

### وفاته:

توفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان، سنة تسعين وسبعمئة، ولم يعلم مولده رحمه الله.

## محمد الدوالي اليمني (١)

(... - ٧٩٠هـ)

محمد بن موسى بن محمد الدوالي الصريفي، اليمني (ابو عبد الله) عالم مشارك في الفقه والنحو واللغة والحديث والتفسير والمنطق وغير ذلك. توفي بزبيد. من مصنفاته: الرد على النحاة، والبديع الأسمى في ماهية الخمر، السر الملحوظ في حقيقة اللوح المحفوظ، ارجوزة في المنطق، العروض، وله شعر.

## مسعود التفتازاني (٢)

(٧١٢ - ٧٩١هـ)

مسعود بن عمر التفتازاني العلامة الكبير صاحب شرحي التلخيص وشرح العقائد في اصول الدين وشرح الشمسية في المنطق، وشرح التصريف العزي، ويقال إنه اول تصانيفه والإرشاد في النحو اختصر فيه الحاجبية والمقاصد في أصول الدين وشرحها والتلويح في اصول فقه الحنفية عمله حاشية على توضيح صدر الشريعة وحاشية شرح المختصر للقاضي عضد الدينن و(حاشية الكشاف) والذي تحرر فيها من أول القرآن إلى اثناء سورة يونس، و من سورة الفتح وله غير ذلك من التصانيف في انواع العلوم الذي تنافس الأئمة في تحصيلها والاعتناء بها، وكان قد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار، لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم، مات في صفر سنة ٧٩٢هـ ولم يخلف بعده مثله، وكان مولده سنة

(١) معجم المؤلفين ١٢/٦٧.

(٢) الدرر الكامنة ١١٩/٥ ترجمة ٤٨١٤، معجم المؤلفين ١٢/٢٢٨.

٧١٢هـ على ما وجد بخط ابن الجزري، يقول الحافظ ابن حجر: وذكر لي شهاب الدين بن عربشاه الدمشقي الحنفي أن الشيخ علاء الدين كان يذكر أن الشيخ التفتازاني توفي سنة ٧٩١ هـ عن نحو ثمانين سنة. ويقول مولانا محمد طاهر: ( توفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ٧٩٢ بسمرقند ونقل إلى سرخس يوم الأربعاء التاسع من جمادي الأولى) (١)

### الحسن بن يعيش الصنعاني (٢)

(..... — ٧٩١هـ)

الحسن بن محمد بن الحسن بن سابق الدين، ابن يعيش الصنعاني، الزيدي . فقيه، ولي قضاء صنعاء. إلى أن توفي. من آثاره (التيسير في التفسير)، التذكرة الفاخرة في الفقه، تعليق على اللمع، مختصر الانتصار للإمام يحيى.

### محمد شمس الدين النيسابوري (٣)

(..... — ٧٩١هـ)

محمد بن محمود بن عبد الله شمس الدين النيسابوري. قدم إلى القاهرة وناب عن عمه قاضي القضاة جلال الدين جار الله الحنفي في الحكم، وتقدم مشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وولي افتاء دار العدل وعدة تدريس وتصدى للأشغال عدة سنين في فقه الحنفية، وفي النحو، والتفسير، والأصول. وكان مليح الشكل، جميل الصورة، دمث الأخلاق بشوش، هينا حسن اللقاء متوددا إلى أصحابه

(١) نيل السائر ٢٠٤.

(٢) معجم المؤلفين ٢٨٠/٣، التفسير والمفسرون ٢٨٣/٢.

(٣) طبقات المفسرين للداودي ٢٥٤/٢ ترجمة ٥٨١.

منجمعا عن الناس، صدرا من صدور الحنفية، مفخرا من مفاخر مصر. مات يوم الأحد سابع عشري جمادي الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. ذكره المقرئزي في بعض تراجمه من شيوخه.

### علي علاء الدين السعدي (١)

(٧١٢ - ٧٩٢هـ)

علي بن خلف بن خليل (اوكمال) ابن عطاء الله، علاء الدين السعدي، الغزي الشافعي.

مفسر، مؤرخ، مولده ووفاته بغزة تولى القضاء بها مدة وعزل لسوء سيرة أولاده، فانقطع إلى العبادة. اختصر تاريخ الإسلام للذهبي ورأى ابن قاضي شهبة قسما منه بخطه وقال: بلغني أنه اختصر التاريخ جميعه. وله ( التبيان في تفسير القرآن ) مخطوط منه المجلدات ١ و ٢، و ٣ في مكتبة شستربتي بدبلن.

### محمد شمس الدين بن اليونانية (٢)

(٧٠٧ - ٧٩٣هـ)

محمد بن علي بن أحمد بن محمد اليونيني، البعلي، الحنبلي، المعروف بابن اليونانية (شمس الدين).

مفسر، فقيه من اهل بعلبك. وولى قضاءها. من آثاره: (تلخيص تفسير ابن كثير) في أربع مجلدات.

يقول صاحب نيل السائرين ( ولد ببعلبك في أوائل سنة ٧٠٧هـ وسمع بها من ابن الشحنة صحيح البخاري وكان فاضلا لخص تفسير ابن

(١) الأعلام ٤/٢٨٥، شذرات الذهب ٦/٣٢٣، وشستر بيتي بدبلن ٥٣٠٨.

(٢) معجم المؤلفين ١٠/٣٠٦، الأعلام ٦٦م ٢٨٦ز

كثير في نحو نصف جمعه ومات في شوال سنة ٧٨٣هـ — ثلاث  
وثمانين وسبعمائة). (١)

## محمد فتح الدين ابن الشهيد (٢)

(٧٢٨ - ٧٩٣هـ)

محمد بن إبراهيم بن محمد، ابو الفتح، فتح الدين بن الشهيد. كاتب  
السر بالشام. له علم بالتفسير والأدب ونظم ونثر. اصله من نابلس  
(بفلسطين) ومولده بالرملة اشتهر في دمشق، وكتب بها في ديوان  
الإنشاء. ثم صار صاحب الديوان مع ولاية مشيخة الشيوخ. وجرت له  
محنة اختفى بسببها مدة نظم فيها (السيرة النبوية) لابن سيد الناس في  
بضعة عشر الف بيت مع زيادات، وسماها (الفتح القريب في سيرة  
الحبيب) مخطوط القطعة الأخيرة منها في الظاهرية بدمشق الجزآن  
الأول والأخير منها في الظاهرية بدمشق ومنها مجلدان في خزانة  
حسن حسني عبد الوهاب، بتونس، والمجلد الثاني، في خزانة الرباط  
(رقم ٤٤ أوقاف) وجزء في شستربتي في دبلن (رقم ٥١١٦).

## علي علاء الدين القادري الحموي (٣)

(..... — ٧٩٣هـ)

علي بن محمد بن يحيى بن أحمد بن عماد الدين القادري  
الحموي (علاء الدين) مفسر، توفي بحماه، من تصانيفه (تفسير  
القرآن).

(١) نيل السائرین ١٩٩.

(٢) الاعلام ٢٩٩/٥، شذرات الذهب ٣٢٩/٦.

(٣) معجم المؤلفين ٢٣٧/٧.

## الإمام محمد بدر الدين الزركشي (١)

(٧٤٥ - ٧٩٤هـ)

محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل الشيخ بدر الدين الزركشي ولد سنة ٧٤٥ هـ وعنى بالاستغال من صغره فحفظ كتبا وأخذ عن الشيخ جمال الدين الأسنوي والشيخ سراج الدين البلقيني ولي قضاء الشام عني بالفقه والأصول والحديث. وله حاشية على الروضة وشرح المنهاج ورحل إلى دمشق فأخذ عن ابن كثير في الحديث وقرأ عليه مختصره ومدحه ببيتين ثم توجه إلى حلب فأخذ عن الأزرعي وجمع في الأصول كتابا سماه البحر في ثلاثة أسفار وشرح علوم الحديث لابن الصلاح وجمع الجوامع للسبكي وشرح صحيح البخاري فتركه مسوده.

قال الحافظ ابن حجر: وقفت على بعضها ولخص منه التنقيح في مجلد وشرح الأربعين للنووي وكان منقطعا في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب وإذا حضره لا يشتري شيئا وإنما يطالع في حانوت الكتب طول نهاره ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه وخرج أحاديث الرافعي ومثى فيه على جمع ابن الملقن لكنه سلك طريق الزيلعي في سوق الأحاديث باسانيد خرجها فطال الكتاب وله مصنفات منها المطبوع ومنها المخطوط. أما المطبوع منها الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة رضي الله عنها على الصحابة، تشنيف المسامع بجميع الجوامع تنقيح لأفاظ جامع الصحيح لقطة العجلان وبله الظمان في أصول الفقه والحكمة والمنطق

(١) نيل السائرين ٢٠٤ - ٢٠٥.



والبرهان في علوم القرآن من الكتب التي جمعت أصول القرآن  
واقوال المتقدمين كسرة على سبعة واربعين نوعا يستأهل كل نوع أن  
يكون مؤلفا ويحصى الكتب المؤلفة وهو من أنفس الكتب المؤلفة في  
أصول القرآن واستمد منه في قواعد وأصول القرآن. والمخطوط منها  
اعلام الساجد بأحكام المساجد، البحر المحيط في أصول الفقه، تخريج  
أحاديث الشرح الكبير للرافعي، (تفسير القرآن) وصل فيه إلى سورة  
مريم، تكملة شرح المنهاج خادم الرافعي والروضة في الفروع، خبايا  
الزوايا في الفروع. خلاصة الفنون الأربعة، الديباج في توضيح  
المنهاج، الذهب الإبريز في تخريج أحاديث العزيز، تخريج احاديث  
الرافعي، رسالة كلمات التوحيد زهر العريش في أحكام الحشيش  
سلاسل الذهب في الأصول، شرح الأربعين النووية، شرح البخاري،  
شرح التنبيه، شرح جمع الجوامع، شرح الوجيز في الفروع للغزالي،  
عقدة الجمان وتذييل وفيات الأعيان لابن خلكان، الغرر السوافر فيما  
يحتاج إليه المسافر، غنية المحتاج في شرح المنهاج فتاوى الزركشي  
في أحكام التمني، القواعد في الفروع اللالي المنتورة في الأحاديث  
المشهوره، ما لا يسع المكلف جهله مجموعة الزركشي في فقه  
الشافعي، المعتبر في احاديث المنهاج والمختصر المنثور، القواعد  
النكت على عمدة الأحكام، النكت على ابن الصلاح. قال الحافظ ابن  
حجر ومات في ثالث رجب سنة ٧٩٤هـ أربع وتسعين وسبعمائة.  
وقال صاحب الياقوت والمرجان (هو أول من فتح باب النظر في  
اسباب وقوع الإبهام في القرآن فذكر سبعة من هذه الأسباب معززا

لكل منها بطائفة من الأمثلة نقلها عنه السيوطي كما نقلها عنه محمود ربيع). (١)

## احمد شهاب الدين الربيعي (٢)

(٧٢٥ - ٧٩٥هـ)

احمد بن عمر بن علي بن هلال، أبو العباس شهاب الدين الربيعي فقيه مالكي من المفتين. عرف نفسه بقوله: الربيعي نسبا من ربيعة الفرس بن نزار المالكي مذهباً، الاسكندري مولداً القاهري داراً، نزيل دمشق المحروسة. ووفاته بها، كان ماهراً في الأصول حسن الخط، له شرح جامع الأمهات لابن الحاجب في الفقه من ثمانية أسفار كبار، وناضرة العين مخطوطة في الأزهرية وشرح ناظرة العين مخطوطة تصويره في معهد المخطوطات في المنطق، لشيخه محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني المتوفى سنة ٧٤٩هـ (والفتح القدسي في تفسير آية الكرسي) مخطوطة في مكتبة مغنيسا (رقم ١٣٨) وفي أول النسخة وأخرها اجازتان له بخطه في دمشق، سنة ٧٩٤هـ قال ابن العماد عيب عليه أنه كان يرتشي على الإذن في الافتاء وقال ابن فرحون كان كثير العزلة عن أهل المناصب بل عن الناس ما عدا خواص طلبته.

(١) الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن للدكتور عبد الجواد خلف عبد الجواد ٦/١.

(٢) الأعلام ١٨٧/١، شذرات الذهب ٢٣٧/٦ كشف الظنون ١٩٢١.

## الحافظ عبد الرحمن ابن رجب (١)

( ٧٢٦ - ٧٩٥هـ )

الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب. ولد في بغداد سنة ٧٢٦هـ وقد نشأ في كنف اسرة صالحة لها تباهاه ذكر، وعلو شأن فقد كان جده عبد الرحمن يعقد حلقات العلم في بغداد، وقد حضر ابن رجب، مجالسه وهو في الثانية والرابعة والخامسة، وأبوه الشيخ المقرئ المحدث شهاب الدين أحمد كان يحضره مجالس السماع وهو صغير، وياخذ له الإجازات من الشيوخ الكبار.

وقد تعددت رحلاته إلى دمشق وبيت المقدس ومصر ومكة، وسمع من هذه الديار من كبار المحدثين بها، واستغرقت رحلاته مدة عشرين عاماً، فقد قدم دمشق مع أبيه سنة ٧٤٤هـ فسمع بها من محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي المعروف بابن الخباز وأقرانه. وعاد إلى بغداد بصحبة والده سنة ٧٤٨هـ وقرأ فيها سنة ٧٤٩هـ، على الشيخ أبي المعالي محمد بن عبد الرزاق الشيباني. ومن بغداد اتجه إلى مكة سنة ٧٤٩هـ مع أبيه لأداء الحج، وبها سمع ثلاثيات البخاري من الشيخ أبي حفص عمر بن علي بن خليل البغدادي. ثم عاد بعد ذلك إلى دمشق ولازم الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية إلى أن وافته المنية سنة ٧٥١هـ وقد سمع عليه قصيدته النونية الطويلة وأشياء من

(١) مقدمة جامع العلوم والحكم لابن رجب.

تصانيفه ثم رحل إلى مصر قبل سنة ٧٥٤ هـ فمسع بها من صدر الدين ابي الفتح الميديمي المصري واقرانه، ورافق الحافظ العراقي في السماع كثيرا ثم القى عصا تسياره في دمشق وأقام بها وبوفاة أبيه سنة ٧٧٤ هـ كان قد فرغ من سماع الشيوخ والتفقه وتهيات له الفرصة لينصرف إلى التأليف في الحدث والفقہ والوعظ والترجم، فاقبل على التعلم ولازمه مطالعة وكتابة وتصنيفا وتدريسا واشتغالا وافتاء إلى حين وفاته.

### تلامذته:

وفي مساجد دمشق ومدارسها شرع الحافظ ابن رجب بنشر العلم وبيث المعرفة ويفقه الناس، وقد اقبل عليه طلبه العلم من كل حذب وصوب يفيدون منه ويأخذون عنه ويستجيزونه، وقد تخرج به معظم الحنابلة بدمشق من ابرزهم: علي البعلي ابن اللحام المتوفى سنة ٨٠٣ هـ وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن احمد المقدسي قاضي مكة المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ومحب الدين أبو الفضل احمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر مفتي الديار المصرية المتوفى سنة ٨٤٤ هـ.

### ثناء العلماء عليه:

لقد وصفه غير واحد ممن ترجم له بانه الحافظ الفقيه الثقة الزاهد الورع العابد الماهر في فنون الحديث أسماء ورجالا، وطرقا وإطلاعا على معانيه، وأنه أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق، وأنه مجلي المشكلات، وموضع المبهمات، وأن في مؤلفاته من الفوائد ما لم ير مثلها عند غيره، وانه كان مجليا في الوعظ وتذكير القلوب، يشد إليه مستمعيه، ويترك أثرا طيبا في نفوسهم. بما وهبه الله في علم نافع

وأسلوب مانع وقلب خاشع، وقد اتفق على محبته والأقبال عليه والإفادة من الموافق والمخالف.

### تصانيفه:

صنف الحافظ ابن رجب تصانيف كثيرة في فنون مختلفة، وكل تصانيفه غاية في النفاسة والإصالة والوضوح والاستيعاب والتحقيق والتوثق وحسن العرض فقد صنف في علوم القرآن وتفسيره (تفسير سورة الفاتحة والنصر والإخلاص) وإعراب البسملة وأم الكتاب وله الاستغناء بالقرآن، وفي الحديث فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتب قطعة منه وصل منه إلى كتاب الجنائر، شرح جامع الترمذي وهو في نحو عشرين مجلدا، شرح علل الترمذي، شرح ما يزيد على عشرين حديثا شرحا وافيا، جامع العلوم والحكم. وفي الفقه: القواعد الفقهية وهو من انفس كتب القواعد في الفقه الحنبلي، الاستخراج في أحكام الخراج، أحكام الخواتيم وما يتعلق بها، قاعدة في غم هلال ذي الحجة، إزالة الشبهة عن الصلاة بعد النداء يوم الجمعة، الإيضاح والبيان في طلاق الغضبان، الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة، القول المعذب في تزويج امهات أولاد الغياب، الكشف والبيان عن حقيقة النور والإيمان، نزهة الأسماع في مسألة السماع، تعليق الطلاق بالولادة، مشكل الأحاديث الواردة في ان الطلاق الثلاث واحد. وفي التراجم: الذيل على طبقات الحنابلة، مجلدان مختصر سيرة عمر بن عبد العزيز، مشيخة ابن رجب، وقعة بدر، وفي الوعظ والفضائل والثقافة العامة: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، فضل علم السلف على الخلف، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أهوال يوم القيامة، أهوال القبور، الفرق بين النصيحة

والتعبير، الذل والإنكسار للعزیز الجبار، فضائل الشام، استنشاق  
الانس من نفحات رياض القدس، الإمام في فضائل بيت الله الحرام،  
الاستيطان فيما يعتصم به العبد من الشيطان، ذم الخمر، كلمة  
الاخلاص وتحقيق معناها.

### وفاته:

توفي الحافظ ابن رجب رحمه الله سنة ٧٩٥هـ ودفن بباب الصغير  
إلى جانب قبر الشيخ أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي  
الشيرازي الأصل الحراني المولد الدمشقي المقر يعني بصفة الشهداء  
شرقي قبر معاوية رضي الله عنه، بينه وبينه مقدار عشرة أذرع.

### ابو بكر الحداد الزبيدي (١)

(..... — ٨٠٠هـ)

أبو بكر بن علي بن محمد الحداد الزبيدي. فقيه حنفي يمني من أهل  
العبادية، من قري حارة وادي زبيد في تهامة. استقر في زبيد وتوفي  
بها. قال الضمدي: له في مذهب أبي حنيفة مصنفات جليلة لم يصنف  
أحد من العلماء الحنفية باليمن مثلها كثرة وإفادة تبلغ كتبه نحو ٢٠  
مجلدا منها السراج الوهاج مخطوط ثمانى مجلدات في شرح مختصر  
القدوري، فقه، والجواهر النيرة مجلدان، في شرح مختصر القدوري  
أيضا و سراج الظلام مخطوط في شرح منظومة الهاملي فقه،  
وكتاب (التفسير) قال الشوكاني تفسير حسن مشهور إلا أن عن الناس  
يسمونه (تفسير الحداد).

(١) الأعلام ٦٧/٢، العقيق اليمني مخطوط البدر الطالع ١٦٦/١ فهرست الكتبخانه ٣٧/٣،

و ٦٣، المكتبة الأزهرية ١٣٥/٢. نيل السائرين ٢٠٧.

## يوسف السرائي الحلواني (١)

(٧٣٠ - ٨٠٢هـ)

يوسف بن الحسن بن محمود السرائي الأصل، ثم التبريزي، ويعرف بالحلواني.

فقيه، أصولي، محدث، مفسر، صرفي، تفقه وقرأ على القاضي عضد الدين وغيره وأخذ ببغداد عن شمس الدين الكرمانلي الحديث، ودرس، وتحول من تبريز إلى ماردين، فاقام بها مدة، ثم رجع إلى تبريز، وحج وزار المدينة، وجاور بها، ورجع إلى الجزيرة، فقطنها إلى أن توفي بها. من تصانيفه: شرح الأربعين النووية في الحديث و ( حاشية على الكشاف للزمخشري) في التفسير، وشرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح على الشافية في التصريف.

## محمد بن عرفة الورغمي (٢)

(٧١٦ - ٨٠٣هـ)

محمد بن محمد بن محمد بن عرفة ابو عبد الله الورغمي منسوب إلى ورغمة قرية من أفريقيا التونسية المالكي عالم المغرب المعروف بابن عرفه.

ولد سنة ست عشرة وسبعمائة حصل المعقول والمنقول وصار المرجوع إليه بالمغرب وتصدى للنشر مع الجلالة عند السلطان فمن دونه والدين المتين والتوسع في الدنيا والتظاهر بالنعمة في مأكلة

(١) بغية الوعاة ٤٢١، معجم المؤلفين ٢٩٢/١٣، الأعلام ٢٢٤/٨، كشف الظنون ١٤٨٠،

هدية العارفين ٥٥٩/٢، الضوء اللامع ٣٠٩/١٠.

(٢) نيل السائرين ٢١٠.

وملبسه وكثرة الصدقة والإحسان إلى الطلبة مع إخفائه لذلك وقدم الحج في سنة ٧٩٦هـ وأجاز لابن حجر وصنف مجموعا في الفقه سماه المبسوط في سبعة أسفار واختصر الحوفي في الفرائض وعلق عنه بعض أهل العلم (كلاما في التفسير في مجلدين) كان يلتقطه حال القراءة عليه وصنف في كل من الأصليين مختصرا وكذا في المنطق. مات في رابع وعشرين جمادى الآخرة سنة ٨٠٣هـ ثلاث وثمانمائة. وله تقييده الكبير في المذهب نحو عشرة أسفار وله في الأصول تأليف عارض به كتاب الطواع للبيضاوي. واثنى عليه ابن فرحون في الديباج وابن حجر.

### أحمد شهاب الدين السيواسي (١)

(..... — ٨٠٣هـ)

أحمد بن محمود السيواسي (شهاب الدين). عالم مشارك في أنواع من العلوم. من تصانيفه: عيون التواريخ، شرح المصباح للمطرزي في النحو، رسالة النجاة من شر الصفات، شرح الفرائض السراجية، و(عيون التفاسير للفضلاء السماسير).

### عمر سراج الدين ابن الملقن (٢)

(٧٢٣ - ٨٠٤هـ)

سراج الدين عمر بن علي ابن الملقن. صاحب التصانيف الكثيرة وله (مختصر تفسير القرطبي) مات سنة اربع وثمانمائة وقد سرد الشوكاني تصانيفه في البدر.

(١) معجم المؤلفين ١٧٢/٢.

(٢) نيل السائر ٢١٠.



## عمر سراج الدين البلقيني (١)

(٧٢٤ - ٨٠٥ هـ)

عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق بن عبد الحق الكناني، القاهري، الشافعي، العسقلاني الأصل، البلقيني (سراج الدين ابو حفص). محدث، حافظ، فقيه، اصولي، مجتهد، بياني، نحوي، مفسر، متكلم، ناظم. ولد ببلقينة في بلاد الغربية بمصر في شعبان، ونشأ بالقاهرة، ودخل بيت المقدس، وقدم دمشق وتولى قضاءها، وتوفي بالقاهرة في ١٠ ذي القعدة من تصانيفه الكثيرة (حاشية على الكشاف للزمخشري) في ثلاث مجلدات، ترجمان شعب الإيمان، حواشي على المهمات على الروضة في فروع الفقه الشافعي سماها معرفة الملمات برد المهمات العرف الشذي على جامع الترمذي في الحديث، زهر الربيع في فنون المعاني والبيان البديع وله نظم.

## الحافظ عبد الرحيم زين الدين العراقي (٢)

(٧٢٥ - ٨٠٦ هـ)

عبد الرحيم بن حسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي، الرازناني الأصل، المهراني الشافعي، ويعرف بالعراقي (زين الدين، ابو الفضل) محدث حافظ، فقيه، أصول، أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم. ولد في جمادي الأولى، ورحل إلى دمشق وحلب والحجاز والأسكندرية، وأخذ عن جماعة من العلماء وتوفي بالقاهرة

(١) معجم المؤلفين ٧ / ٢٨٤، نيل السائر ٢١٢.

(٢) معجم المؤلفين ٥ / ٢٠٤.

في ٢ شعبان. من مؤلفاته ( منظومة تفسير غريب القرآن ) (١)، الفية في علوم الحديث، والمغني عن حمل الاسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الباعث على الخلاص من حوادث القصاص، نظم الدرر السننية في السيرة الزكية.

يقول مولانا محمد طاهر (٢) (حفظ الحاوي والإمام لابن دقيق العيد وكان ربما حفظ في اليوم أربعمائة سطر. رحل إلى الشام وبيت المقدس ومكة وأخذ عن شيوخ هذه الجهات قال العز ابن جماعة وهو من شيوخه كل من يدعي الحديث بالديار المصرية سواه فهو مدفوع. وتصدى للتصنيف والتدريس ومن جملة مصنفاته تخريج أحاديث الإحياء والألفية في علم الحديث وشرحها ونظم منظومة في السيرة النبوية ونظم الاقتراح لابن دقيق العيد وشرح الترمذي لابن سيد الناس فكتب منه تسع مجلدات ولم يكمل وشرح فيه من أوائل كتاب الصلاة من حيث بلغ الحافظ ابن سيد الناس لأنه قد كان شرع في شرح الترمذي فكتب مجلدا بلغ فيه إلى أوائل كتاب الصلاة وتكملة شرح المهذب للنووي واستدرك على المهمات للاسنوي ونظم المنهاج للبيضاوي وغير ذلك. وله في التفسير الفية في غريب القرآن واتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب قال تلميذه الحافظ ابن حجر قد لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل بل صار كالمألوف ويتطوع بصيلم ثلاثة أيام في كل شهر وقد رزق السعادة في ولده الولي فإنه كان إماما. قال الحافظ ابن حجر أن ابن الملقن والبلقيني والعراقي كانوا

(١) منظومة قام بتحقيقها الباحث طه ياسين ناصر الخطيب لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم

درمان الإسلامية بالسودان.

(٢) نيل السائرین ٢١١.

أعجوبة ذلك العصر إذ الأول في كثرة التصانيف والبلقيني في التوسع في معرفة المذهب والعراقي في معرفة الحديث وفنونه وكل واحد من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة فأولهم ابن الملقن ثم البلقيني ثم العراقي. مات عقيب خروجه من الحمام في ليلة الأربعاء في شعبان سنة ست وثمانمائة بالقاهرة).

## علي أبو الحسن بن الوفا (١)

(٧٥٩-٨٠٧هـ)

علي بن محمد بن محمد بن وفا القرشي، الأنصاري، السكندري الأصل، الشاذلي، المالكي، ويعرف بابن الوفا (أبو الحسن). مفسر، فقيه، صوفي، أديب، شاعر. ولد بالقاهرة، وتوفي بالروضة. من آثاره: تفسير القرآن، الكوثر المترع في الأبحر الأربع، وديوان شعر مفاتيح الخزائن العالية في التصوف، وموشحات، الباعث على الخلاص في أحوال الخواص.

## محمد كمال الدين الدميري (٢)

(٧٤٢-٨٠٨هـ)

محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري الأصل، القاهري، الشافعي (كمال الدين أبو البقاء). مفسر، محدث، فقيه، أصولي، أديب، نحوي، ناظم، مشارك في غير ذلك. ولد في أوائل سنة ٧٤٢هـ وأخذ عن بهاء الدين أحمد السبكي وجمال الدين الأسنوي وكمال الدين النووي المالكي وبرهان الدين

(١) معجم المؤلفين ٧ / ٢٣١.

(٢) معجم المؤلفين ١٢ / ٦٦.

القيراطي وغيرهم، ودرس في الأزهر وبمكة، وتوفي بالقاهرة في ٣ جمادي الأولى. من تصانيفه: حياة الحيوان الكبرى، النجم الوهاج في شرح منهاج الطالبين في فروع الفقه الشافعي في أربع مجلدات، شرح لامية العجم للصفدي، شرح سنن ابن ماجة في نحو خمس مجلدات سماه الديباجة وشرح المعلقات السبع.

### أشرف السمناني (١)

(..... — ٨٠٨هـ)

الشيخ أشرف جهانكير السمناني السيد الشريف العلامة ولد بمدينة سمنان قام بالملك في التاسع عشرين سنة مقام والده فاشتغل بمهمات الدولة ثم خلع نفسه وترك السلطنة وله ثلاث وعشرون سنة فقام مقامه أخوه محمد وظعن إلى الهند ودخل أج فصحب الشيخ جلال الدين الحسين بن أحمد البخاري وأخذ عنه ولبس الخرقة من الشيخ علاء الدين عمر بن أسعد اللاهوري فلازمه أربعة أعوام ثم توجه إلى جنوبور ثم دخل إلى كجهوجه وسكن بها وكان عالما كبيرا عازما سفارا لم يتزوج ولم يزل يسافر ولقى المشائخ منهم الشيخ عبد الرزاق الكاشي قرأ عليه الفصوص والفتوحات ولقى الشيخ بهاء الدين النقشبندي وأخذ عنه الطريقة ودار الربيع المبسكون ومن مصنفاته الأشرفية مختصر في النحو وتعليقات على هداية الفقه والفصول مختصر في أصول الفقه وشرح له على عوارف المعارف وشرح على فصوص الحكم وله قواعد العقائد في الكلام وأشرف الأنساب مختصر بحر الأنساب في الأنساب والسير وبحر الأذكار وفوائد

(١) نيل السائرین ٢١٣.

الأشرف وأشرف الفوائد وبشارة الذاكرين وتبئيه الأخوان وحجة الذاكرين والفتاوى الأشرفية وتفسير القرآن المسمى بـ(النور) محشية بالأوراد الأشرفية وديوان شعر ومرآة الحقائق وكنز الدقائق ورسالة في جواز سماع الغناء وبشارة المريدين وإرشاد الإخوان ورسالة في جواز اللعن على يزيد وله مكتوبان جمعها نظام الدين اليمني وله ملفوظات جمعها الشيخ نظام المذكور في الطائفة الأشرفية توفي في محرم الحرام سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة وقبره في كجهوة.

### يوسف ابن خطيب المنصورية (١)

(٧٣٨ - ٨٠٩ هـ)

يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن بن مسعود بن علي بن عبد الله الحموي، الشافعي، ويعرف بابن خطيب المنصورية (جمال الدين، أبو المحاسن). فقيه، أصولي، بياني، مفسر، فرضي، ناظم، نحوي. ولد في ذي الحجة، وطلب العلم بحماه، وأخذ عن بهاء الدين الاخميمي المصري، وبدمشق عن صدر الدين الخابوري وتاج الدين السبكي وجمال الدين الشريشي، ودرس وأفتى، ورحل الناس إليه، وتوفي بحماه في ٩ شوال. من آثاره: شرح أحاديث الأحكام في النحو ست مجلدات، شرح الفية ابن مالك. شرح فرائض المنهاج الفرعي، شرح الفية ابن معطي، وله نظم.

(١) معجم المؤلفين ٢٩٢/١٣.

## أحمد جمال الدين ابن المتوج (١)

(..... — ٨١٠هـ).

أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن ابن المتوج البحراني، المعروف بابن المتوج (أبو الناصر، جمال الدين). عالم، أديب. من تصانيفه: الناسخ والمنسوخ في القرآن، و ( تفسير القرآن المجيد)، منهاج الهداية في شرح آيات الأحكام الخمسية، كفاية الطالب أو الطالبين في اصول الدين، وله شعر، ونظم مقتل الحسين، ومجمع الغرائب.

## أحمد شهاب الدين الحسيني (٢)

(٧٤٩ - ٨١٥هـ)

أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العالي النابلسي، الحسيني الأصل، الدمشقي، الشافعي (شهاب الدين أبو العباس). عالم مشارك في بعض العلوم، ولي قضاء دمشق وتوفي بها. من تأليفه: ( جامع التفاسير)، شرح الفية ابن مالك، شافي العي في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي في فروع الشافعية، وعلق على الحاوي الصغير للقرويني في فروع الفقه الشافعي. ويقال إن كتبه تلفت كلها في فتنة تيمور لما استولى على الشام.

(١) معجم المؤلفين ١/٣٠٠، الأعلام ١/١٥٩، أنوار البدرين ٧٠، أعيان الشيعة ٩/٣٨.

(٢) معجم المؤلفين ١/١٦٤، الأعلام ١/٩٧، لحظ الألاحظ ٢٤٤، الضوء اللامع ١/٢٣٧.

## محمد محب الدين ابن الشحنة (١)

(٧٤٩ - ٨١٥ هـ)

محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي بن أيوب التركي الأصل، الحلبي، الحنفي، المعروف بابن الشحنة (محب الدين، أبو الوليد).

فقيه، أصولي، مفسر، فرضي، أديب، ناظم، نحوي، مؤرخ، أفتى ودرس، وتولى قضاء الحنفية بحلب ثم بدمشق إلى ان قبض عليه الظاهر برقوق وقدم به إلى القاهرة، ثم أفرج عنه ورجع إلى حلب فأقام بها إلى أن قبض عليه الملك الناصر ثم أفرج عنه فقدم القاهرة، ثم عاد إلى دمشق صحبة الملك الناصر المذكور، ثم استقر في قضاء حلب وأعطى تداريس بدمشق، وتوفي بحلب في ١٢ ربيع الآخر. من آثاره: روض الناظر في علم الأوائل والأواخر مختصر تاريخ أبي الفداء وذيله إلى زمانه، أوضح الدليل والأبحاث فيما يحل به المطلقة بالثلاث، (وشرح الكشاف للزمخشري) في التفسير.

يقول صاحب نيل السائرين: له مؤلف في التفسير وحاشية على الكشاف ولم يكمل). (٢)

## أحمد شهاب الدين بن الهائم (٣)

(٧٥٦ - ٨١٥ هـ)

أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي المصري ثم المقدسي، الشافعي، ويعرف بابن الهائم (شهاب الدين، أبو العباس).

(١) معجم المؤلفين ٢٩٥/١١.

(٢) نيل السائرين ٢١٤.

(٣) معجم المؤلفين ١٣٧/٢، نيل السائرين ٢١٤.

عالم في الفرائض والحساب، والفقه، والعربية، ولد بالقاهرة وارتحل إلى بيت المقدس، فانقطع به التدريس والافتاء إلى أن توفي به. من مؤلفاته: إبراز الخفايا في فن الوصايا، مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب في الحساب، تحرير القواعد العلانية وتمهيد المسالك الفقهية، (التبيان في تفسير غريب القرآن)، والمقنع في الجبر والمقابلة وهو قصيدة لامية شرحها وسماها المسمع.

### حافظ الدين ابن البزازي (١)

(٧٢٩ - ٨١٦ هـ)

حافظ الدين بن محمد الكردي، المشهور بابن البزازي. عالم مشارك في أنواع من العلوم. ولد بكازرين، وتوفي بزبيد من بلاد اليمن. من تصانيفه الكثيرة (تفسير القرآن العظيم)، اللامع المعلم، العجائب الجامع بين المحكم والعباب، شرح البخاري، و شرح المشارق.

### علي السيد الشريف الجرجاني (٢)

(٧٤٠ - ٨١٦ هـ)

علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف، ابو الحسن، الجرجاني، الحسيني الحنفي. عالم حكيم، مشارك في أنواع من العلوم فريد عصره، سلطان العلماء العاملين. افتخار أعظم المفسرين. ذي الخلق والخلق والتواضع مع الفقراء. ولد في سنة ٧٤٠ هـ في تاكو قرب استراباد و درس في

(١) معجم المؤلفين ١٧٧/٣.

(٢) الضوء اللامع ٣٢٨/٥، الفوائد البهية ١٢٥، معجم المؤلفين ٢١٦/٧، الأعلام ٧/٥.



شيراز وتوفي بها سنة ٨١٦هـ. من تصانيفه: التعريفات، وشرح مواقف الإيجي، وشرح السراجية ورسالة في فن أصول الحديث (حاشية على تفسير البيضاوي) و(حاشية على الكشاف).

يقول مولانا محمد طاهر (وله رسالة في المناظرة مشهورة بالشرويفية وشرح المواقف ورسالة في تعريف الأشياء وشرح تذكرة الطوسي وتفسير الزهراوين وحاشية على الكشاف وتفسير البيضاوي وقال العيني هو عالم بلاد المشرق وكان علامة دهرة) (١)

### محمد الشيرازي الفيروز آبادي (٢)

(٧٢٩ - ٨١٧هـ)

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، ابو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي.

من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد سنة ٧٩٦هـ فآكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولى قضاءها. وانتشر اسمه في الآفاق. حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد. اشهر كتبه القاموس المحيط اربع اجزاء. والمغانم المطابة في معالم طبابة، وينسب له أيضا (تتوير المقباس في تفسير ابن عباس) وله بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ونزهة الازدهان في تاريخ اصبهان والدرر الغوالي في احاديث العوالي والجلس الأنيس في اسماء الخندريس وسفر السعادة في الحديث والسيرة النبوية والمرقاة

(١) نيل السائرين ٢١٥.

(٢) الاعلام ١٤٦/٧، البدر الطالع ٢٨٠/٢ الضوء اللامع ٧٩/١٠، بغية الرعاة ١١٧.

الوفية في طبقات الحنفية وكان شافعيًا والبلغة في تاريخ أئمة اللغة،  
وتحبير الموشين في ما يقال بالسين والشين والمثلث المتفق المعنى  
والإشارات إلى ما في كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات ونغية  
الرشاف من خطبة الكشاف. وكان قوى الحافظة، يحفظ مائة سطر كل  
يوم قبل أن ينام. وللشيخ رمضان بن موسى العطيبي (ري الصادي  
في ترجمة الفيروز آبادي).

يقول مولانا محمد طاهر (وله مصنفات كثيرة نافعة منها في  
التفسير (لطائف ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز) في  
مجلدات،) وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس،) وتيسير فاتحة الآيات  
في تفسير فاتحة الكتاب في مجلد كبير والدر النظيم المرشد إلى  
مقاصد القرآن العظيم، وحاصل كورة الخلاص في فضائل سورة  
الإخلاص وشرح قطبة الخشاف في شرح خطبة الكشاف). (١)

## محمد التونسي الوانوعي (٢)

(٧٥٩ - ٨١٩ هـ)

محمد بن احمد بن عثمان بن عمر التونسي المالكي، نزيل الحرمين،  
ويعرف بالوانوعي (أبو عبد الله).

عالم بالتفسير والأصليين والعربية والفرائض والحساب والجبر  
والمقابلة والمنطق. ولد ظنا سنة ٧٥٩ هـ بتونس، ونشأ بها، وتوفي  
بمكة. من تصانيفه: تاليف على قواعد ابن عبد السلام، عشرون سؤالاً  
في أنواع من العلم، وحاشية على التهذيب للبراذعي.

(١) نيل السائر ٢١٦.

(٢) معجم المؤلفين ٢٨٩/٨، الأعلام ٥/٢٣١.

## محمد شمس الدين البخاري (١)

(٧٤٦ - ٨٢٢هـ)

محمد بن محمد بن محمود بن محمد بن محمد بن مودود، شمس الدين الجعفري البخاري. فقيه حنفي، عالم بالتفسير. من اهل بخارى. جاور بمكة. ومات بها، أو المدينة. له كتب منها فصل الخطاب لوصل الأحباب، مخطوط في المحاضرات، والفصول الستة مخطوط في اصول الفقه واربعون حديثاً مخطوط، و( تفسير القرآن العظيم) في مائة مجلد.

## عبد الله جمال الدين الأقفهسي (٢)

(٧٤٠ - ٨٢٣هـ)

عبد الله بن مقداد بن إسماعيل بن عبد الله الأقفهسي، ثم القاهري، المالكي، ويعرف بالاقفاصي (جمال الدين). فقيه، اصولي، مفسر، ولد بعد سنة ٧٤٠ هـ، ونشأ بالقاهرة، وتولى قضاء الديار المصرية، وتوفي في ١٣ رمضان وهو على القضاء. من تصانيفه ( تفسير في القرآن) في ثلاث مجلدات، وشرح مختصر خليل في ثلاثة أسفار كبار في فروع الفقه المالكي، شرح رسالة ابي زيد القيرواني.

(١) الأعلام ٤٤/٧، الضوء اللامع ٢٠/١٠ شذرات الذهب ١٥٧/٧ كشف الظنون ١٢٧٠.

(٢) معجم المؤلفين ١٥٥/٥، الأعلام ١٤٠/٤.

## عبد الرحمن جلال الدين ابن البلقيني (١)

(٧٦٣ - ٨٢٤هـ)

عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري، أبو الفضل جلال الدين. من علماء الحديث بمصر. انتهت إليه رئاسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية مرارا، إلى ان مات وهو متول. له كتب في التفسير والفقہ ومجالس الوعظ وتعليق على البخاري سماه الإفهام لما في صحيح البخاري من الإبهام مخطوط ومناسبات ابواب تراجم البخاري مخطوط ورسالة في بيان الكبائر والصغائر مخطوط ونهر الحياة مخطوط وحواشي على الروضة في فروع الشافعية، افردھا أخوه في مجلدين ومات في القاهرة. وهو ابن عمر البلقيني السابق الذكر.

## محمد بن يوسف الدهلوي (٢)

(٧٢١ - ٨٢٥هـ)

محمد بن يوسف بن علي بن محمد الحسيني الدهلوي ثم الكلبركوي ينتهي نسبه إلى يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد عليه وعلى آبائه السلام ولد في رابع رجب سنة إحدى وعشرين وسبعمائة بدار الملك دهلي وسافر مع ابويه إلى دولت آباد وله اربع سنين واشتغل بالعلم على ابيه وجده ورجع إلى دهلي سنة ٧٣٦هـ فأدرك بها الشيخ نصير الدين محمود الأودي نارادان يلبس من الخرقه فأمره الشيخ

(١) الأعلام ٣/٣٢٠، شذرات الذهب ٧/١٦٦، كشف الظنون ٩٣٠، الضوء اللامع

٦/٢١٩ نيل السائرین ٢١٩ - ٢٢١، الأعلام ٧/١٥٤، نزهة الخواطر ٣/١٥٢.

بتكملة العلوم واشتغل بها وقرأ بعض الكتب على مولانا السيد شريف الدين الكيتھلي وبعضها على مولانا تاج الدين ثم لازم دروس القاضي عبد المقتدر بن ركن الدين الشريحي الكندي وقرأ عليه الشمسية والصحائف ومفتاح العلوم وهداية الفقه واصول البزدوي والكشاف وسائر الكتب الدراسية وبرز في الفضائل وتاهل للفتوى والتدريس وجمع بين العلم والعمل والزهد والتواضع وحسن السلوك ووضع الله سبحانه له المحبة في قلوب عباده لما اجتمع فيه من خصال الخير فانقطع إلى شيخه نصير الدين محمود واخذ عنه وبلغ رتبة الكمال في اقل مدة فاستخلصه الشيخ لنفسه واستخلصه واجازه إجازة عامة تامة فصار المرجوع إليه في علمي الرواية والدراية وتهذيب النفوس والدلالة على معالم الرشد وطرائق الحق وتولى الشياخة بعد ما توفي شيخه سنة سبع وخمسين وسبعمائة وتزوج بابنة الشيخ احمد بن جمال الدين الحسيني المغربي وله أربعون سنة ثم خرج من دار الملك دهلي في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانمائة في الفتنة التيمورية وذهب إلى كجرات ثم إلى دولت آباد فاستقدمه فيروز شاه البهمني إلى كلبركة سنة خمس عشرة وثمانمائة فسكن بها يدرس ويفيد وكان علما كبيرا عارفا قوي النفس عظيم الهبة جليل الوقار جامعاً بين الطريقة والشريعة ورعا تقيا زاهدا غواصا في بحار الحقائق والمعارف له مشاركة جيدة في الفقه والتصوف والتفسير وفنون آخر. أخذ عنه ناس كثيرون وانتفعوا به وله مصنفات كثيرة قد عدت بخمس وعشرين ومائة كتاب في علوم شتى منها (تفسير القرآن الكريم) على لسان المعرفة وتفسير القرآن على منوال الكشاف وتعليقات على خمس أجزاء من الكشاف ومنها مشارق الأنوار على لسان المعرفة وله

ترجمة المشارق بالفارسية ومنها المعارف شرح العوارف للشيخ شهاب الدين السهروردي بالعربية وله ترجمة العوارف بالفارسية ومنها شرح التعرف وشر الفصوص وشرح آداب المريدين بالعربية والفارسية وله شرح التمهيدات لعين القضاة الهمذاني وشرح الرسالة القشيرية وشرح رسالة لابن عربي وشرح الفقه الأكبر وشرح بدء الآمال وشرح العقيدة الحافظية وله رسالة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكتابة أسماء الأسرار وكتابه وحدائق الأنس وكتابه في ضرب الأمثال وكتابه في آداب السلوك ورسالة في إشارات أهل المحبة ورسالة في بيان الذكر ورسالة في بيان المعرفة ورسالة في تفسير آيت ربي في احسن صورة ورسالة في الاستقامة على الشريعة ورسالة في تعبير الوجود بالأزمنة الثلاثة بالفارسية وله تعليقات على قوت القلوب للمكي وله كتاب الأربعين أورد تحت كل حديث شطرا من آثار الصحابة والتابعين والمشائخ والقدماء وله ملفاظات سماه بجوامع الكلم جمعها الشيخ محمد أحد أصحابه وللشيخ محمد بن علي الساموي كتاب في سيرته سماه بالسير المحمدي وكانت وفاته ضحوة الاثني عشر من ذي القعدة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وقبره بكلبركة مشهور.

## أحمد ولي الدين ابن العراقي (١)

(٧٦٢-٨٢٦هـ)

أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين ابن العراقي: قاضي الديار المصرية. وهو ابن الحافظ عبد الرحيم العراقي السابق الذكر.

مولده ووفاته بالقاهرة، رحل به أبوه (الحافظ العراقي) إلى دمشق فقراً فيها، وعاد إلى مصر فارتفعت مكانته إلى أن ولي القضاء سنة ٨٢٤هـ، بعد الجلال البلقيني وحمدت سيرته. ولم يدار أهل الدولة فعزل قبل تمام العام على ولايته. من كتبه (البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح) وفضل الخيل والأطراف وبأوهام الأطراف للمزي، ورواة المراسيل وأخبار المدلسين، (وحاشية على الكشاف)، وتذكرة في عدة مجلدات وذيل في الوفيات من سنة مولده إلى سنة ٧٩٣هـ، ومبهمات الأسانيد في الأزهرية وتحرير الفتاوى وغير ذلك وله نظم ونثر كثير.

## عبدالرحمن أبو الفرج الناشري (٢)

(٧٧٨-٨٢٦هـ)

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عمر الناشري، اليميني (أبو الفرج) عالم مشارك في أنواع من العلوم كالفقه والحديث والحساب والتفسير. حج، ثم عاد، وناب في الأحكام، وتوفي في رمضان من

(١) الأعلام ١/١٤٨، لحظ الألاحظ ٢٨٤، البدر الطالع ١/٧٢، الضوء اللامع ١/٣٣٦.

(٢) معجم المؤلفين ٥/١٨١.

آثاره: نكت على جامع المختصرات للنسائي في فروع الفقه، تلخيص كتاب البركة، وله شعر.

## محمد أبو الخير ابن الجزري (١)

(٧٥١ - ٨٣٣هـ)

محمد بن محمد بن محمد بن علي، أبو الخير، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري.

مقريء، مجود، محدث، حافظ، مؤرخ، مفسر، فقيه، مشارك في بعض العلوم، ولد سنة ٧٥١هـ ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها دار القرآن ورحل إلى مصر مرارا ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمور لذك إلى ماوراء النهر. ثم رحل إلى شيراز، فولي قضاءها. ومات فيها ومن تصانيفه (النشر في القراءات العشر) و(الهداية على علم الرواية) و (تحبير التيسير). (وغاية النهاية في طبقات القراء) و(تقريب النشر في القراءات العشر)، مات سنة ٨٣٣هـ.

يقول صاحب نيل السائرين: (٢) (وصل إلى مدينة هراة ومدينة يزد وأصبهان وشيراز ثم إلى البصرة ثم جاور بمكة والمدينة وألف في القراءات الشعر في مجلدين ومختصرة التقريب وتخير التيسير في القراءات العشر، ومقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعمله) والفاء في التفسير) والحديث وله شرح المصابيح الف عند تيمور وغاية المهرة في القراءات العشرة).

(١) الضوء اللامع ٢٥٥/٩، شذرات الذهب ٢٠٤/٧، الأعلام ٢٧٤/٧، معجم المؤلفين

٢٩١/١١

(٢) نيل السائرين في طبقات المفسرين ٢٢٢.



## يعقوب الكندي قسرا يعقوب (١)

(٧٨٩ - ٨٣٣هـ)

يعقوب بن إدريس بن عبد الله الرومي الحنفي، الكندي، الشهير بقسرا يعقوب. فقيه، أصولي، نحوي، بياني، مفسر. ولد بكندة من بلاد القرامان، ودخل البلاد الشامية، وحج، ثم رجع وأقام بلارنده يدرس ويفتي، ثم قدم القاهرة فاجتمع بمدير المملكة ططر، فأكرمه ووصله بمال جزيل فاقتنى كتباً، ورجع إلى بلاده، فاقام بلارنده، وتوفي بها في ربيع الأول.

## محمد شمس الدين الفناري (٢)

(٧٥١ - ٨٣٤هـ)

محمد بن حمزة بن محمد الرومي الفناري (شمس الدين). عالم مشارك في العلوم النقلية والعقلية. ولد في صفر وولي قضاء بروسة، وارتفع قدره عند السلطان بايزيد خان، وحج مرتين، زار في الأولى مصر واجتمع بعلمائها، وتوفي في رجب. من تصانيفه الكثيرة: فصول البدائع في أصول الشرائع، (تفسير سورة الفاتحة) نموذج العلوم، وشرح الفوائد الغيائية في المعاني والبيان.

(١) معجم المؤلفين ٢٤١/١٣.

(٢) معجم المؤلفين ٢٧٢/٩، الأعلام ١١٠/٦، نيل السائر ٢٢٣.

## علي علاء الدين المهائمي (١)

(٧٧٦ - ٨٣٥هـ)

علي بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المهائمي، الدكني، الهندي، الحنفي (علاء الدين).

فقيه، متكلم، مفسر، صوفي. من تصانيفه: (رسالة في تفسير آل م) تبصير الرحمن وتيسير المنان لبعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، الزوارف في شرح عوارف المعارف، شرح فصوص الحكم لابن عربي، شرح النصوص لصدر الدين القونوي.

يقول صاحب نيل الساترين (وله مصنفات مباركة مثل (تفسير الرحماني) وقد ذهب للمناصرة في إثبات وحدة الوجود إلى اليمن. وله رسالة في الفقه الشافعي. وتفسيره مطبوع ومتداول سماه (تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن) ومن خصائصه أن تصدى فيه لربط الآيات بعضها ببعض وقد أجاد في ذلك وأتى بمعنى التسمية في كل سورة على نمط جديد يناسب تلك السورة). (٢)

## عبد الرحمن زين الدين ابن الحلال (٣)

(٧٧٣ - ٨٣٦هـ)

عبد الرحمن بن محمد بن سعد الدين القزويني، الجزري، البغدادي، الشافعي، ويعرف بالحلالي وبابن الحلال (زين الدين).

فقيه، مقري، مفسر، متكلم. توفي بجزيرة ابن عمر. من آثاره: مصنف في القراءات وشرح الطوالع المنسوبة للبيضاوي.

(١) معجم المؤلفين ٩/٧، الأعلام ٢٥٧/٤.

(٢) نيل الساترين ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) معجم المؤلفين ١٧٤/٥.

## علي ابن أبي القاسم (١)

(٧٦٩ - ٨٣٧هـ)

علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر.

مفسر، من تصانيفه: (تفسير القرآن) في ثمان مجلدات، وتجريد الكشاف. يقول صاحب نيل السائرین: (٢) (العلامة الكبير ومن جملة تلامذته السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير ولكنه لما اجتهد السيد محمد المذكور ورفض التقليد وتبحر في المعارف قام عليه صاحب الترجمة في جملة القائمين عليه وترسل عليه برسالة تدل على عدم انصافه ومزيد تعصبه سامحه الله وأجاب السيد محمد عن هذه الرسالة بالعواصم من القواصم الكتاب المشهور الذي لم يؤلف في هذه الديار اليمينية مثله وهو في ثلاثة مجلدات كبار وكان صاحب الترجمة يقوى الطلبة في جميع علوم الاجتهاد وفي الأمهات وسائر الكتب التفسير وله تجريد الكشاف التفسير المشهور وروي أن له تفسيراً حافلاً في ثمانية مجلدات. ولد في تسع وستين وسبعمائة و مات سنة سبع وثلاثين وثمانمائة).

## محمد بن الصارم العدني (٣)

(٧٧٠ - ٨٣٩هـ)

محمد بن إبراهيم الضرير المصري، ثم العدني، الشافعي، المشهور بابن الصارم. فقيه، أصولي، مفسر. قدم عدن وأخذ عن حسين بن الاهدل، وتوفي مطعوناً. من تصانيفه (الإبريز في تفسير كتاب الله

(١) معجم المؤلفين ٧/٢٢٦، الأعلام ٥/٨.

(٢) نيل السائرین في طبقات المفسرين ٢٢٦.

(٣) معجم المؤلفين ٨/٢٠٤.

العزیز)، البحر الوقاد في شرح الإرشاد في فروع الفقه، ملجأ المحققين الأعلام في قواعد الأحكام.

### عمر اللخمي التلقوني (١)

(٧٦١ - ٨٤٢هـ)

عمر بن يوسف بن عبد الله اللخمي الإسكندري يعرف بالتلقوني. صنف في أنواع العلوم ثم حصل له ضرر بعينه. نظم المنظومات المتبانية كالجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة في ستمائة بيت ورجز آخر في العبادات نحو خمسين بيتاً، وشرحها في مجلد وبهمة الفرائض وشرحها في أربعة كراريس وله عدة أراجيز في العربية وأخرى ضمتها ما في التلخيص من الزيادة في مائتي بيت ونيّف وأفرد أصول أبي عمر في بحر الشاطبية ورويتها. و(تفسير الفاتحة ومن سورة النساء إلى آخر القرآن) في مجلد. ولد في شعبان سنة إحدى وستين وسبعمائة وتوفي في سنة اثنين وأربعين وثمانمائة ٨٤٢هـ.

### محمد شمس الدين بن مرزوق الحفيد (٢)

(٧٦٦ - ٨٤٢هـ)

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي، التلمساني (شمس الدين، أبو عبد الله). فقيه، أصولي، محدث، مفسر، صوفي، مقري، لغوي، بياني، عروضي. من تصانيفه: أنوار الدراري في مكررات البخاري،

(١) نيل السائر ٢٢٧.

(٢) الأعلام ٢٣١/٥، معجم المؤلفين ٣١٨/٨.

روضة الأريب في شرح التهذيب، المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخرجية في العروض، شرح قصيدة البردة وسماء الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب، وله (تفسير سورة الإخلاص).

### محمد الكازروني (١)

(٧٥٧ - ٨٤٣هـ)

محمد بن أحمد بن محمد الكازروني الأصل المدني الشافعي. ولد ليلة الجمعة سابع عشر ذي القعدة سنة ٧٥٧. سمع في العز بن جماعة والنويري وابن الصديق والعراقي والمراغي وأجاز له جماعة من الأكابر وارتحل إلى الديار المصرية والشام وغيرهما وأخذ عن البهاء السبكي والسراج البلقيني وتصدر للقراءة والافتاء والتحديث بالمدينة المنورة وصار عالما وصنف مصنفات منها مختصر المغني للبارزي وشرح مختصر التنبيه في ثلاثة أسفار ولم يبيضه وكتب شرحا على التنبيه وشرحا على فروع ابن الحداد في مجلد وكتب تفسيراً اعتمد فيه على تفسير القرطبي وولي قضاء المدينة سنة ٨١٢هـ وانفصل عنه واشتغل بالعبادة حتى مات في ليلة الإثنين والعشرين من شوال سنة ٨٤٣هـ ثلاث وأربعين وثمانمائة.

### علي الدين بن الخطيب الناصرية (٢)

(٧٧٤ - ٨٤٣هـ)

علي بن محمد بن سعيد بن محمد بن علي بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم الجبريني، الحلبي، الطائي، الشافعي، المشهور بابن الخطيب

(١) نيل السائر ٢٢٧.

(٢) معجم المؤلفين ٢٠٠/٧، الأعلام ٨/٥.

الناصرية (علاء الدين، أبو الحسن). مفسر، مؤرخ، محدث. ولد بحلب ونشأ وتوفي بها في النصف من ذي القعدة. من تصانيفه (الطيب الرائحة في تفسير سورة الفاتحة)، وشرح حديث أم زرع، الدر المنتخب في تاريخ حلب، وسيرة المؤيد.

## أحمد شهاب الدين بن رسلان الرملي (١)

(٧٧٣ - ٨٤٤هـ)

أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف ابن علي بن رسلان الرملي، الشافعي ويعرف بابن رسلان (شهاب الدين، أبو العباس). عالم مشارك في بعض العلوم. ولد برملة فلسطين، نشأ بها، وتوفي بالقدس في ١٤ شعبان. برع في الفقه، وصنف في (القراءات والتفسير) والحديث والأصلين والعربية وغيرها. من مؤلفاته: شرح منهاج الوصول على علم الأصول للبيضاوي، شرح ملحمة الإعراب في النحو، شرح صحيح البخاري في ثلاث مجلدات ونظم القراءات الثلاث الزائدة على السبع.

يقول مولانا محمد طاهر: (٢) (كان إماما في الفقه وأصوله والعربية وكان حريصا على سائر الطاعات من صلاة وصيام وتهجد ومرابطة وكان أمارا بالمعروف ناهيا عن المنكر آخذا على يد الظلمة تاركا لقبول ما يعرض عليه من الدنيا ووظائفها. قال السخاوي هو في الزهد والتقشف والورع واتباع السنة وصحة العقيدة وكلمة اجتماع بحيث لا أعلم في وقته من يدانيه في ذلك وانتشر ذلك وبعد صيته وشهد بخبره كل من رآه وله مصنفات منها في التفسير قطع متفرقة وله نظم في

(١) معجم المؤلفين ٢٠٤/١.

(٢) نيل السائرين ٢٣٠.

أنواع من العلوم كالمنظومة في الثلاث القراءات الزائدة على السبع وفي الثلاثة الزائدة على العشر. قال السخاوي في الضوء لما أُلحِدَ سمع الحفار يقول ( أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين).

### عبد العزيز أبو البركات المقدسي (١)

(٧٧٠-٨٤٦هـ)

عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز بن عبد الحمود، البغدادي الأصل، ثم المقدسي المنشأ البكري، الحنبلي (عز الدين، أبو البركات).

مفسر، فقيه، أصولي، مقرئ، مدث، نحوي، بياني. ولد ببغداد وولي القضاء ببيت المقدس، ودمشق. وتوفي بدمشق مستهل ذي القعدة. من تصانيفه: الفنون الجليلة في معرفة حديث خير البرية، شرح مختصر الخرق في فروع الفقه الحنبلي، بديع المعاني في علم البيان والمعاني، مسلك البررة في معرفة القراءات العشرة، القمر المنير في أحاديث البشير النذير.

### محمد شمس الدين بن زهرة (٢)

(٧٥٨-٨٤٨هـ)

محمد بن يحيى بن أحمد بن دغرة بن زهرة، الدمشقي الطرابلسي، الشافعي، المعروف بابن زهرة (شمس الدين).

فقيه، مفسر. ولد في حبراض وانتقل إلى دمشق ثم استقر في طرابلس الشام، ونشأ بطرابلس، وتوفي بها في ٢٨ جمادى الأولى. من

(١) معجم المؤلفين ٢٥٤/٥.

(٢) الأعلام ١٣٩/٧، الترمذ المسبوك ١١٣، البدر الطالع ٢٧٦/٢، الضوء اللامع ٧٠/١٠ نيل

تصانيفه: شرح العزيز على الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي، (فتح المنان في تفسير القرآن) في نحو عشر مجلدات، تعليق على الروضة في ثمان مجلدات، شرح التنبيه في أربع مجلدات، وشرح للتبريزي في ثلاث مجلدات.

## القاضي أحمد شهاب الدين الدولة آبادي (١)

(بعد ٧٠٠ - ٨٤٩هـ)

أحمد بن عمر شهاب الدين بن شمس الدين الدولة آبادي قاضي القضاة ملك العلماء أحد أئمة الأرض ولد بدولة آباد دهلي. ولد بعد سبعمائة من الهجرة ونشأ بها وقرأ العلم على القاضي عبد المقتدر بن ركن الدين الشريحي الكندي ومولانا خواجكي الدهلوي فبرز في الفقه والأصول والعربية وصار إماما في العلوم لا يلحق غباره وكان غاية في الذكاء وسيلان الذهب وسرعة الإدراك وقوة الحفظ وشدة الانهماك في المطالعة والنظر في الكتب وكان القاضي عبد المقتدر يقول في حقه يأتيني من الطلبة من جلده علم ولحمه علم وعظمه علم.

ولما توجه مركب التيموري إلى الهند وخرج مولانا خواجكي قبل وصوله إلى دهلي منها إلى كالبى خرج القاضي شهاب الدين صحبة استاذه إلى كالبى فأقام مولانا خواجكي بكالبى وذهب القاضي إلى دار الحبورجو نفور فتلقى السلطان إبراهيم الشرقي صاحب جونغور بالإكرام وطابت له الإقامة بها وصار قاضيا للقضاة في البلاد الشرقية وكان السلطان يضع له في حضرته كرسيًا صيغ من فضة ويجلسه على ذلك ومرض القاضي مرة فعاده السلطان وطلب الماء فجئ به

(١) نيل السائرين ٢٣١.



فأخذه وطوفه على رأس القاضي سبع مرات وقال اللهم أن قدرت له مولانا فاصرفه عنه إلي. وله مصنفات جلييلة منها شرح بسيط على الكافية وهي أشهر تصانيفه. والإرشاد متن متين في النحو التزم تمثيل المسئلة في ضمن تعريفها وتعمق في تهذيبه كل التعمق وتأنق في ترتيبه كل التأنق وعلى متن الهندي شرح ممزوج للفاضل العلامة أبي الفضل الخطيب الكاذروني وله شرح اصول البزدوي في اصول الفقه إلى مبحث الأمر وشرح قصيدة بانة سعاد. وشرح قصيدة البردة ورسالة في تقسيم العلوم بالفارسية ومناقب السادات بالفارسي وهداية السعداء بالفارسي ورسالة في العقيدة الإسلامية وله غير ذلك وله تفسير القرآن الكريم اسمه (البحر الموج) بالفارسية قال الشيخ عبد الحق الدهلوي في رسالة أخبار الفضلاء أما تفسيره (البحر الموج) فإنه تجسم فيه رعاية السجع فاضطر إلى إيراد الفاظ وعبارات هي حشو في الكلام لا طائل تحبها ومع ذلك فإنه كتاب مفيد نافع في الجملة محتاج إلى التنقيح والتهذيب. ومن خصائص كتاب البحر الموج أنه اعتنى فيه لبيان التراكيب النحوية. ووجوه الفصل والوصل وغير ذلك أشد اعتناء وهو في عدة مجلدات. وكانت وفاته يوم الخميس لخمس بقين من رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بمدينة جونفور فدفن في جنوب المسجد للسلطان إبراهيم الشرقي.

## أبو بكر تقي الدين بن قاضي شهبة (١)

(٧٧٩ - ٨٥١هـ)

أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن زوئيب الأسدي، الشهبي، الدمشقي، الشافعي، ويعرف بابن قاضي شهبة (تقي الدين، أبو الصدق).

فقيه، مؤرخ، مفسر. ولد بدمشق في ١٤ ربيع الأول، وأخذ عن جماعة كالسراج البلقيني وابن حجي والغزي، وتصدى للافتاء والتدريس، وحدث ببلده وبيت المقدس وسمع منه الفضلاء، وحج وناب في القضاء بدمشق، وتوفي بها في ١٠ ذي القعدة ودفن بباب الصغير. من آثاره (تفسير القرآن الكريم)، طبقات الفقهاء الشافعية، ذيل على تاريخ الإسلام للذهبي، شرح منهاج الطالبين للنووي في فروع الفقه الشافعي، وطبقات النحاة واللغويين.

## الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (٢)

(٧٧٣ - ٨٥٢هـ)

أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني المصري الشافعي الإمام العلامة الحافظ فريد الدهر بقية الحفاظ عرف بابن حجر لقبه بعض آبائه ولد في مصر ١٢ شعبان سنة ٧٧٣ فسمع بمكة على العفيف النشاوي الشيخ عفيف الدين النيسابوري صحيح البخاري وعلى عالم الحجاز محمد بن ظهير وبمصر على عبد الرحيم بن رزين وأخذ علم الحديث عن العرافي عبد الرحيم بن الحسين وتفقه

(١) معجم المؤلفين ٥٧/٣، نيل السائرين ٢٣٢.

(٢) نيل السائرين ٢٣٣.